حارسة الطقوس



ماركوس كليور

تمت الترجمة بواسطة





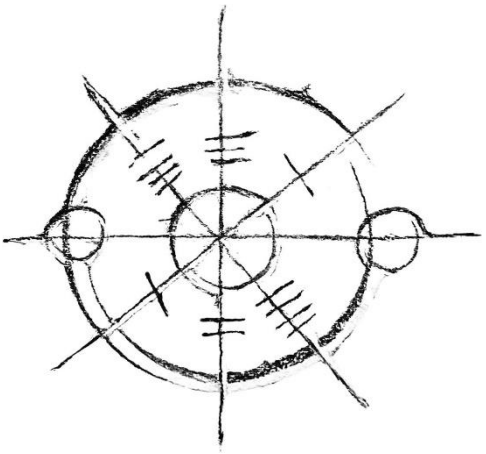
إلى عمتي مارلين.

أفتقد لعب ألعاب الطاولة معك.

ملحوظة من المؤلف

تتناول هذه القصة ثيمات ومواقف ترتبط بالاكتئاب، واضطراب الوسواس القهري، والأسى، والانتحار.

لن تجد هنا أي عبارات مبتذلة لتجميل الواقع؛ فالحياة قد تكون قاسية، وغالبًا ما تفيض بالمعاناة. وإنها لعزلة موحشة للغاية تلك التي يعيشها شخص يتوق إلى التوقف عن الوجود – وتزداد وحشة إن تملكه الخوف من نبذ الآخرين له لو باح بما يدور في خلده. إنني أؤمن بأن مناقشة هذه المواضيع، بدلاً من إبقائها طي الكتمان، تجلب من النفع أكثر بكثير مما قد تسببه من ضرر.



إنَّ الطفلَ الذي تَنْبِذُهُ القريةُ سَيُحْرِقُهَا كَيْ يَسْتَدْفِئَ بِنَارِهَا.

– مجهول

اتبع الطقوس

انطلقت آثار الأقدام الموحلة من عتبة البيت الأمامية، وخطت طريقها فوق حصى الممر، ثم تلاشت في غياهب الغابة المظلمة. لم يكن أمام **ديفيد كارنزويل** من خيار سوى ملاحقتها.

لم يكن يرغب في ذلك، فهذا أمر مفروغ منه. كان يود لو يغلق الباب، ويوصد الأقفال الحديدية، ثم يعود إلى الفراش ليدفأ بجانب زوجته التي شاركته الحياة لأربعة عقود، ويغفو في النوم وكأنه لم يسمع تلك الطرقات الثلاث الجوفاء من الأساس. لكن رغبات **ديفيد** لم تكن تزن شيئاً؛ إذ كان عليه أن يتبع تلك الآثار، فما يقع على المحك ليس أقل من بقاء البشرية جمعاء.

تحرك بحذر شديد لئلا يصدر أي صوت، وتراجع إلى ردهة المنزل. ارتدى زوجاً من الأحذية المطاطية العازلة ومِعطف مطرٍ زيتي اللون، دون أن يغير ملابس نومه القابعة تحته – سروال قطني وقميص صيفي ذو أكمام قصيرة – وهي ثياب لا تلائم هذا الطقس بتاتاً. لكنه لم يجرؤ على المخاطرة بالنبش في خزانة غرفة النوم بحثاً عن ملابس بديلة، خشية أن يوقظ زوجته. ولو استيقظت **غريس**، لانهالت عليه بأسئلتها المعتادة: «ما الذي يوقظك في هذه الساعة المتأخرة؟» «هل طرق أحدهم الباب مجدداً؟» ثم ذلك

السؤال الذي كان يثير حنقاً خاصاً في نفسه: «هل أنت متأكد من أنك بخير؟»

لطالما ساور **غريس** الشك في أن **ديفيد** بدأ يفقد عقله، وأنه ربما يمر بالمراحل الأولى – أو لعلها ليست الأولى تماماً – من مرض الخرف. وهو نفسه شارف على تصديق ذلك عندما داهمته الرؤى لأول مرة. كان واقفاً حينها في طابور متجر «كوستكو»، وعربة تسوقه ممتلئة عن آخرها، عندما انغرس صداع نصفي حاد في جمجمته كضربة فأس في جذع شجرة جاف. انحنى على نفسه، متشبثاً بالعربة ليحافظ على توازنه، وتدفقت في عقله سيول من صور كابوسية، كانت من الواقعية حتى خيل إليه أنه يسمع صدى أحداثها ويراها تتجسد فوق الأرضية الخرسانية اللامعة للمتجر؛ هلاوس بصرية تظهر ما سيحدث بدقة إن هو فشل في العودة إلى منزله فوراً. كانت مشاهد أشد قتامة من أبشع تصورات الجحيم. غصّ حلقه مرتين محاولاً التقيؤ، ثم ترك عربته واقتحم الحشود متدافعاً. عليك بالعودة إلى البيت. الآن.

وبعد ذلك بوقت قصير، تجلت له «الطقوس» في سكون غرفة معيشته. لم يدوِّ صوت الإله من السماوات، ولم تنقشع الغيوم، بل انبثقت تلك الطقوس في أفكاره واضحة جليّة، كأنها كانت هناك منذ الأزل، وكأنه لم يفعل شيئاً سوى تذكرها بعد نسيان. طقوس فرض عليه اتباعها لحماية جنس البشر من آلام لا يمكن وصفها. وهي

ذاتها الطقوس التي جعلته الآن يتتبع آثار الأقدام في عتمة الغابة عند منتصف الليل.

التقط **ديفيد** مصباحه اليدوي العسكري – الذي اعتاد تركه في صينية فوق الثلاجة – وخطا بهدوء نحو العتبة الخارجية. أحنى رأسه متطلعاً إلى الأسفل حتى كاد ذقنه ذو الشعر النابت يمس صدره، ثم ضغط زر المصباح؛ فانبثقت دائرة بيضاء من النور فوق سجادة الترحيب المستقرة بين حذائيه.

ضيق عينيه متفحصاً الآثار الرطبة. حذاء رياضي هذه المرة. فأل حسن. أو على الأقل، هو أهون الأمور سوءًا. ففي بعض الأحيان كانت الآثار لِجوارب، وفي مرات قليلة، لأقدام حافية. ولم يكن بمقدور **ديفيد** أبداً التنبؤ بسلوك «الزوار» الذين يأنفون ارتداء أحذية مناسبة. لكن وجود حذاء رياضي يعني أن من سيجده – أو ما سيجده – في نهاية المطاف سيكون التعامل معه سهلاً نسبيّاً. *أرجو ألا تخيب الظنون.*

لقد اعتاد مؤخراً تسميتهم بـ«الزوار»، أولئك الغرباء القادمون من أحراش الغابة. وكانوا يأتون في هيئات شتى، ولـ**ديفيد** اسم لكل صنف وطراز منهم. دأب دائماً على تسمية الأشياء التي تثير ريبته، والأمور التي تستعصي على فهمه. حتى إنه أطلق ذات مرة اسم «فرانك» على بقعة ورم خبيث قبل أن يستأصلها الأطباء من كتفه. فالأسماء تمنح الأشياء الشريرة شكلاً، وتهيكل لها موضعاً يستقر

فيه عقله، بينما كانت الحركات المبهمة في عتمة الليل لأشياء يعجز عن تسميتها هي ما يؤرقه ويجافي النوم من أجله.

رفع بصره عن العتبة، ووجّه شعاع الضوء نحو الأشجار. كانت الآثار تقود إلى ذات المكان الذي تنتهي إليه دوماً: أحد الممرات المتعرجة المؤدية إلى **خليج وينڈْفال**. *فأل حسن آخر*. لن يضطر الليلة لشق طريقه بين الشجيرات الكثيفة وأشواك العليق المتشابكة. أطلق تنهيدة مثقلة بالمرارة، فتكثف أنفاسه في هواء الليل البارد، وتطايرت هالات بيضاء التمعت بضوء دافئ منبعث من نافذة غرفة المعيشة.

أغلق الباب خلفه برفق، وهزّ مفاتيحه محدثاً رنيناً خافتاً. أقفل الباب ثم أدار المقبض ليتأكد من إحكامه. ففي بعض الأحيان، يحاول «الزوار» الالتفاف والعودة من ورائه للتسلل إلى المنزل. وإذا ما نجحوا في الدخول، ستتضاعف المشكلة وتتخذ أبعاداً كارثية. وهو لن يسمح بأي حال من الأحوال أن تُجرّ **غريس** إلى هذا المستنقع؛ فكلما قلّت معرفتها، كان ذلك أفضل لها.

دسّ المفاتيح في جيبه، وتهادى نازلاً السلالم. سار عبر الممر، فكان حذاؤه المطاطي يسحق الحصى المبتل مع كل خطوة يخطوها بمحاذاة الآثار. شعر بوخز ألم خامد ينبض في ركبتيه الطاعنتين في السن. وفي أيام دراسته الجامعية، كان يلعب في خط الوسط لرياضة اللاكروس، أما الآن، فبالكاد يقوى على الركض. هبّت

نسمة مالحة من الغابة الشاخصة أمامه – مزيج لاذع من رائحة الأشجار المتعفنة ومياه المحيط الهادئ.

توقف قليلاً عند الحد الفاصل حيث يلتقي الممر الحصوي ببدء الأشجار، واخترق شعاع المصباح عتمة الغابة، ليعكس بريقاً فوق الجذوع الملطخة بالأشنات. كانت الأشجار الليلة مشبعة بالماء على نحو غير مألوف، تبدو متدلية ومرهقة كأنما نُبشت من قاع بحيرة جُففت لتوها.

ولج الممر. كان المطر قد انقطع منذ فترة، لكن قطرات غادرت الأغصان متأخرة ظلت تتساقط. كانت أدنى نسمة هواء كفيلة بهزّ الفروع، لتهمس الأشجار بشظايا لغة لا يمكن لإنسان أن ينطق بها. ومع كل خطوة يخطوها في الأعماق، كانت الغابة تزداد وحشية وضراوة. اصطفت أشجار من أنواع متباينة في حشود ملتوية، مشكّلة جيوباً منعزلة. تجمهرت عصبة من أشجار القَبْقَاب تهمس بإشاعات حول أشجار التنوب القابعة في الجانب الآخر من الطريق. وتحت أقدام تلك التنوب، تمدد جذع شجرة بلوط ساقطة؛ شجرة كانت يوماً عاتية قبل أن تقتلعها عاصفة في الربيع الماضي، لتتحول الآن إلى مستعمرة متعفنة من العقد المتضخمة، والخنافس الحافرة للخشب، والفطريات ذات اللون اللحمي. تخطاها **ديفيد** ومضى.

وبعد نحو ثلاث دقائق من السير، غرق الليل في سكون فاتر، كلقطة متوقفة في شريط سينمائي. كان الصمت مطبقاً؛ فلا طيور تشدو،

ولا صراصير ليل تصفر. *فأل حسن إضافي.* ففي ليلة مطيرة ببراري ساحل أوريغون، يعد الصمت هو السير الطبيعي للأمور. قد يكون الأمر مريباً لمن لم يعتد عليه، لكن **ديفيد** قضى عمره كله هنا.

إنما تكمن الريبة الحقيقية حين تصدح الصراصير وتغرد الطيور؛ فعندها فقط يعلم، دون أدنى شك، أنه مقبل على ليلة بائسة. كأن الطبيعة ذاتها تحاول تحذيره مما قد يواجهه في نهاية المطاف. لذا، وجد عزاءه في هذا الصمت، والتمس السلوى في الصوت الوحيد لحذائه المطاطي وهو يغوص في أرض الممر الموحلة.

وفجأة.. دوت خشخشة. التفت سريعاً جهة اليسار، مسدداً ضوء مصباحه نحو مصدر الصوت. كان حيوان أيل، يبعد عنه مسافة رمية حجر، يقتات على برعم شجرة حور ذابل. رفعت رأسها على مهل، وانعكس وهج الضوء في عينيها الشاخصتين فيه ببلادة. كانت نظرة جعلته يشعر وكأنه مجرد حيوان آخر في هذه القفار، كائن تجب معاينته وتصنيفه.

مضغت الأيل لقمتها، وابتلعتها، ثم انطلقت مهرولة في جوف الغابة حتى تلاشت في الظلام، واختفى صدى حوافرها المكتوم بعد برهة وجيزة. كان مشهداً نادراً أن يرى المرء أيلاً في هذا الموضع المرتفع، على مقربة من **خليج وينڈفال**، إذ تفضل غالبيتها الاستقرار في الوادي قرب النهر. هبّت نسمة عليلة أخرى بين

الأغصان، وتساقطت قطرات مطر شاردة لتخترق شعر **ديفيد**، مستقرة فوق فروة رأسه، فتحولت لسعاتها الباردة إلى بقع دافئة. وعاد إلى مهمته الأساسية.

انعطف الممر فجأة نحو اليسار، غير أن آثار الأقدام واصلت مسيرها مستقيمة، متوغلة في قلب الأحراش مباشرة. *أمر غريب.* لم يكن الأمر بلا سابقة، لكنه من الغرابة بحيث دفعه إلى التوقف مجدداً. ففي العادة، يختار «الزوار» خياراً واحداً: إما البقاء على الممر أو مغادرته بالكامل.

رفع المصباح مرة أخرى. كانت الشجيرات هنا متفرقة؛ بضع بقع هزيلة من نبات «هراوة الشيطان» الشوكي تنبت من فوق بساط متراكم من الأوراق الميتة وإبر الصنوبر. وكانت الأشجار متباعدة في أدب، كأشخاص انطوائيين في حفل استقبال. كان رصد الآثار أكثر صعوبة في هذه التضاريس، لكن **ديفيد** لم يكد يلتقط أنفاسه حتى عاود التتبع؛ ورقة شجر مسحوقة هنا، وغصين مكسور هناك. بالنسبة له، كانت مهارة التقصي تأتي بطبيعية تضاهي طبيعية المشي لديه.

امتدت الآثار في خط مستقيم تقريباً، لا تنحرف إلا لتفادي شجرة تعترض طريقها. لمح صخرة مألوفة، فعرف أنه يقترب من حدود ملكيته. وخمّن أن هناك نحو خمسمائة قدم أخرى تفصله عن الحدود المسيّجة بالحبال التي نصبها قبل بضعة أشهر.

كان يُفترض به أن يلتقي بـ«الزائر» بحلول هذا الوقت، فزاد من سرعة خطاه.

بدأ الهدير الرخيم للمحيط يتردد في أعماق التربة، ويسري في عظامه. ومع كل خطوة يتقدمها، كان البرد يزداد جسارة، ممرراً أيدٍ ميتة فوق جلده. تذمر في سره؛ فهذا ما يجتنيه المرء حين يكتفي بمِعطف مطر فوق قميص صيفي، و..

انطلق طيف أبيض خاطف من بين الشجيرات أمامه مباشرة، يتحرك بحجم صغير وسرعة فائقة محاذياً الأرض. كان أرنباً. مرّ بجانبه مسرعاً، متخذاً خطاً مستقيماً نحو المنزل – الذي غدا الآن مجرد نقطة مضيئة تتلألأ بين الأشجار البعيدة.

كانت الأرانب ظاهرة جديدة هذا العام. نعم، لطالما وُجدت أرانب برية هنا، بتلك الصبغة البنية الفأرية، لكن هذه الأرانب الجديدة تبدو أليفة مستأنسة. كان العديد منها بلون الشوكولاتة البني، وبعضها مرقط، وقليل منها أبيض خالص. وافترض **ديفيد** أنها سلالة حيوان منزلي تخلّى عنه صاحبه.

انبعث صوت خافت من الظلال التي فرّ منها الأرنب. أمال **ديفيد** أذنه ليستبين: أنين خفيض متقطع.

ربما كان هذا الصوت كفيلاً ببث قشعريرة في أوصال معظم الناس، لكن **ديفيد** لم يفعل سوى إطلاق زفير ارتياح. لقد كان مجرد «باكٍ». وهو طراز من «الزوار» تعامل معه مرات لا تحصى من قبل:

تهدئ من روعهم، ثم تقودهم عائدين نحو المنزل، بعيداً عن خط الملكية. وأثناء سيرهم خلفك، لا تلتفت إلى الوراء. ومهما يكن ما تسمعه، إياك أن تلتفت. وقريباً، سيتلاشى «الزائر» في الهواء، وتتوقف أصوات خطواته. ورغم ذلك، لا تلتفت، بل واصل طريقك إلى المنزل. وعلى الرغم من غرابة الأمر، فقد بات هذا الإجراء أشبه بروتين يومي، بل إنه قادر على فعله وعيناه مغمضتان.

لكن في المرات القليلة التي فشل فيها، المرات التي عجز فيها عن تهدئة «الزوار»، وتحول أنينهم إلى بكاء مرير، أو صراخ بعبارات مبهمة ومقفرة – لم يكن أمامه من خيار سوى الركض. ولتذهب ركبتاه العجوزتان إلى الجحيم. كان يركض عائداً للمنزل قبل أن يسبقوه إليه ويجعلوا حياته أشد عسراً مما هي عليه بالفعل.

تقدم بخطى حثيثة نحو مصدر ذلك الصوت البائس، والاندفاع يملأ شرايينه، بيد أن ثقته سرعان ما تراجعت أمام شعور غامر بالريب. كان صوت ذلك الأنين الخفيض والذابل مألوفاً بشكل يدعو للمقاطعة.. مألوفاً للغاية.

لم يكن هو، أليس كذلك؟ لا يمكن أن يكون هو..

ساقته قدماه إلى الأمام، خطوة تلو الأخرى. تعثر ليدخل إلى فسحة منحدرة، شق متعرج في جوف الغابة لا يتجاوز عرضه ثلاثين قدماً. وعند طرفها المقابل، كان «الزائر» يذرع المكان جيئة وذهاباً.

كان هذا يرتدي الحُلة المعتادة: سروال جينز أزرق ومِعطف مطر أصفر مع سحب غطائه فوق رأسه. شاب متوسط البنية، وجهه محجوب وهو يشخص ببصره نحو الأرض. لم يبدِ أي رد فعل تجاه وهج مصباح **ديفيد**، بل اكتفى بالتمتمة في سره: «لا، لا، لا..» وكان صوته يرتجف، على وشك أن ينفجر بنشيج حاد.

تضاعفت خفقات قلب **ديفيد** حتى كادت تطير به، وباتت دقاته تتسابق في صدره بجنون. *لا يمكن أن يكون هو..*

كان **ديفيد** على بعد عشر خطوات في تلك الفسحة عندما انكسر تحت عقبه غصن ساقط. التفت «الزائر» مباغتة ليواجهه، وفي تلك اللحظة بالذات، تجسّد أعمق مخاوف **ديفيد**؛ فقد كان هذا «الزائر» هو الشخص الذي طالما خشيه وتمناه بكل تفصيلة فيه: الشَّعر البني الرملي، الشامة المستقرة على خده الأيسر، والانحناءة الطفيفة فوق أرنبة أنفه. كل التفاصيل كانت متطابقة، باستثناء أمر واحد: العينان.

لم تكن عينا «الزائر» بتلك النظرة البنية الداكنة المألوفة؛ البني الداكن الذي كان يرقب بإنصات شديد حين علّمه **ديفيد** قيادة السيارات، البني الداكن الذي رَمش بشعور بالذنب حين ضبطه يدخن السجائر خلف حظيرة الفناء الخلفي، العيون البنية الداكنة التي كانت كفيلة بجعل **ديفيد** يتخلى عن كل ما يملك – ثروته، بيته،

وحياته بأسرها – لمجرد أن ينظر فيها لمرة أخيرة ويخبر الفتى كم كان يعني له. لكن..

لم تكن هاتان العينان بنيتين، بل كانتا زرقاوين باهتتين، ببرودة شديدة جعلتهما أقرب إلى البياض.

نقل «الزائر» ثقله من قدم إلى أخرى، ثم رمش قائلاً:

«مـ.. ماذا تريد؟»

لم يتعرف على **ديفيد**. وبالطبع لن يفعل، فما هذا إلا «زائر»، ومع ذلك..

تنحنح **ديفيد** وبذل قصارى جهده ليتماسك؛ إذ عليه تهدئة «الزائر» وألا يسمح للأمور بأن تتفاقم. وقال بصوت متهدج:

«أنا.. أنا هنا لمساعدتك.»

مسح «الزائر» أنفه بظهر يده، وبدت عليه فجأة أمارات الحرج، بل لعلها المذلة. تظاهر بالشجاعة، وقال:

«أنا أحاول فقط العثور على نقطة المشاهدة، لكني أستمر في التخبط.» وأشار بيده إلى الخلف متابعاً: «أظن أنها من ذلك الاتجاه، ولكن.. ينتهي بي المطاف دائماً هنا.»

تحول بصر **ديفيد** إلى الأحراش الممتدة وراءه. كانت حدود الملكية مرئية، ذلك الحبل الشاحب الرفيع لا يبعد سوى أربعين قدماً. وكذب **ديفيد** قائلاً:

«لا، ليس من ذلك الاتجاه.» فإياك أن تسمح لـ«زائر» بمغادرة حدود الملكية في حضورك، مهما كلّف الثمن وبأي وسيلة كانت؛ فهذا درس من بين دروس كثيرة تعلمها **ديفيد** بالطريقة القاسية.

رمش «الزائر» مجدداً وقال:

«حسناً.. أين هي إذن؟»

أومأ **ديفيد** برأسه نحو الخلف، مشيراً صوب المنزل:

«نقطة المشاهدة؟ إنها في الخلف هنا. اتبعني.»

ظل «الزائر» متسمراً في مكانه، وقال:

«أنا شبه متأكد من أنها من هذا الاتجاه..» ثم استنشق الهواء مجدداً، واستدار متوجهاً نحو خط الملكية، وعندها..

بلع **ديفيد** غصة في حلقه وصاح:

«انتظر.»

التفت إليه «الزائر». ولو رآه شخص آخر لظن تعبيرات وجهه محايدة، بل وبليدة، لكن **ديفيد** كان قادراً على قراءة كل غضون في وجه الشاب، قراءة ما بين تلك السطور بأسرع مما يقرأ الكلمات على الورق. كان يشعر في أعماق روحه كم كان هذا الشاب مهشماً، وضائعاً بشكل لا يطاق، ووحيداً. يائساً. ليت **ديفيد** رأى ذلك من قبل، قبل كل تلك السنين، و..

سأله «الزائر» مستحثاً:

«ماذا؟»

«أنت.. أنت لا تريد الذهاب إلى هناك..»

«إذن فنقطة المشاهدة في ذلك الاتجاه.»

واعترف **ديفيد** مضطراً:

«.. نعم، ولكن..» تذكر الطقوس؛ عليك بتهدئته. وخطا خطوة أقرب متابعاً: «مهما يكن ما تمر به، فأنا هنا لأستمع إليك. اتفقنا؟»

تردد «الزائر»، وبدا كأنه يزن العرض، لكنه استدار مبتعداً مرة أخرى، و..

انطلق الاسم من حنجرة **ديفيد** كالسعلة:

«**كيلب!**» شعر بغرابة نطق الاسم بصوت عالٍ، فهو لم يفعل ذلك منذ سنوات طويلة.

أبطأ «الزائر» من خطوه، ونظر من فوق كتفه وعيناه متسائلتان:

«كيف تعرف اسمـ..»

«**كيلب**، أرجوك، فقط..» تجرأ **ديفيد** وخطا خطوة أخرى، محاولاً بكل ما أوتي من قوة أن يظل متماسكاً، وألا ينهار ويتحول إلى كتلة من البكاء والنحيب، وتابع: «ابقَ لفترة أطول قليلاً.. تحدث إليّ.. أرجوك. يمكنني الإنصات. لأي شيء. لأشد الأفكار قتامة، لا مجبر لك على أن تبقى وحيداً معها. حسناً؟»

نظر **كيلب** إلى الأسفل.. لا، ليس **كيلب**، بل «الزائر» هو من نظر إلى الأسفل، متفحصاً التربة المبتلة بعينيه. ثم رفع رأسه قائلاً:

«آسف.. لا أظن أن هذا.. أنا بحاجة إلى..»

قاطعه **ديفيد** وصوته ينكسر مجدداً:

«ليس هناك ما ينفعك في ذلك الاتجاه، ألا تفهم؟ أرجوك، تعال معي فحسب؛ وإن لم أستطع مساعدتك، فسأريك الطريق إلى نقطة المشاهدة، أقسم لك. فقط تعال معي أولاً.. سنبتعد عن هذا البرد.»

تأمل «الزائر» الأمر في صمت، وظل وجهه قناعاً بليداً يخفي وراءه تلالاً من الأسى. ركل الأرض بقدمه، ورفع بإبهام قدمه دون وعي رقعة من الأوراق الميتة؛ فبدت ديدان الأرض تتلوى وتلتوي في الوحل تحتها. ثم ترك رقعة الأوراق تسقط في مكانها، ومسح يديه بمِعطف المطر، باطنهما أولاً ثم ظاهرهما، وقال:

«هل معك سيجارة؟» ونفض يديه ثم فركهما معاً، ونفخ في كفيه المضمومتين متابعاً: «أنا فقط.. أحتاج بشدة لسيجارة لعينة.»

أومأ **ديفيد** برأسه:

«نعم، في هذا الاتجاه.»

قلب «الزائر» عينيه متهكماً:

«بالتأكيد هي هناك.» ثم حك شحمة أذنه، بذات الطريقة تماماً التي كان **كيلب** يفعلها، وتساءل: «وكيف عرفت اسمي؟»

وكذب **ديفيد** مجدداً:

«كان هناك آخرون أسفل الممر يبحثون عنك، وقالوا إن اسمك **كيلب**.»

درس «الزائر» ملامح **ديفيد** لبرهة طويلة، وسأل:

«كم نبعد عن السيجارة؟»

«إنها في شاحنتي،» كذب **ديفيد** مرة أخرى، «عشر دقائق في هذا الاتجاه.»

ضحك «الزائر» بمرارة، وضغط على أسنانه قائلاً:

«من الأفضل ألا تكون قاتلاً متسلسلاً أو ما شابه؛ فأنا أحمل مطواة.» وربت على جيب سرواله الجينز ليؤكد كلامه.

هز **ديفيد** رأسه:

«لقد ولّت أيامي للقتل منذ زمن طويل.» كان يقصد بها دعابة لتخفيف حدة التوتر، لكنه شعر على الفور برغبة عارمة في التوضيح: «كانت هذه دعابة.»

«أجل، فهمت. مضحك.» وأشار «الزائر» بيده نحو المنزل البعيد متابعاً: «فقط.. تقدّم الطريق.»

أومأ **ديفيد** برأسه خفيفاً، واستدار بادئاً بالمسير.

تبعت خطى «الزائر» حثيثة، تخشخش فوق الأوراق الميتة على بعد نحو عشر خطوات خلفه. وسارا في صمت مطبق. كان **ديفيد** يتتبع آثار أقدامه هو، عائداً نحو الممر الرئيسي، وكان يترقب في كل لحظة أن يتلاشى «الزائر»، وأن تخبو تلك الخطوات الملاحقة كما يحدث دائماً، ولكن..

سأل «الزائر»:

«إذن أنت تعيش هنا؟»

باغت السؤال **ديفيد**، حتى إنه كاد ينتفض جراءه؛ إذ لم يكن «الزوار» يتحدثون قط أثناء رحلة العودة – حسناً، حدث ذلك مرة واحدة فقط: رجل عجوز يرتدي قبعة رعاة البقر وينقصه حاجب قال: «إنها ليلة باردة، أليس كذلك؟» ولم يجبه **ديفيد** حينها؛ لأنه ما إن أنهى العجوز سؤاله، حتى انقطع صوت خطواته، فواصل **ديفيد** السير. *لا تلتفت إلى الوراء. إياك أن تلتفت.*

كرر «الزائر» الذي يشبه **كيلب** سؤاله:

«أنت تعيش هنا؟»

فكر **ديفيد** في تجاهله، ولكن.. ربما لوقت أطول قليلاً، يمكنه التظاهر بأنه يتحدث إلى.. لوقت قصير إضافي فحسب. وقال:

«أنا.. أجل.»

واصلت خطى «الزائر» الخشخشة خلفه فوق الأوراق، وسأل:

«منذ متى؟»

تجاوز ضوء مصباح **ديفيد** قمة منحدر لطيف ليكشف عن الممر الترابي أمامه، وأجاب:

«يقترب الأمر من سبعة عقود الآن.»

قال «الزائر»:

«هذه فترة طويلة» وتابع: «.. أظن أنني كنت هنا لفترة أطول قليلاً، على أي حال.»

ولم يدرِ **ديفيد** بمَ يجيب على ذلك. *فقط واصل السير. لا تلتفت.*

واستطرد «الزائر»:

«تعرف.. أحياناً أنسى من أكون، أستيقظ فقط في هذه الغابة، و..»

وساد صمت مفاجئ. تجمد **ديفيد** في مكانه وأمال أذنه دون أن يلتفت؛ أصاخ السمع بحثاً عن صوت الخطوات، أو إيقاع الأنفاس، لكن لم يكن هناك سوى الصمت. لقد تلاشى «الزائر» أخيراً. واجتاحت **ديفيد** راحة مألوفة وعارمة؛ شعور كان يداهمه دائماً بعد إتمام إحدى «الطقوس»، دفق مهدئ من الدوبامين، كأن الأمور – ولأقصر برهة – قد استقامت في هذا العالم. لكن هذه المرة، سرعان ما استحال الارتياح حزناً؛ أسى عميقاً لم يشعر به منذ زمن طويل، بؤساً كاد ينساه؛ ذلك النوع من الشقاء الذي يتغلغل في دمائك، ويحثك على تناول كأس أخرى، ويخبرك أنه ربما يكون من الأفضل أن تستسلم للنوم وألا تستيقظ أبداً، ويخبرك أن..

نفض **ديفيد** الأفكار عن رأسه، واستقام، و..

انبعث صوت «الزائر» من بين ثنايا الظلام خلفه:

«ما زلتُ هنا يا **ديفيد**.» وتجعدت الأوراق الميتة إثر نقله لثقله. واعتصرت أمعاء **ديفيد** لوعة حادة، وانقبضت أوتار عنقه، وبدأ رأسه يلتفت بدافع رد الفعل اللاإرادي، لكنه تمالك نفسه وشخص ببصره نحو الأمام مباشرة. *إياك أن تلتفت.*

وتابع «الزائر» مستخدماً صوت **كيلب**، لكن النبرة كانت مغايرة هذه المرة، نبرة تملؤها الشفقة:

«أعلم أنه ليس لديك سجائر في الشاحنة.» وزحف صمت طويل ورهيب. لم يدرِ **ديفيد** ماذا يفعل؛ أيتسمر في مكانه؟ أيواصل الكذب؟ أم يتابع السير؟ فلم يسبق له أن واجه موقفاً كهذا قط.

قال «الزائر»:

«أعلم أنك تلوم نفسك على ما اقترفه **كيلب**. وأتمنى فقط أن تعرف أن..» وصمت برهة ثم أردف: «أريدك أن تعرف أن **كيلب** كان يلومك أيضاً يا **ديفيد**. لقد غادر هذا العالم وهو يبغضك أكثر مما يبغض نفسه.»

تطايرت الكلمات في الهواء، وارتطمت بنفسية **ديفيد** كحجارة تهوى على سطح بركة متجمدة؛ فتصدع الجليد، واندفعت كل الأشياء التي كان يخشاها أكثر من غيرها إلى السطح. كل الأمور التي لم يكلّف نفسه عناء هيكلتها، الأشياء التي عجز عن تسميتها، والأمور التي كان مستعداً لفعل أي شيء في سبيل تجاهلها – أن يشرب حتى يفقد البصر، أن يقود السيارة حتى ينفد الوقود، أن يتبع الطقوس، يتبع الطقوس، يتبع..

وفجأة، تخشخشت الأوراق في الخلف بضربات متلاحقة حادة، و.. وقبل أن يبدي **ديفيد** أي رد فعل، كان «الزائر» قد دفعه نحو الأرض بدفعة عاتية. وسرى ألم خامد في أطراف **ديفيد** وهو يتخبط في التربة المبتلة، متحسساً الأرض بذعر وبحثاً عن مصباحه. أوراق متعفنة، جذور ملتوية، و–أمسك بالمقبض المعدني البارد

للمصباح اليدوي. رفعه، فانعكست دائرة النور البيضاء فوق مِعطف المطر الأصفر الخاص بـ«الزائر»؛ كان يركض مسرعاً أسفل الممر، متجهاً نحو المنزل مباشرة.

تردد صدى شهقة الرعب التي أطلقها **ديفيد** في أرجاء المكان المظلم. وثب على قدميه وبدأ يركض؛ ركض بأسرع مما فعل منذ عقود، وكل عظمة توجعه في جسده كانت تصرخ فيه:

البيت. عليك بالوصول إلى البيت.

وكان مصباحه يعكس ظلالاً جنونية وهو يندفع خلف «الزائر». وبدأت أشكال مظلمة تتحرك في مداه البصري المحيطي؛ مزيد من «الزوار». العشرات، بل المئات منهم؛ بعضهم طوال القامة، وبعضهم قصار، منهم النحيل ومنهم العريض، لكنهم جميعاً كانوا يتسربلون بمعاطف مطر صفراء.. وجميعهم كانوا يركضون صوب المنزل.

فرصة مثيرة للاهتمام:

مطلوب بشدة مقدم رعاية لزوج مسن.

ثلاثة أيام عمل. أجر مجزي. للمتقدمين الجادين فقط. في حالة الاهتمام، يرجى الاتصال على: carnswel54@aol.com

الجزء الأول

عاطله عن العمل في حالة يرثى لها

1
مايسي مولينز

اعتاد والدي صيد العناكب ليتيح لها الخروج إلى العراء. كان يقول إن العناكب هي «الحشرات الطيبة»، فهي تحجم «الحشرات الخبيثة» – وتمنع البعوض والذباب من تحقيق سيادته المطلقة على العالم. أما طفولتي فلم تكن تستوعب ذلك تماماً؛ فلو كانت العناكب طيبة حقاً، فلِمَ تبدو بكل هذا المظهر الشرير اللعين؟

«الطيبة والجمال ليسا وجهين لعملة واحدة يا **مايسي**.»

لا أدري إن كان والدي قد ابتدع هذه العبارة أم استعارها من أحد أفلام ديزني، لكنها – كحال الكثير من مأثوراته الصغيرة – استقرت في عقلي ولم تفارقه قط. ظلت العبارة تتردد في ذهني وأنا أجلس في الركن الخلفي لحافلة «الرابط الساحلي»، بينما الأشجار الملتوية تتلاشى سريعاً خلف نافذتي. وثمة عنكبوت يائس يتشبث بالحافة المطاطية الخارجية؛ متسلل رغماً عنه إلى مكان لا يعلمه إلا الله. كان العنكبوت يحاول مراراً تسلق الزجاج، قبل أن تعصف به الرياح لتهوي به إلى الأسفل، فيبدأ المحاولة من الصفر. *يالالشبه بيننا*.

ارتفع بصري ليلتقي بانعكاسي الكئيب على الزجاج.

اللعنة على ذلك الأخرق البائس الذي اختار إضاءة الفلورسنت لوسائل النقل العام. كان بريقها الفج يشكّل هالة مشعثة حول شعري البني المموج. لطالما جعلتني إضاءة الفلورسنت أشعر برغبة في الحك؛ كأنني سبحت في مستنقع لزج، ثم تمرغت في عازل من الألياف الزجاجية لأجفف نفسي. قشعر بدني، وأسندت جبهتي إلى الزجاج البارد الرطب – كان المحرك يطن في جمجمتي، مهدراً بصوت خفيض متواصل تداخل مع أفكاري.

تنقلت عيناي ذهاباً وإياباً مع الموكب اللامتناهي للأشجار المندفعة خلف النافذة. كانت آخر أشعة لنهار مائل للزوال تتسلل من بين أغصانها المتدلية. أطلقت زفير تنهيدة مثقلة، فتكثف نفسي ضباباً فوق الزجاج. سحبت كمي فوق باطن كفي ومسحت الضباب، و.. اختفى العنكبوت. *آمل أن يكون قد حط في مكان لطيف.* قرية للعناكب: أغصان نحيلة، زوايا ظليلة، وكل ما يشتهيه من الذباب. أي مكان أفضل من هنا.

ما الذي أفعله هنا من الأساس؟

رُحت أشكك في كل خيار اتخذته في حياتي، طوعاً أو كرهاً، وأدى بي إلى هذه النقطة: في طريقي إلى **مرتفعات بروكسفيو** لخوض مقابلة عمل.

كانت **بروكسفيو** واحداً من تلك الأحياء الساحلية الفارهة للأثرياء، المنعزلة بأمان عن أمثالنا من الفقراء. وكان هذا آخر مكان أود

الذهاب إليه في ليلة خميس. غير أنني، كخريجة جامعية ترزح تحت وطأة حجم مرعب من الديون، لم يكن لي رأي في الأمر. فلم تكن أي من الأماكن في البلدة تطلب موظفين.

أو على الأقل، لم تكن توظف أحداً يشبهني.

ولم يكن بمقدوري لومهم؛ فلم أُخلق يوماً لخدمة العملاء. ورغم كل محاولاتي المستميتة لتبدو عليّ أمارات البهجة والود والجاهزية للعمل، كان الناس يظنون دائماً أنني ساخطة على شيء ما. شعرت وكأن ملصقاً ضخماً قابع فوق جبهتي بشكل دائم، خُط عليه بقلم سميك: ***«اغرب عن وجهي»***.

كنت حطاماً عندما يتعلق الأمر باقتناص مقابلات العمل، وحطاماً أكبر حين يتعلق بنيل الوظيفة فعلياً. وفي الأشهر الثلاثة الأخيرة وحدها، تكدست في بريدي الإلكتروني رسائل رفض منسوخة ومعدة بواسطة «ChatGPT» بأعداد تفوق الحصر:

«عزيزتنا **(مايسي مولينز)**،

لقد سُررنا بلقائك والتعرف على تطلعاتك. ومع ذلك، نأسف لإبلاغك بأننا لن نقوم بتوظيفك في هذا المنصب، نظراً لعثورنا على مرشحين تتماشى خبراتهم بشكل أفضل مع متطلبات شركتنا. ونحن نثمن حقاً الجهد والوقت اللذين بذلتِهما في طلب التقديم، ونتمنى لك كل التوفيق والنجاح في مساعيك المستقبلية.

مع التحية.»

تباً لكم.

وسرعان ما يممت وجهي شطر موقع «كريغزلست». وبين طيات إعلانات جز العشب، ونقل الأرائك، وطلبات الصداقة المريبة.. عثرت على ما سُمي بـ«فرصة عمل مثيرة».

«مطلوب على وجه السرعة مقدم رعاية لزوج مسنّ.»

كان هذا الوصف المقتضب يحمل جاذبية طُعم صياد، بكل ما فيه من خطاف شائك. يبدو مريباً بعض الشيء، كما أن تقديم الرعاية لا يمت بصلة لـ«خلفيتي» في التصميم الجرافيكي. لا أستطيع صياغة السبب الذي جعل الإعلان يسترعي انتباهي، فربما يعود الأمر لذات الأسباب المعتادة: الإيجار، البقالة، الفواتير. مجرد الأشياء التي تبقيني وأختي على قيد الحياة.

ومهما يكن هذا الإعلان المنشور على «كريغزلست» مبهماً، فقد كان الغصن الأخير الذي يمكنني التشبث به في رحلة هبوطي المستمرة منذ اثنين وعشرين عاماً نحو القاع. أرسلت رداً سريعاً، وأرفقت به سيرتي الذاتية البائسة، ولشدة صدمتي، تلقيت رداً في اليوم ذاته:

«مرحباً **مايسي**،

هل يمكنك الحضور لمقابلة شخصية مساء الخميس؟ في تمام الساعة السابعة والنصف مساءً، في **5637 مرتفعات بروكسفيو**.

مع أطيب التحيات، **غريس**»

كانت الرحلة إلى **بروكسفيو** تستغرق أكثر من ساعة ونصف بالحافلة، تليها ثلاثون دقيقة أخرى سيراً على الأقدام. رحلة طويلة، لمجرد مقابلة عمل. كدت ألا أجيب، لكن بعد انقضاء يوم آخر دون بارقة أمل في «فرصي» الأخرى، استسلمت.

أرسلت رداً مقتضباً: «أراكِ حينها!»، وأخبرت أختي الصغرى بوجهتي. فليحفظني الله لئلا أتحول إلى قصة رعب أخرى من قصص «كريغزلست». *ههههه*.

اندفعت الحافلة لتتوقف مباغتة. وفي الخارج، كان مصباح شارع يرتجف ويسكب ضوءاً برتقالياً فوق موقف حافلات منعزل في طريق فرعي – مظلة مائلة تحيط بها إعلانات أفلام قديمة. لم يكن هناك أحد. لِمَ توقفنا إذن؟

أملت رأسي وأخذت أتطلع عبر الممر. كان ذلك الضوء البارد الطنان يغلف كل شيء ببريق لامع: الأرضيات المطاطية السوداء، المقابض الصفراء، والمقاعد المخملية القذرة. كانت الحافلة شبه خالية – فالجمع يتناقص مع كل موقف يبتعد بنا عن المدينة. والآن، انحصر الأمر في شخصي، والسائقة، وراكبة أخرى تجلس قرب المقدمة.

كانت الراكبة الأخرى تدر بظهرها لي. ترتدي سترة مطر زرقاء فاقعة مع سحب غطائها فوق رأسها، وخصلات من شعرها الأحمر

المبتل تتدلى على الجانبين. هل هي من سحبت حبل التوقف؟ انتظرت أن تنهض، وتتحرك مبتعدة، لكنها لم تحرك ساكناً.

مالت السائقة، وأمسكت بيدها ذراعاً صفراء، ثم سحبتها بقوة إلى الخلف. انفتح الباب الأمامي بعنف، وانخفضت الحافلة مع فحيح يشبه السعال.

تحول بصري مجدداً نحو المظلة المائلة. ومن بين الظلال، برزت صورة ظلية داكنة لرجل. كان واقفاً هناك طوال الوقت، متوارياً خلف صندوق زجاجي لإعلان فيلم «Cars 3». كان مؤخر عقبيه يتأرجح على حافة الرصيف، ورأسه منحنٍ إلى الأمام، يشخص ببصره نحو الأسفلت المبتل كأنه يقف على شفا جرف، ويفكر في القفز.

قالت السائقة:

«هل ستصعد؟»

كانت بنيتها تشبه بنية حراس الملاهي الليلية، شعرها مشدود إلى الخلف في ذيل حصان قصير، وساعداها العريضان مغطيان بالوشوم.

رفع الرجل القابع على الرصيف رأسه ببطء، وتمتم بشيء مبهم. أهو اعتذار؟ ومهما يكن ما قاله، فقد كان صوته واهناً، كأن أوتاره الصوتية على وشك الانقطاع – أوتار غيتار صدئة شُدت أكثر من اللازم.

ترجل عن الرصيف وصعد متن الحافلة، جالباً معه قلقاً جنونياً يطن حوله كأنه سرب من ذباب غير مرئي. وحتى من موقعي القريب من الخلف، استطعت رؤية كم كان هزيلاً، يبدو كهيكل عظمي تقريباً. استقرت ظلال داكنة في تجاويف وجهه، ولم تفلح لحيته الرثة في إخفاء وجنتيه الغائرتين؛ كان يبدو في العشرين والسبعين من عمره في آن واحد. استند بيد على مقبض أصفر ليحافظ على توازنه، وتنحنح، ثم أزرر سترة متسخة، وأصلح شعره المشعث. محاولة فاشلة لتبدو هيئته مقبولة.

في الأحوال العادية، كنت أستمع إلى الموسيقى لأغطي على أي شيء كان على وشك أن يحدث، لكنني قبل بضعة أسابيع أعرت سماعاتي لأختي **جيما**. وكما هو متوقع، أضاعتها. ووعدتني بأن تشتري لي أخرى «قريباً»، لكن **جيما** كانت أكثر إملاقاً مني، لذا كنت مجبرة في الوقت الحالي على الإنصات إلى الواقع.

مالت السائقة بجسدها بعيداً عن الرجل قليلاً، كأنما تخشى أن تكون طاقته الفوضوية معدية. أشارت إلى جهاز مسح التذاكر وقالت شيئاً عن الأجرة. أومأ الرجل برأسه كدمية ذات رأس متحرك مفرطة في الحماس، وبدأ يربت على جيوبه، متظاهراً بالبحث عن تذكرة نعلم جميعاً أنه لا يملكها. *موقف مررت به وعرفته من قبل.*

قال الرجل:

«لا بد أنني.. يا للهول.» ونظر إلى الأرض، كأن التذكرة قد تكون مستقرة هناك في مكان ما. ثم رفع رأسه، وأشار بيده نحو مقعد قريب متابعاً: «هل تمانعين لو جلست؟ أنا.. يمكنني الدفع لك في المرة القادمة، أنا..»

قاطعته السائقة، وتذمرت بشيء بدا كـ«لقد قلت ذلك في المرة الماضية».

تعلثم الرجل قائلاً:

«أرجـ.. أرجوكِ، أنا معي، أنا يجب، أنا بحاجة ..فقط.. أرجوكِ؟»

وتحرك متجاوزاً إياها دون انتظار جواب. فأمسكت به السائقة من مرفقه، وسحبته إلى الوراء بيسر، ثم دفعته نحو الباب. واستعاد توازنه متشبثاً بمقبض أصفر متابعاً: «لا يمكنني. يجب عليّ أن..»

وسددت السائقة سبابتها نحو المخرج.

تطلع الرجل من فوق كتفه، ناظراً إلى موقف الحافلات المائل. كانت الغابة المحيطة تقف ساكنة، وأشواك العليق تتشابك بين الأشجار كأنه سلك شائك. وفي التوهج البرتقالي لمصباح الشارع، بدت الغابة وكأنها وحش كابوسي يتربص لينقض على فريسة غافلة.

أشبه بعنكبوت.

«يا آنسة؟»

نظرت مجدداً نحو مقدمة الحافلة – كان الرجل يشخص ببصره نحوي مباشرة الآن. *لِمَ يركزون عليّ دائماً؟* حوّلت نظراتي بعيداً، لكن وجهه المتعب ظل مطبوعاً في شبكية عيني – عينان خضراوان خافقتان، وأسنان منسقة بشكل غريب. لا بد أنه حظي بتقويم أسنان في طفولته. وفي وقت ما، كان هناك من يهتم لأمر هذا الفتى بما يكفي ليدفع كلفة تقويم أسنانه. ما الذي أصابه إذن ومضى به إلى الأسوأ..

قاطع أفكاري صوته الواهن:

«مـ.. مرحباً يا آنسة؟ آنسة؟»

أبقيت عيني مثبتتين بـ«الغراء» على المقعد الذي أمامي، قارئة سطر عبارة خُطت بقلم سميك مراراً وتكراراً:

«عش، اضحك، اقتل»

وواصل محاولاته، متجاوزاً بنظراته الراكبة الأخرى ومثبتاً عينيه عليّ:

«هل يمكنكِ إقراضي بضعة دولارات؟»

لم يكن بمقدوري إقراضه سنتاً واحداً. تباً، فبالكاد كنت أملك ثمن تذكرة حافلتي.

وتدخلت السائقة أخيراً:

«إلى الخارج. الآن.» ونهضت واقفة، لتفوق الرجل طولاً برأس كامل تقريباً.

نظر إلى الأرض مجدداً، ثم التفت إليّ للمرة الأخيرة، بنظرة كلب صغير جريح العينين. ولم أملك سوى أن أرمش بشيء من الشفقة.
التفت نحو الراكبة الأخرى، وبدأ يفتح فمه، و..
كررت السائقة:
«إلى الخارج!»
وتسلل خارجاً من الحافلة، وبدأ يسير في الطريق بمشية غير متزنة.
عادت السائقة لتجلس في مقعدها، وسحبت ذراع الباب لتغلقه.
وفحّت الحافلة عائدة إلى الحياة. وأعطت السائقة إشارة لتلج الطريق الخالي، تاركة مسافة أمان واسعة بيننا وبين الرجل أثناء تجاوزه.
استدرت وتطلعت عبر النافذة الخلفية. أخذ الرجل يتضاءل ويتضاءل في المدى حتى انعطفت الحافلة عند منحدر، واختفى وراء جدار أسود من الأشجار. وتحول تركيزي إلى انعكاسي على النافذة، وضمنت حاجبيّ.
كانت الراكبة الأخرى – المرأة ذات سترة المطر الزرقاء – قد التفتت في مقعدها. وبدت عيناها كقطعتين ضبابيتين من الفحم في الزجاج المظلم. دون أن ترمش. هل كانت تتطلع إليّ؟ كدت أشعر بهاتين المقلتين الضبابيتين وهما تخترقان مؤخر جمجمتي كمثقابين يداران يدوياً، يطحنان العظم ليحولاه إلى غبار. التفتُّ لألتقي بنظراتها، لكنها التفتت بعيداً، وعادت لتشخص ببصرها نحو الأمام مباشرة. دون حراك.

غريبو الأطوار في حافلات الليل المتأخرة، هكذا عللت الأمر لنفسي. مسألة وقت فقط قبل أن أنضم إلى النادي؛ لعلني انضممت بالفعل. تراجعت في مقعدي، وشبكت ذراعيّ، ثم أغلقت عينيّ. رحت أنصت إلى أزيز المحرك، وشعرت بطنينه الخفيض يتردد في ظهري. وبطريقة ما، انزلقت إلى ذلك البرزخ الفاصل بين النوم واليقظة. وارتفعت صور لامنطقية وهوت في الظلام المتبدل – أطياف من أحلام وكوابيس:

آثار أحذية مطبوعة بالعشب. مياه متدفقة. رائحة قهوة طازجة. ديزل.

ظلام. ضوء بارد طنان. بلاستيك أسود لامع. فرو خشن. عيون خضراء كالأزرار.

ظلام. رائحة فودكا لاذعة. كلور. سجادة زرقاء مخضرة. غرف مرقمة.

ظلام. آلة جز العشب. شاحنة بيضاء.

ظلام. ضوء أحمر. ظلام. ضوء أزرق. ضوء أحمر. ضوء أزرق..

«يا آنسة.»

انفتحت رؤيتي متعثرة. كانت السائقة تقف على بعد بضعة صفوف، وتجمع النفايات بملقاط القمامة، وقالت:

«المحطة الأخيرة.»

تطلعت خارج النافذة. كانت هناك ساحة مواقف سيارات باهتة تحيط بها أشجار الصنوبر البيضاء. ولافتة مضيئة تعلن:

«مركز نقل ويندْفال»

نظرت عبر الممر – كانت المرأة ذات سترة المطر الزرقاء قد اختفت. *حسنٌ*. رفعت حقيبة ظهر على هيئة «بيكاتشو» لم أستبدلها منذ أيام المدرسة المتوسطة. كان جلدها الأصفر قد بهت منذ زمن ليتحول إلى لون أبيض شاحب، وذيلها الذي يشبه صعقة البرق قد انتُزع في شجار بساحة اللعب. وتحركت صاعدة الممر.

تنحت السائقة جانباً لتسمح لي بالمرور، وقالت:

«لا ينبغي لكِ السفر بمفردكِ بعد حلول الظلام.»

وأجبتها دون أن ألتفت خلفي:

«شكراً.»

وما إن التقى حذائي الرياضي بالأسفلت المتشقق، حتى أخرجت هاتفي وفتحت تطبيق خرائط غوغل. *لا توجد خدمة*. أدخلت رأسي مجدداً إلى الحافلة، وسألت:

«معذرة، من أي اتجاه تقع **مرتفعات بروكسفيو؟**»

وبعد مسيرة قصيرة في طريق مظلم وضيق، وصلت إلى مدخل الحي. كان من المستحيل أن تخطئه العين. لافتة بيضاء لؤلؤية، تحفها أعمدة يونانية متكلفة، وتضيئها مصابيح كاشفة مثبتة بين أحواض الزهور. وحروف نحاسية ذهبية تعلن باعتزاز:

«**مرتفعات بروكسفيو**»

وكانت الغابة المحيطة، البرية والعاصفة، تجعل اللافتة تبرز بشكل أكثر نشوزاً. واستطعت منذ الآن تصور القصور ذات الطوابق الثلاثة، والمساحات الخضراء المنسقة بعناية فائقة، والسيارات الفارهة المستقرة في كل ممر سيارات مدفأ. *أمر يثير الغثيان.*

أخرجت هاتفي مرة أخرى. وعادت الخدمة إلى خرائط غوغل هنا. بالطبع عادت؛ فـ**بروكسفيو** تحظى على الأرجح بخط مباشر خاص بها يربطها بـ«وادي السيليكون». ضغطت بأصابعي على الشاشة الباردة، وصغّرت الصورة، و.. يا للمفاجأة الرائعة. كانت ملكية **غريس كارنزويل** تقبع منزوية في أعلى وأبعد ركن بالحي.

2
جمال عتيق

بينما كنتُ ألهث شاقّة لطريقي في شوارع **مرتفعات بروكسفيو** الشديدة الانحدار والالتواء، لم أملك إلا أن أقدّر مدى دقة هواجسي السابقة؛ مساحات خضراء منسقة، وقصور ضخمة ذات طوابق ثلاثة، وجدران وبوابات لصدّ العامة. غير أن هناك غياباً غريباً للسيارات الفارهة في ممرات المنازل، بل غياباً لأي سيارات على الإطلاق..

في الواقع، كانت غالبية تلك المنازل مظلمة وتبدو وكأنها مهجورة منذ زمن. أهي بيوت صيفية؟ بالكاد أستطيع تدبير إيجار شقتي الحقيرة القابعة في الطابق الأرضي، بينما يملك هؤلاء القوم قصوراً احتياطية.

استرعت خشخشة انتباهي نحو تجمع من زهور البتونيا. كانت البتونيا تستقر في حوض زهور مستدير، يتوسط تماماً مساحة خضراء جُزّ عشبها لتوها. وقد تتبعت خطوط آلة الجز الخضراء الداكنة انحناءة حوض الزهور، مشكّلة دوائر متداخلة متقنة التباعد. لم أعمل في تنسيق الحدائق منذ سنوات، ومع ذلك، غالباً ما أجد نفسي أحكم على عمل المنسقين الآخرين. وكان هذا العمل يستحق

9 درجات من أصل 10؛ خصمتُ درجة واحدة لترك قصاصات العشب فوق حوض الزهور.

خشخشت البتونيا مجدداً، ووثب منها أرنب بني بلون الشوكولاتة، كان يقضم بتلة مسروقة. *تمرد على النظام إذن، على ما أظن.*

وكلما ازددت صعوداً، كانت الملكيات تزداد اتساعاً، حتى بدا العديد منها الآن وكأنه مساحات شاسعة من الأراضي. نُزل كبرى تحيط بها أشجار صنوبر شاهقة، وتضم بيوتاً للضيوف تفوق في حجمها معظم البيوت الفعلية. واستوى الطريق المنحدر الملتوي، واستقام. وامتدت مساحات الغابة المظلمة الفاصلة بين كل ملكية وأخرى لتصبح أطول. وباتت مصابيح الشوارع أقل تكراراً، حتى تلاشت تماماً. والآن، في كل مرة أمر فيها بمنزل، كان الوهج البعيد للمنزل الذي يليه هو موجهي الوحيد للمضي قدماً. وسرعان ما تحول الأسفلت الناعم إلى خشن، ولم يعد أمامي سوى الظلام الدامس. تفقدتُ هاتفي؛ وكان من المفترض أن منزل **غريس** يبعد نحو ثلاثمائة ياردة. رفعتُ بصري وضيقت عينيّ متطلعة في العدم الحالك السواد.

كان وميض برتقالي خافت يرتجف بين الأشجار البعيدة. وواصلت التقدم بحذر. كان الظلام حلاكاً الآن، لدرجة أنني اضطررت لاستخدام كشاف هاتفي لتفادي التعثر في الحفر.

كل صوت صغير كان يبرز هنا؛ أشجار تئز كأبواب قديمة تتأرجح ببطء ذهاباً وإياباً، وأغصان تنكسر كطلقات نارية بعيدة. ثم بدأت قطرات مطر خفيفة تتساقط تارة وتتوقف أخرى، كأن السماء على شفا الانفجار بالبكاء. وتحول الأمر إلى هطول غزير. وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى ممر منزل **غريس** المنعزل، كنت أشعر – ولعل مظهري كان كذلك أيضاً – بأنني غول مستنقعات ساخط.

تفحصتُ ما حولي. كان هذا الممر المسدود الملتف، المحاط بأشجار، تضيئه لافتة شارع وحيدة تغزوها العثث. وتحت توهجها البرتقالي، استقرت صخرة مدببة تثبتت عليها أرقام مائلة: «***G375***». العنوان الوحيد هنا.

وكان ممرها الحصوي يقود صعوداً بين الأشجار وينحرف في الظلام.

رائع، رحلة سير أخرى.

وعندما تجاوزتُ انحناءة الممر، أطل منزل **غريس** في المدى، و.. لم يكن شكله كما توقعت. كان المسكن مستقراً في واجهة صخرية منحدرة، عبارة عن منزل ريفي متواضع نسبيّاً ذي طابقين. مستطيل الشكل، بنوافذ ضخمة تحيط به، وجدران من ألواح خشبية طُليت باللون الزيتي. وكان بريق مصباح يلقي بظلال طويلة على الأشجار المحيطة.

بدا المنزل دافئاً، بل ومرحباً. بالتأكيد، كانت الأرض وحدها تكلف على الأرجح أكثر من ثلاثة ملايين دولار، لكن مقارنة ببقية أحياء **مرتفعات بروكسفيو**، كان يبدو وادعاً وجذاباً.

وفي تلك اللحظة بالذات، انفتح الباب الأمامي على مصراعيه وتسلل منه طيف مظلم. تقدم الشكل بخطوات سريعة، مغادراً العتبة الأمامية، وهابطاً درجاً خرسانيّاً ليحل في الممر. وانبثق ضوء مستشعر الحركة فجأة، ليكشف عن الطيف الذي تبين أنه امرأة شابة، في مثل عمري تقريباً. كانت تشبك ذراعيها بإحكام. وكلما اقتربت، كان يتضح أكثر: أنها كانت منزعجة، بل وغاضبة.

وعندما تجاوزتني، التقت عيناها بعينيّ، وقالت مع إشارة تحية سريعة من رسغها:

«استمتعي بوقتكِ.»

أكانت مقابلة عصبية؟

نظرتُ من فوق كتفي، راقبة إياها وهي تمضي مبتعدة، وحذاؤها الجلدي يسحق الحصى. بدت مفرطة في الأناقة بالنسبة لوظيفة تقديم رعاية، مما جعلني أشعر بالحرج من نفسي. أهذا ما يتوقعه الناس هنا من ثياب الخدم؟ هل سأخسر هذه الوظيفة لأن سترتي التي تعود للتسعينيات تبدو كنفايات مرفوضة من متجر الملابس المستعملة؟

استقلت سيارة «ميني كوبر» سوداء لامعة وانطلقت بها. *كم سيكون ذلك لطيفاً.*

ومن خلفي، نادى صوت:

«**مايسي؟**»

التفتُّ إلى الوراء. كانت امرأة مسنة تقف عند الباب، تحجب عينيها بيدها من البريق الفج لضوء مستشعر الحركة. وكان وجهها متوارياً في ظل يدها.

تنحنحتُ قائلة:

«السيدة **كارنسويل**؟»

3
الأشخاص المشاكسون

أبقت **غريس كارنسويل** الباب مفتوحًا، ورمقتني بابتسامة صبورة وأنا أصعد الدرج الخرساني. بدت **غريس** في أواخر الستينيات أو أوائل السبعينيات من عمرها، وكانت ترتدي سروال جينز رمادياً ومِعطفاً صوفيّاً يبدو خشناً، ومع ذلك نجحت في الحفاظ على هالة من الأناقة والرزانة. وبمعاينتي لها، صنفتها من صنف الأثرياء الذين يتسوقون بقالتهم بأنفسهم، ويقومون بأعمال البستنة بأيديهم عوضاً عن استئجار منسق حدائق. على الأرجح أنها تملك عضوية في متجر «كوستكو» وتبتاع ثيابها من محلات «روس». إنها من نوعية البشر الذين يصفهم أهل البلدة بـ:

«متواضعة ولطيفة. تملك ثروة طائلة، لكنك لن تخمن ذلك أبداً».

هذا الطراز من الأثرياء يعد دائماً ورقة رابحة أو خاسرة؛ فبعضهم ينتهي به المطاف ليكون لطيفاً نسبيّاً، بينما يميل بعضهم الآخر إلى أن يكون أشد خباثة من أولئك الذين يرتدون ساعات «رولكس»، ويفرطون في لَفح بشرتهم بـ«التان» الصناعي، ويقودون السيارات الرياضية. فمن السهل دائماً تزييف التواضع عندما لا يؤرقك همّ تدبير إيجار بيتك.

أبطأتُ خطواتي عند العتبة، وأنا أعصر شعري المبتل، وقلت:

«آسفة على التأخير، كانت حركة المرور..»

وقاطعتني **غريس**:

«لا داعي للاعتذار، أعلم أن منزلنا قابع في مكان منزوٍ.»

لطالما جعلني «اللطف» أشعر بعدم الارتياح، لا سيما عندما يصدر من أشخاص لا أعرفهم. ومع ذلك، حشَدت عضلات وجهي لأرسم ما أمِلت أن يكون ابتسامة مقنعة.

أدخلتني **غريس** إلى الداخل وأغلقت الباب، وقالت مِشيرة إلى مشجب معاطف فيكتوري قديم:

«خذي راحتكِ في تعليق سِترتكِ.»

وكان هناك مِعطف مطر زيتي اللون معلقاً في أحد الخطافات.

كان المِعطف ضخماً، يكاد يلامس الأرض، وسطحه البلاستيكي اللامع ملطخاً ومكسواً بخطوط من وحل جاف منذ زمن طويل.

خلعتُ سِترتي وعلقتها بجانبه.

قالت **غريس**:

«أحببتُ ألوانها.»

«عفواً؟»

«السِترة.»

«أوه، شكراً،» قلت متوددة، «لقد كانت لوالدي.»

كانت السِترة عبارة عن مزيج فوضوي من ألوان الباستيل الخضراء، والزرقاء، والأرجوانية – وتفوق مقاسي ببضع

درجات، لكنها مريحة. وتحمل نوستالجيا ذات مذاق حلو ومر في آن واحد.

وقالت **غريس** بنبرة بدت صادقة:

«ذوق رفيع.»

وبينما بدأتُ في خلع حذائي المبتل، تحركت **غريس** متوغلة في أعماق المنزل. واستقمتُ واقفة وهممتُ بلحاقها، بيد أن لوحة بانورامية مؤطرة استرعت انتباهي؛ كانت تُظهر خليجاً بحريّاً، وسماوات عاصفة، ومنحدرات صخرية، وشيئاً يشبه شمس بيضاء تبرز فوق أفق بعيد. ثمة أمر في ذلك المشهد الكئيب جذبني إليه؛ وتداخل انعكاسي الضبابي مع الغيوم الداكنة في الصورة. *يا إلهي، بدوتُ منهكة تماماً*. فتحتُ عينيّ أوسع قليلاً، محاولة أن أبدو أكثر يقظة، وأكثر قابليّة للتوظيف.

قالت **غريس**:

«هذا **خليج وينڈْفال**.. زوجي هو من التقط تلك الصورة..»

التفتُّ إليها، وكانت تمرر عينيها فوق الصورة، ولمحة من الانزعاج ترتسم على جانبي فمها، وأردفت:

«إنه دائماً أول شيء يلاحظه الزوار. لا يترك انطباعاً ترحيبيّاً تماماً، لكن هذا هو **ديفيد** على أي حال.»

دست **غريس** خصلة فضية من شعرها خلف أذنها، وهبطت نظراتها إلى هاتف دوار أبيض لامع مستقر على طاولة جانبية. لم

أرَ هاتفاً أرضيّاً منذ برهة، ناهيك عن قطعة أثرية تعود لستينيات القرن الماضي كهذه.

استدارت **غريس** ومضت متهادية في غرفة المعيشة، أو هذا ما افترضتُه؛ فهنا، كان كل شيء يتواجد في ذات المساحة المفتوحة: المطبخ، وغرفة الطعام، وغرفة المعيشة. وبالنظر إلى المظهر الخارجي، كان كل شيء يبدو متناسقاً تماماً مع الطراز العام.

أثاث يعود لمنتصف القرن الماضي ومحافظ عليه بعناية – لوحة ذوقية من الألوان الزرقاء الناعمة، والبنية الفاتحة، وغيرها من الألوان الترابية. ونوافذ ممتدة تكشف عن منظر للغابة المحيطة.

تسكعتُ متقدمة إلى الأمام.

كانت الجدران ذات الألواح الخشبية مغطاة بالصور؛ مزيج من الذكريات – يفيض غالبيتها بأشخاص سعداء ومبتسمين.

حقيقة وجود عائلات ضخمة وسعيدة بالفعل كانت تثير ريبتي دائماً؛ فحين كنتُ طفلة، كان مفهوم وجود أخوال وأعمام وأبناء عمومة متعددين، ولمّ شمل العائلة، يبدو لي وكأنه مجرد هراء اخترعته استوديوهات هوليوود. فما تبقى من عائلتي الممتدة يعيش في أقاصي كندا، والعمة الوحيدة التي كانت تقطن على مقربة منا غادرت الحياة منذ سنوات. وكان جانب والدي من العائلة شحيحاً لدرجة الانعدام، أما جانب والدتي، حسناً، فقد هجرتنا وأنا في الخامسة من عمري، لذا..

ودوت قعقعة أطباق قاطعة حبل تأملاتي. التفتُّ لأرى **غريس** تنبش في الخزائن داخل المطبخ، وسألت:

«هل يمكنني أن أحضر لكِ شيئاً؟ شاي؟ قهوة؟»

«لا، شكراً..»

توقفت عن النبش، ورمقتني بنظرة فاحصة، وقالت:

«هل أنتِ.. بخير؟»

كم كنتُ أمقت هذا السؤال؛ فهو يأتي دائماً عندما لا أتوقعه بتاتاً، كأنه مرآة تُدفع مباغتة أمام وجهي، لِتكشف عن بثرة لم أكن أعلم بوجودها من الأساس.

وقالت **غريس** عائدة للنبش:

«معذرة، تبدين.. مجهدة بعض الشيء، هذا كل ما في الأمر.»

يا للروعة، شكراً لكِ.

وقلت بصيغة الجواب الجاهز لأي استفسار مفاجئ عن حالتي النفسية:

«أنا بخير، مجرد تعب.»

وبدأت **غريس** في ملء غلاية من الصنبور.

حركتُ عنقي محاولة أن أبدو أقل «إجهاداً». *ابتسمي يا مايسي، ابتسمي! أنتِ سعيدة. سعيدة، ومتحمسة، وجديرة بالثقة. أنتِ بارعة في التواصل البصري، فائقة الثقة ومحبوبة للغاية، وأنتِ المرشحة الأفضل لهذه الوظيفة!*

ومع ابتسامة زجاجية مزيفة أخرى التصقت بوجهي، واصلتُ مراقبة ما حولي. وفي الركن البعيد، استقر موقد حطب، ونيرانه تلتهم الخشب بزمجرة. وحتى من الجانب الآخر للغرفة، استطعتُ الشعور بدفئه المنبعث يلامس جلدي. كان الموقد أسود حديديّاً، بباب زجاجي وأنبوب مدخنة ملتوٍ يمتد نحو السقف. ورغم تماشيه مع الديكور العام هنا، فقد كان يبدو نادراً في موضعه – كأنه انتُزع من نزل ناءٍ وجيء به إلى هنا رغماً عنه.

ومن خلفي، علقت **غريس**:

«لا شيء يفوق دفء نار كلاسيكية قديمة، ألا توافقينني الرأي؟»

التفتُّ إلى الوراء وأملتُ رأسي دون التزام بجواب محدد.

كانت **غريس** منحنية فوق منضدة المطبخ الوسطى، تقلب في علبة من شاي الأعشاب. وتمتمت في سرها، ثم التفتت عائدة نحو الخزائن، وواصلت النبش.

هبطت نظراتي إلى الأسفل؛ حيث كان شريط فيديو «VHS» قديم يستقر فوق المنضدة الوسطى، وعلى جانبه ملصق أبيض، خطت عليه كلمات أنيقة بحبر أسود سميك:

«**يُمنع المشاهدة، ما لم يأذن حارس البيت**»

قالت **غريس**:

«يُرجى أن تأخذي راحتكِ.» وأشارت بيدها نحو أريكة بيج.

وترددتُ؛ فثمنها يعادل على الأرجح قيمتي المالية لعشر مرات.

وقلت متعللة:

«آه.. ملابسي لا تزال رطبة بعض الشيء.»

وسخرت **غريس** ملوحة بيدها:

«إنها مجرد أريكة.»

وجلستُ بحذر على طرفها.

وضعت **غريس** الغلاية فوق الموقد، وأدارت المفتاح، فدوى ذلك النقر المجوف المتتالي لـموقد غاز يفشل في الاشتعال. ومع تذمر خافت، مدت يدها فوق الثلاجة، وتلمست صينية خشبية بعمى حتى عثرت على ولاعة طويلة ذات لون أخضر ليموني. واستخدمت الولاعة لإشعال الموقد، ثم أعادتها إلى الصينية.

خطت نحوي، وجلست في مقعد جلدي بني ذي ذراعين، ورفعت نسخة مطبوعة من سيرتي الذاتية عن طاولة القهوة.

وقالت وهي تضيق عينيها متأملة الأوراق:

«إذن.. **مايسي،** آه.. **ميو**.. **لنز؟**»

ولقد شوّهت نطق اللقب بطريقة كانت مثيرة للإعجاب تقريباً.

وامتعض وجهها متابعة: «هذا.. بالتأكيد لقب مثير للاهتمام.»

وقاومتُ رغبتي المتأصلة في الرد بسخرية، أو قول شيء لاذع وعدائي بلا طائل. ولأجل الوظيفة، أبقيتُ على فلتر اللباقة مفعلاً، وقلت:

«أجل، أظن أنه لقب إيرلندي.»

«وكيف يُنطق؟»

«**مولينز**.»

«حسناً، يا **مايسي مولينز**. ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟»

لأنني مفلسة ويائسة.

وقلت مجمّلة الكلام:

«لأنني.. أنا فقط أحب الأعمال ذات المردود المعنوي، والتي تساعد الناس.»

وقالت **غريس** دون أن تفوتها لحظة:

«أنا وأنتِ في هذا سواء.» ثم انحرفت بالحديث إلى شأن آخر قائلة: «لقد اعتتُ التطوع في مأوى للمشردين في جنوب الولاية. ولم يفهم زوجي قط سبب ذلك؛ فهو يرى أن إعطاء الناس "صدقات" لا يجلب سوى مزيد من المشاكل. لكني أذكره دائماً بما يقال عن الأشخاص المشاكسين..» وانقطع كلامها، لتلتقي بنظراتي. وثبّت عيني في عينيها. *كم من الوقت يعد أطول من اللازم؟ هل ينبغي لي أن أرمش؟ لِمَ لا تنطق بشيء؟ هل تنتظر مني حقاً أن أسألها؟*

تنحنحتُ قائلة:

«أوه.. وماذا يقال عنهم؟»

وبابتسامه مفعمة بالنشاط، أجابت **غريس**:

«الأشخاص المشاكسون هم في الغالب أشخاص يمرون بمشاكل.»

وأومأتُ برأسي – فقد كانت عبارة جيدة بالفعل.

وعادت **غريس** إلى مهمتها، وتصفحت بعينيها تاريخي المهني صعوداً وهبوطاً:

«إذن، أنتِ تملكين شهادة في التصميم الجرافيكي؟»

«أجل.»

وقطبت حاجبيها، وقلبت ورقة السيرة الذاتية، ثم قلبتها مجدداً، وقالت متأملة بصوت عالٍ:

«أنا لا أرى أي أعمال تصميم هنا.»

ولم أدرِ إن كانت فظة عن عمد أم أنها تفتقر إلى الوعي بالذات فحسب؛ لعل الأمر يقع في منطقة ما بينهما.

وقلت مبررة:

«أنا.. انتهى بي المطاف لاختيار مسار مختلف.»

وكانت هذه طريقة أخرى لقول: *لم يرغب أحد في دفع المال مقابل جهدي*. ولا يعني ذلك أن الناس لم يعرضوا عليّ «فرصاً رائعة»؛ فبعد تخرجي، انهالت عليّ طلبات للعمل مقابل نيل «الخبرة» أو «الشهرة». لكن، ويا لشدة صدمتي، فإن ملاك العقارات لا يقبلون «الخبرة» كبديل للإيجار.

ربما أنتِ فاشلة فحسب في التصميم الجرافيكي يا مايسي، ألم تفكري في هذا قط؟ كان حواري الداخلي يحرص دائماً على إبقائي «متواضعة»؛ متواضعة وبائسة.

نظرت **غريس** إلى الأسفل مجدداً، ثم رفعت رأسها متسائلة:

«وعملتِ كمقدمة رعاية طوال السنوات الثلاث الماضية؟»

وكذبتُ قائلة:

«أجل، كان عملاً جزئيّاً، ومستقلاً في غالبه.»

«مستقلاً» نقرت **غريس** بلسانها، وتابعت: «هل أنتِ مسجلة رسمياً؟»

«لا، ليس بعد. أنا أعمل على ذلك.» كذبة أخرى؛ فلم أكن أعمل على أي شيء. بالتأكيد، كنت أعرف بعض الأساسيات، لكن في الحقيقة، لم أكن مقدمة رعاية على الإطلاق، على الأقل ليس بالمعنى المهني. فقَبْل ثلاث سنوات، أصبحتُ الوصي القانوني على أختي الصغرى. ليس لأنها كانت بحاجة إلى رعاية كبيرة، أو ترغب فيها، ولم أجنِ سنتاً واحداً من ذلك، ومع ذلك – لا سيما في تلك الأيام الأولى – كان الأمر يبدو كأنه وظيفة لعينة بكل ما للكلمة من معنى.

نقلت **غريس** ثقلها، وعادت عيناها إلى السيرة الذاتية، وقالت:

«وقبل ذلك كنتِ.. تجزين العشب؟»

صححتُ لها القول:

«تنسيق حدائق، تنسيق وصيانة حدائق. كنتُ المشرفة الرئيسية.»

«إذن كنتِ تشرفين على جز العشب؟»

«يمكنكِ قول ذلك.» وأخرجتُ نفساً من أنفي، وعجزتُ مجدداً عن استبيان ما إن كانت فظة عن قصد أم لا.

كنتُ الشخص الثاني في القيادة لدى شركة «مولينز لجز العشب»؛ عمل والدي الخاص المكون من شاحنة واحدة وموظفتين. وبالطبع، كانت الموظفتان هما ابنتاه، وبالطبع، أسقطتُ تلك التفاصيل المحددة من سيرتي الذاتية. كما أسقطتُ فترة عمل لثلاثة أشهر في «ستاربكس»، وسلسلة من الوظائف الأخرى التي انتهت بكوارث.

ونفدت أسئلة **غريس**، فتطلعت حولها، وتجعدت ملامح وجهها بأسى، وقالت:

«ربما تتساءلين أين زوجي.»

ولم أكن أفعل، حتى طرحت الأمر. وبالنظر إلى أنها وظيفة تقديم رعاية، فقد افترضتُ أنه طريح الفراش في مكان ما.

وتابعت **غريس** ملتفتة إليّ، وتزن كلماتها القادمة بعناية:

«حسناً.. كان يجدر بي أن أكون أكثر وضوحاً في الإعلان، ولكن.. قبل ثلاثة أشهر.. فارق زوجي الحياة في الواقع.»

وتراجعتُ إلى الخلف، وشعرتُ بحاجبيّ ينعقدان بالحيرة. ولم أملك سوى إخراج تساؤل متخبط:

«أوه..؟»

وابتسمت **غريس** بحزن:

«لقد كان الأمر عصيباً، لكننا كنا مستعدين له منذ زمن طويل.»

وضغطت بإبهامها في باطن كفها، محركة إياه في دوائر صغيرة.

وسرى في أوصالي شعور بعدم الارتياح، كأن حشرات صغيرة بدأت تخرج من مسام جلدي.

وتأملتني **غريس**، ملتقطة علامات عدم ارتياحي الواضح، وقالت: «أنا أمقت حقاً مفاجأتكِ هكذا، لكن لو تركتِني أشرح لكِ، ستفهمين لِمَ اضطررتُ لـ.. تحوير الحقيقة قليلاً.»

قليلاً؟ وانقبضت أصابع قدمي. لولا أنني كنتُ يائسة وبحاجة ماسة للمال، لكنتُ غادرتُ المكان في تلك اللحظة بالذات.

واحمرّت وجنتاها:

«لا تقلقي، أنا لا أطلب منكِ رعاية شبح أو شيء من هذا القبيل..»

وأخذت ركبتها تتحرك صعوداً وهبوطاً متابعة: «أنا أحتاج فقط لشخص يحافظ على العناية العامة بالمنزل أثناء غيابي في نهاية هذا الأسبوع. هذا كل ما في الأمر.»

«إذن.. جليسة منزل؟»

وأومأت برأسها، ووجهها يزداد احمراراً:

«ولِمَ لم أقل ذلك في الإعلان مباشرة، أليس كذلك؟»

«صحيح..»

واستطردت:

«زوجي **ديفيد**، كان غريب الأطوار بعض الشيء، إن أردنا تلطيف الوصف. وكان لديه طقوس يومية محددة للغاية لملكيتنا، وعلى فراش موته، جعلني أقسم له أن أحافظ على استمراريتها. ولقد كنتُ

أفعل ذلك بدقة، لكن الأمر بدأ يصبح مضجراً. أنا بحاجة إلى راحة، ولا أود تفويت عيد ميلاد حفيدتي؛ فهي تقطن في أقاصي فلوريدا، كما ترين.»

وشبكتُ ذراعيّ وضغطتُ على أسناني:

«لا أزال لا أفهم. لِمَ لا تنشرين إعلاناً لجليسة منزل فحسب؟»

وصمتت برهة تفكير، وقالت:

«حسناً، كما يمكنكِ التصور، فإن طلبات كهذه تميل لجذب.. مرشحين غير مرغوب فيهم. لكن الأمر الأهم، هو أنه على الرغم من أن الطقوس اليومية نفسها بريئة وعادية تماماً، فإن الأسباب الكامنة وراءها لدى زوجي قد تثير قلق البعض. فحتى وفاته، كان يؤمن حقاً أن روتيناته تمنع حدوث بعض..» وبحثت عن كلمة، واستقرت على: «العواقب».

وتزاحمت في عقلي أسئلة كثيرة. ودفعتني رغبة فضولية لمعرفة التفاصيل لسؤالها:

«وهذه العواقب هي؟»

وامتعض وجهها مجدداً:

«للأسف، هذه معلومات خاصة، فقط لمن يقبل بالوظيفة. والأمر عينه ينطبق على الطقوس نفسها.»

وهنا تكمن العقدة؛ وهذا هو السبب الذي دفع صاحبة سيارة «الميني كوبر» للمغادرة غاضبة. لا، من أخدع؟ لقد غادرت على الأرجح

في الثانية التي علمت فيها بأمر الزوج الميت. ليتني كنتُ مستقرة ماليّاً بما يكفي لأفعل الشيء ذاته.

وتنهدت **غريس**، قارئة تعبيرات وجهي مرة أخرى، وقالت:

«أعلم، أعلم. لكن **ديفيد** كان حازماً للغاية: كلما قلّ عدد الناس الذين يعلمون بهذا، كان ذلك أفضل.» ومرت ذكرى كئيبة أخرى على وجهها مكملة: «بالطبع، ليس لأي من أسبابه أي أساس واقعي – مجرد شطحات من عقل عليل. هراء مطبق.»

وكان فلتر لباقتي ينزلق، فسألتها:

«إذن لِمَ تكلفين نفسكِ العناء؟»

وعقدت حاجبيها:

«عفواً؟»

«إن كان كل هذا هراءً، وزوجكِ..» وتوقفتُ قبل أن أنطق بكلمة ميت. «لِمَ تواصلين اتباع طقوسه من الأساس؟»

وتراجعت **غريس** في مقعدها، وشبكت ساقيها، ونقرت بأصبعها على مسند الذراع الجلدي. وارتجفت عينها اليسرى، وقالت:

«لأنني قطعتُ وعداً لرجل يحتضر، وأنا امرأة أفي بكلمتي.»

وظل ذلك الكلام معلقاً في الهواء لثلاث ثوانٍ متينة.

وقلتُ:

«منطقي تماماً. لكني آسفة، هذه الوظيفة لا تناسبني.» ومع ابتسامة زجاجية أخرى، نهضتُ عن الأريكة وتحركتُ مبتعدة. وبصرف

النظر عن كل شيء، لم يكن هناك أي مجال لأوافق على وظيفة لا أعلم حتى ماهيتها؛ فبناءً على ما أعرفه، قد ينتهي بهم المطاف بالتضحية بي للشيطان.

وظلت **غريس** قابعة في مقعدها، تراقب رحيلي، وتبدو وكأنها ترغب في قول شيء آخر لكنها عجزت عن إخراجه. وكان خذلانها مسموعاً تقريباً، كأن فرقة من كمانات صغيرة بدأت تعزف بحزن.

وكنتُ على الأرجح مجرد رفض آخر في سلسلة طويلة من مقابلات العمل. ليست مشكلتي.

انعطفتُ عند الزاوية وتراجعتُ إلى الردهة. وبينما كنتُ أرتدي سِترة والدي القديمة وأبدأ في ربط حذائي الرياضي، برزت **غريس** في مداي البصري المحيطي.

وكما هو متوقع، علقت قائلة:

«أوه، لقد نسيتُ أن أذكر شيئاً.»

ونظرتُ من فوق كتفي.

وقالت **غريس**:

«أنا آسفة لإلحاحي الشديد، أنا حقاً كذلك. وأتفهم تماماً إن لم تكن الوظيفة مناسبة لكِ. صدقيني، أنا واعية وبشدة لمدى غرابة كل هذا، وأمقت أن أكون مبهمة هكذا. أنا فقط.. لديّ شعور جيد حقاً تجاه هذه المقابلة.»

شعور جيد؟ تجاه هذه الكارثة؟

وبعد ذلك، وبابتسامة رقيقة وصوت لطيف، صوبت نحو نقطة ضعفي الكبرى متسائلة:

«هل أنتِ مستعدة على الأقل لسماع قيمة الأجر؟»

4
أوقات عصيبة

لقد بعتُ نفسي.

عرضت عليّ **غريس** ستة آلاف دولار مقابل عمل يستغرق يومين فقط؛ نصفها مقدماً، والنصف الآخر بعد انقضاء نهاية الأسبوع. ولكن انتظر، ليس هذا كل شيء؛ فهناك مكافأة إضافية بقيمة ثلاثة آلاف دولار بناءً على مدى دقة إتباعي للطقوس. تسعة آلاف في المجمل. ومع صفقة كهذه، فإن عدم بيع نفسي كان سيعد بيعاً لنفسي. حتى إن **غريس** تكفلت بكلفة عودتي إلى المنزل عبر خدمة «أوبر». وقالت حينها متعجبة:

«يا إلهي، هل استقللتِ وسائل النقل العام كل هذه المسافة إلى هنا؟ يا لكِ من مسكينة. لم أكن أعلم حتى إن الحافلة لا تزال تصل إلى هذا الحد..»

وكذبتُ مجدداً قائلة:

«أجل، سيارتي في ورشة الإصلاح.» فجزء مني كان يخشى أنها لو علمت كم أنا معدمة حقاً، لاتصلت بالشرطة أو ما شابه لتصيح: *«أجل يا سيادة الضابط، لقد سمعتني جيداً: هناك حثالة مفلسة ملوثة بالقاذورات في منزلي».*

والآن، كنتُ أشخص ببصري خارج نافذة سيارة «الأوبر»، راقبة الأشجار المظلمة وهي تتلاشى سريعاً مرة أخرى، ومستمتعة بالمقاعد الجلدية المدفأة وغياب أضواء الفلورسنت الباردة الطنانة. واهتزت السيارة مباغتة إثر عبورها فوق حفرة، ورأيت حقيبة ظهري التي عليها صورة بيكاتشو(شخصية كرتونية من بوكيمون) تتأرجح من زاوية عيني. وبدا شكل مستطيل يبرز من بطن «بيكاتشو»، كأنه على وشك إخراج قالب طوب. صحيح، إنه شريط الفيديو المنزلي «VHS». ومع تدفق كل تلك الآلاف التسعة، كدتُ أنسى أمر الوظيفة نفسها؛ ما يُسمى بـ« الطقوس اليومية ».

فبعد أن وافقتُ على المنصب، سلمتني **غريس** الشريط قائلة: «هذا سيشرح بالتفصيل كل ما تحتاجين إلى معرفته.» ويبدو أنها لم تشاهده بنفسها قط؛ إذ أردفت بعد صمت: «لقد شرح لي **ديفيد** كل شيء شخصيّاً.. ولأكون صادقة، لستُ متأكدة إن كنتُ مستعدة لرؤيته مجدداً بعد، حتى وإن كان مجرد مقطع فيديو..»

وأخبرتني أن **ديفيد** كان سيصر على أن أشاهده بمفردي، وذكّرتني باعتقاده بأن *«كلما قلّ عدد الناس الذين يعلمون الطقوس اليومية، كان ذلك أفضل»*. لكنها قالت كل هذا بنبرة تنضح بالتعالي، مكررة باستمرار أن الأمر برمته مجرد «هراء وخرافات». ومع ذلك، لم أملك سوى استشعار مسحة ملحة من الشك تتوارى خلف كلماتها – كحال ملحد يؤرقه قلق من أن يكون الجحيم حقيقة حية، ولو بنسبة

ضئيلة للغاية. فعلى أي حال، كانت تأخذ الأمر بجدية كافية لتدفع لعجزي البائس تسعة آلاف دولار..

لا يمكن لطقوس يومية أن تكون بكل هذا السوء، أليس كذلك؟

طنين.. طنين.. طنين..

ارتج هاتفي ملامساً جانب ساقي. أخرجتُه ونقرتُ على الشاشة. إشعار من مصرفي، كُتب عليه ببساطة: «**هام**». وانقبضت أمعائي؛ هل هبط رصيدي دون العشرة دولارات مجدداً؟ هل باغتتني رسوم سحب على المكشوف أخرى؟ فالمصرف يعشق فرض رسوم مالية عليّ عندما لا أملك سنتاً واحداً.

وحوّمت سبابتي فوق الإشعار.

لو ضغطتُ عليه، سينفتح تطبيقي المصرفي – وهو أمر أتحاشى فعله مستميتة بكل ما أوتيت من قوة. *لا تنظري.* هاتان الكلمتان تلخصان تقريباً كامل تخطيطي المالي. بل إنني حفظتُ الموقع الدقيق الذي يظهر فيه رصيد حسابي الجاري على الشاشة؛ وبذلك يمكنني تغطيته بكفي كلما احتجتُ لفتح التطبيق: *إن لم تكن تراه، فلن يؤذيك.* منطق أطفال صغار؛ منطق طفل يحجب وجهه ليتوارى عن ناظري وحش، بيد أن الوحش يجد دائماً سبيلاً ليبرز رأسه القبيح.

وفي كل مرة أستخدم فيها بطاقتي لأي شيء، كاد قلبي ينفجر من الهلع في الثواني التي تلي عملية المسح:

نقر.. «جاري المعالجة»..

و.. *«تم القبول».*

الحمد للرب.

بالطبع، غدت عبارة «تم الرفض» هي الأصل في هذه الأيام. وبطريقة ما، كان حتى ذلك الرفض يحمل «لعنته» الخاصة؛ إذ كانت ماكينات بطاقات معينة مفرطة في القسوة تعاجلني بـ:

«تم الرفض – لعدم كفاية الرصيد»

تفضلي، قوليها بصوت أعلى ليسمع الجالسون في الخلف. على الأقل مع عبارة «تم الرفض» كان بمقدوري أن أتمتم قائلة: «عجباً، يبدو أن بطاقتي معطلة قليلاً».

وكان الموظف يجيبني: «أجل، ماكينتنا تفعل ذلك طوال الوقت». وكلا الخصمين يعلم علم اليقين أن رصيدي الحالي يقل عن ثمن زجاجة بيبسي بدولارين.

نفضتُ أعبائي المالية جانباً، وضغطتُ على أسناني، ثم نقرتُ على إشعار المصرف، و..

تم استلام تحويل مصرفي بقيمة 3,000 دولار من

Carnswel54@aol.com

ملاحظة: الدفعة الأولى من أصل 3 دفعات مقابل رعاية المنزل والحفاظ عليه

ثلاثة آلاف دولار.

كان هذا أضخم مبلغ يستقر في حسابي الجاري دفعة واحدة. وكان هذا مجرد الدفعة الأولى من أصل ثلاث دفعات.

حتى إنني قمتُ بحركة احتفالية غبية بقبضة يدي داخل سيارة «الأوبر». وشعرتُ وكأنني نفذتُ للتو أكبر سرقة في القرن. ورحتُ أفكر في كل الأشياء التي يمكنني ابتياعها: سماعات جديدة، تذاكر حفلات، وحقيبة ظهر لا تتداعى أطرافها..

تمهلي يا مايسي، لا تفرطي في الاسترسال.

وكالعادة، بُتر مزاجي الجيد من ركبتيه بواسطة ذلك الصوت الصغير القابع في رأسي؛ رفيق دائم اعتدتُ حجب وقوعه بالموسيقى، يحرص دائماً ألا يطول شعوري بالسعادة: *مهلاً يا مايسي مولينز، احذري الآن؛ فلو تركتِ ذلك الشعور يتضخم أكثر من اللازم، فقد يستحيل فرحاً. ونحن جميعاً نعلم إلى ماذا يستحيل الفرح..*

تباً. الفرح يستحيل دائماً إلى قذارة.

أنتِ تملكين مسؤوليات يا مايسي، إياكِ أن تنسي ذلك؛ فلديكِ فواتير لتسديدها، ولديكِ أخت صغرى لتعيليها.

وعلى مضض، نقرتُ عائدة إلى تطبيقي المصرفي؛ فسددتُ فواتير الكهرباء الخاصة بنا، وأرسلتُ المال عبر تطبيق «Venmo» إلى مالك بيتنا (والذي تكرم بترك إنذار إخلاء فوق بابنا قبل بضعة أيام)، وأعددتُ قائمة بقالة. ثم دستُ هاتفي جانباً، وشبكتُ ذراعيّ.

ربما يمكنني مكافأة نفسي، لمرة واحدة فقط.

أخرجتُ هاتفي، وأضفتُ سماعات الرأس إلى قائمتي، و..

لا تنسي جهاز استنشاق الربو الخاص بـجيما. ومع تذمر خافت، حذفتُ «سماعات الرأس» ودونتُ «جهاز الاستنشاق». فوصفة أختي الطبية قابعة دون سداد في صيدلية «والغرينز» منذ ستة أسابيع الآن. ثمانية وتسعون دولاراً.

وبدأ رأسي يؤلمني. رحتُ أدلك صدغيّ بحركات دائرية بطيئة لم تفلح في تخفيف الألم. لم تكد الآلاف الثلاثة تستقر في حسابي لخمس دقائق حتى تبخر نصفها بالفعل.

وارتج هاتفي مجدداً، فنقرتُ على الشاشة:

جيما: هل متِّ؟

مايسي: ليس بعد.

جيما: يا للخسارة. متى تصلين؟

مايسي: 45 دقيقة.

جيما: أراكِ قريباً، أبغضكِ كثيراً!

مايسي: وأنا أبغضكِ أيضاً :')

5

طقس سيئ

في المرات القليلة التي غامرتُ فيها بالخروج من الولاية، كان كل حديث يدور حول مسقط رأسي يمضي تقريباً على النحو ذاته:

«من أين أنتِ؟»

يسألني الناس.

فأجيب:

«من أوروغوان، من **سالم**، أوروغوان».

«أوه، بلدة الساحرات!»

«لا، تلك **سالم**، ماساتشوستس».

«عجباً.. لم أكن أعلم أن هناك مدينتين باسم **سالم**».

وعند هذه النقطة تنتهي معظم الأحاديث عن مسقط رأسي. كان الناس يبدون دائماً خائبي الأمل نوعاً ما لأنني لستُ من تلك البقعة التي شهدت حرق «الساحرات» على أعواد الحطب بأيدي متعصبين مجانين. وأظنني كنتُ أشعر بخيبة أمل طفيفة أيضاً؛ فذلك التاريخ يعد مدخلاً ممتازاً ومثيراً للحديث.

كنتُ أتحمس بشدة للدفاع عن مسقط رأسي – بفخر أبناء **سالم** – حين كنتُ طفلة لا تزال تملك الطاقة للاهتمام بأمور كهذه. كانت **سالم** مكاني المفضل في العالم بأسره، لكن بدا أن معظم البشر

خارج أوروغوان لا يعلمون بوجودنا أصلاً. كلهم يعرفون **بورتلاند**، ولكن **سالم**؟ كم تبعد عن **بورتلاند**؟

كانت **مايسي** الطفلة تعلن بغير مناسبة غالباً:

«**سالم** هي العاصمة الفعلية لولاية أوروغوان، ونحن نقبع بجوار ملهى "الغابة المسحورة" الترفيهي الذي شيده رجل واحد بمفرده تقريباً، ولدينا مكتبة يقطنها قط». كل هذا صحيح يا **مايسي** الصغيرة العذبة، لكننا الآن في منتصف مشاهدة فيلم!

مات شغفي بـ**سالم** جنباً إلى جنب مع معظم شغف طفولتي الآخر: مكعبات «دوبلو»، وأفلام ديزني، وأرنب محشو يدعى **دوك**؛ وكلها أُقصيت إلى الركن الخلفي لخزانة تخزين مغبرة. وفي هذه الأيام، في المرات النادرة التي يسألني فيها أحدهم من أين أنا، أكتفي بالقول: «أوروغوان». وإذا ما ألحّوا في السؤال، أجيب باقتضاب: «وسط أوروغوان». فلم أعد أملك الطاقة لتثقيف الغرباء حول التاريخ الجغرافي لحرق الساحرات.

ربما تحولتُ إلى تيس سوداوي، لكن عندما يتعلق الأمر بـ**سالم**، فلتتخيل أي بلدة تقع على طريق سريع في أمريكا، وستكون الصورة التي يستحضرها عقلك قريبة كفاية من الواقع؛ حقول قمح، متجر «وول مارت»، وسط بلدة يضم بعض المباني الآجرية القديمة، ومركز تسوق يحتوي على متجري «بست باي» و«تي جيه ماكس». وأضف إلى ذلك بضعة مشاريع تجارية صغيرة سُدّت

نوافذها بالألواح الخشبية بعد أن حلّ «وول مارت» في الجوار.

البقاء للأرخص.

وكانت السماء في **سالم** رمادية في معظم أيام السنة. وأحياناً تظل رمادية لفترة طويلة لدرجة تنسيني أنها زرقاء في الأصل. لكني لم أكن أمانع ذلك الجزء قط؛ فأنا أحب الطقس «السيء»، وأعشق الاستيقاظ على صوت تساقط المطر وهو يضرب النافذة. فهذا يجعلني أشعر بذنب أقل حيال كوني حطاماً بشريّاً بائساً طوال الوقت. إن الشمس شخصية منبسطة مفرطة الحماس، تواصل الصراخ بأشياء من قبيل: «اقلبي ذلك العبوس ابتسامة!» و«انهضي واستعدي يا بطلة، لنقفز من الفراش ونقفز نحو طاقة إيجابية!»

تباً للشمس.

امنحوني مطراً، امنحوني غيوماً، امنحوني يوماً كئيباً في الداخل لا عمل لي فيه سوى الانكفاء فوق الأريكة، ولعب ألعاب الفيديو، وإعادة مشاهدة مسلسل «Over the Garden Wall».

وانتزعني ذلك النقر المتتالي لإشارة انعطاف سيارة الأوبر من تأملاتي السوداوية. لقد اقترب مخرجي. تطلعتُ عبر حافة الطريق السريع؛ حيث امتد حقل مغمور بالمياه نحو أفق مظلم حلاك. هذه إذن ضواحي **سالم**.

وكان فندق قديم يستقر على حافة ذلك الحقل؛ فندق **هاوثورن**. ولقد سُدّت نوافذه بالألواح الخشبية العام الماضي لأن الحقل كان يفيض بالمياه باستمرار. وباتت جدرانه الآن مغطاة برسومات الغرافيتي، كأن المبنى قد ولج صالون وشوم وطلب الحصول على كل رسمة في الكتالوج. وكانت **جيما** تسميه «فندق بوست مالون»، وتقول إن ساحراً قد لعن الرجل ليعيش إلى الأبد كهيئة فندق مهجور. كانت أختي تعشق ابتكار استعارات غريبة؛ ويبدو أن الأمر يسري في العائلة.

ويجاور فندق **هاوثورن** مطعم «دينيز». ولقد صمد لبضعة أشهر أطول من الفندق، لكنه انتهى مسدود النوافذ بالألواح الخشبية عينه. واعتاد والدي أن يأخذنا إلى هناك لتناول وجبة الإفطار في المناسبات الخاصة. *أشتاق لتلك الأيام.*

وانعطفت سيارة الأوبر نحو المخرج، واهتزت السيارة فوق الأسفلت الأكثر خشونة بينما مررنا بكتلة من المنازل المصادرة. وارتفعت لافتة إعلانية ضخمة لمشروع مجمعات سكنية آخر تلوح فوق المنازل الكئيبة كأنها جلاد. إنه الغزو الطبقي الفاخر الذي يتسلل من الشمال؛ غزو فضائي بطيء الحركة.

وكانت تلك اللافتات الإعلانية تبدو متشابهة دائماً بشكل أو بآخر: أزواج من الطبقة البرجوازية الحديثة مصممون بواسطة الذكاء الاصطناعي بأسنان شديدة البياض، وكلاب من فصيلة غولدن

ريتريفر بأعين هامدة، وأطفال سعداء يلعبون التنس. وكان بوسعهم أيضاً إضافة وحيد قرن أليف، فذلك سيبدو قابلاً للتحقيق بالقدر ذاته. خمس سنوات من الآن وسيستحيل هذا المكان بأكمله فروعاً لـ«ستاربكس»، و«هول فودز»، وعقارات مستأجرة تملكها شركات كبرى بأسعار تفوق بست مرات أي مبلغ يمكنني تدبيره.

أبطأت سيارة الأوبر لتتوقف أمام مكاني. وتساءل السائق بنبرة تشكك:

«أهذا هو المكان؟»

كانت معظم المباني في هذا الركن من البلدة تبدو مهجورة تماماً، بما في ذلك شقتي؛ مبنى من طابق واحد على شكل حرف L، يقبع قابضاً وهزيلاً أمام مجموعة من الأشجار بائسة المظهر. لقد كان في الأصل موتيلًا أُعيد استغلاله – من طراز الموتيلات التي تراها في أفلام الرعب والقتل في ثمانينيات القرن الماضي. وكانت بقع المياه البنية تتدفق على واجهته الجصية البيضاء كمسكارا رخيصة سُكبت في يوم ماطر.

وخاطبني السائق مستحثّاً:

«يا آنسة؟»

«هذا مكاني» قلت وعيناي لا تزالان مثبتتين على البقعة التي أسميها بيتاً. والتقطتُ حقيبة ظهري وترجلتُ. وانطلقت سيارة الأوبر مبتعدة قبل أن أتمكن حتى من بلوغ الرصيف المائل.

وسرتُ متجاوزة «مسبح» شقتي الخارجي – والذي لم يكن صالحاً للعمل منذ ما لا يعلمه إلا الله. وكان مشمع وردي بلون اللحم يمتد فوق الجانب العميق منه، كأنه يحاول تغطية جثة في مسرح جريمة. وكان الركن البعيد من المشمع منقشعاً، كاشفاً عن طبقة حبرية لزجة من الطين في الأسفل – من نوع العكارة التي تذكرني بـ«رجل القطران» من فيلم «Return of the Living Dead».

وتحولت عيناي إلى لافتة صدئة مثبتة فوق ما تبقى من لوح الغطس:

«لا يوجد منقذ في الخدمة»

ووصلتُ إلى عتبة بيتي وأخرجتُ مفاتيحي. وبينما كنتُ أدير القفل، لم أملك إلا أن ألاحظ بقايا مادة لاصقة لشريط لاصق فوق الطلاء الأبيض للباب. هناك حيث ترك مالك العقار إنذار الإخلاء. ولقد خبأته بعيداً قبل أن تتمكن أختي من رؤيته، ومع ذلك، كنتُ أصاب بـ«فلاشباك» وارتداد ذكريات في كل مرة أعود فيها إلى المنزل.

إنه لشعور مرعب وعنيف أن تكون مهدداً بالإخلاء. وقد جعلت الصياغة القانونية الجافة للرسالة الأمر أكثر رعباً؛ فلم أكن سوى زبونة عاجزة عن دفع مستحقاتها، وكان هذا مجرد قرار تجاري بحت:

«الآنسة مولينز،

للأسف، لم نتمكن من تسوية الرصيد المتأخر الخاص بك.
وإن لم يتم الرد في الوقت المناسب، فسيؤدي ذلك إلى طردك أنت وأي مستأجرين آخرين. وإذا اضطررنا إلى اتخاذ إجراءات قانونية، فقد تُضاف تكاليف ورسوم إضافية إلى
رصيدك المستحق. وسيكون لذلك تأثير سلبي على سجلك الائتماني، مما قد يجعل من الصعب عليك الحصول على سكن للإيجار في المستقبل.
يرجى استشارة خبير قانوني لفهم حقوقك.
نشكرك على اهتمامك الفوري بهذه المسألة. »

حسناً، لقد سددتُ القيمة في الوقت الحالي – وكتب لـلأختين مولينز العيش ليوم آخر. وبظفري، كشطتُ الجزء الأخير من بقايا المادة اللاصقة وقذفتُ بها نحو الظلال. وتمتمتُ في سري ودلفتُ متثاقلة إلى الداخل.

بيت، يا بيتي العزيز.

6
هجوم

كانت شقتنا الاستوديو أكبر بقليل من مرآب يتسع لسيارة واحدة. مائتان وتسعون قدمًا مربعًا من السجاد البني ذي الوبر الطويل، وجدران خضراء شاحبة، وسقف أبيض من الجص. وكانت تحتوي على ركن صغير يشبه الردهة، بجانبه خزانة تخزين، وحمامًا به مقصورة دش لا تزيد درجة حرارة الماء فيه عن الدافئة.

سحبتُ الباب الأمامي لأغلقه، وأدرتُ القفل. وانحنيتُ على ركبة واحدة وبدأتُ في فك حذائي الرياضي. وناديتُ بصوت عالٍ:

«**جيما؟**»

ولم يتلقَّ خطابي أي رد؛ سوى مشاجرات مكتومة لجيراننا في الشقة المجاورة.

وكان تلفازنا مشعلاً، متوارياً عن ناظري قليلاً، ومكتوم الصوت. وكان هو مصدر الضوء الوحيد في المكان؛ يلقي بريقه المزرق ظلالاً مائية خلف كل كومة من كومات الفوضى. وهي فوضى كدتُ أصاب بالعمى عن رؤيتها، تماماً مثل تلك الرائحة الخفيفة للعفن. وناديتُ مجدداً:

«**جيم؟**»

وضعتُ حذائي الرياضي فوق رف الأحذية وضغطتُ على ركبتي لأستقيم واقفة. وعلقتُ حقيبة ظهري وتحركتُ متهادية إلى الأمام. كان ملاذ **جيما** المفضل، وهي أريكتنا التي تتحول إلى فراش، خالياً. ولقد عثرنا على هذه الأريكة عند رصيف الشارع بعد أسبوع من انتقالنا إلى هنا – وكان أحدهم قد رش كلمة «مجانًا» بطلاء بخاخ أحمر على جانبها الخلفي.

تطلعتُ نحو التلفاز، وهو جهاز قديم من نوع CRT كنا قد سحبناه أيضاً من عند الرصيف. وكانت مغامرات «لوني تونز» تعرض على شاشته الزجاجية اللامعة؛ حيث كان **إلمر فاد** يشخص ببصره نحو حفرة سوداء بينما يتسلل **باغز باني** من خلفه بحركات مفرطة في السير على أطراف أصابعه، حاملاً مطرقة ضخمة. وقبل أن يتمكن **باغز** من سحق **إلمر**، مددتُ يدي نحو جهاز التحكم، وأطفأتُ التلفاز. فحلّ الظلام.

وتلمستُ طريقي بحثاً عن أقرب مفتاح إضاءة ودوى نقر الـ.. *لا شيء*. صحيح، توصيلات كهربائية معطلة. فطالما تجاهل مالك عقارنا طلبات الإصلاح. وبالتأكيد هو في الطليعة عندما يتعلق الأمر بتوزيع تهديدات الإخلاء، لكن معاذ الله أن يملك الوقت يوماً لإصلاح أي شيء فعلياً. ومع غياب أي مصدر ضوء آخر في متناول يدي، أعدتُ تشغيل التلفاز، ليعود توهجه المائي ويملأ الغرفة من جديد.

قذفتُ بجهاز التحكم فوق الأريكة وتطلعتُ نحو مطبخنا. لا أثر لـ**جيما**.

ومن ناحية الردهة، دوت قشطة سريعة وخافتة؛ صوت معدن يحتك بمعدن. واستدرتُ وملتُ بجسدي لأحظى برؤية أفضل.

ولم تكن **جيما** في الردهة، ولكن.. استرعت مرآة الحمام انتباهي. كانت ستارة الدش منسدلة، وضوء التلفاز الأزرق يرتجف فوق سطحها المنقط بالدوائر. ثمة أمر مريب وفريد من نوعه كان يكتنف ذلك المشهد؛ كأن كينونة خبيثة تقف على الجانب الآخر – إما هذا أو أخت صغرى تثير الأعصاب بشكل لا يصدق.

وضغطتُ على أسناني قائلة في سرّي:

«**جيما؟**»

حين كنا أطفالاً، اعتادت **جيما** الاختباء مني، والوثوب مباغتة لتصرخ: «*هجوم!*» عندما أكون في أقل حالات ترقبي. غير أن **جيما** باتت في السابعة عشرة من عمرها الآن؛ ليست بالغة تماماً، بالتأكيد، لكنها كبيرة كفاية لتكف عن التصرف كطفلة رضيعة.

وتنحنحتُ قائلة بصوت مسموع:

«**جيم**، إن باغتّني بـ"هجوم"، فسينتهي بنا المطاف كلتينا في نشرات الأخبار غداً.»

ودام الصمت مجدداً؛ لا شيء سوى ذلك الطنين الخفيض لفتحة تهوية علوية. حتى الجيران كفوا عن الشجار. وأبقيتُ نظراتي مثبتة على تلك الستارة، والتوتر ينبض في قفا عنقي.

وشعرتُ بالغباء لإثارة أعصابي هكذا بلا طائل، ولكن.. تطفو الأفكار الغريبة إلى السطح عندما أجد نفسي في أماكن هادئة ومقلقة؛ إذ تستيقظ تصورات من أعمق زوايا دماغي وتزحف صعوداً نحو غرفة المعيشة، لتهمس بقصص عن أشباح ووحوش. ومثلما كنتُ أفكر في تلك اللحظة بالذات في النمط المنقط لستارة الدش، دوائر حمراء فوق أرضية رمادية.

«جلد بهلوان»، هكذا أسمته **جيما** ذات مرة. مما جعلني أتخيل أن مستأجراً سابقاً قد صاد مخلوقاً من مخلوقات السيرك، وعلق جلده هنا ليجف. وربما يعود ذلك المخلوق، بلا جلد ويطلق صرخات مدوية، باحثاً عن استعادة فرائه. تفكير غريب، أعلم ذلك.

وبصرف النظر عن كل هذا، فعندما لا يكون الدش قيد الاستخدام، كنا نحرص دائماً على إبقاء الستارة مفتوحة؛ *قاعدة البيت*. فمنذ أن كنا أطفالاً، كان يراود كلتينا ذلك الشعور الزاحف بأن شيئاً مروعاً يتمثل خلف الستائر المغلقة لـدش لا يُستخدم. وكنا نعلم، أو على أقل تقدير كنتُ أعلم، أنه مجرد خرافة تافهة، بيد أنها خرافة لم نكبر لنشفى منها تماماً قط.

وضيقتُ عينيّ متأملة النمط المنقط، كأنما أحاول إجبار نفسي على الرؤية عبر البلاستيك. وشعرتُ بالحرج، فنفضتُ عني ذلك البارانويا والارتياب أخيراً، وخطوتُ بقوة نحو الحمام، وأشعلتُ الإضاءة مباغتة، ثم سحبتُ الستارة بعنف، و.. *فراغ*.

وتراجعتُ خطوة إلى الوراء، وأطلقتُ تذمراً يحمل الكثير من الانزعاج. والتفتُّ نحو مخبأها الوحيد المتبقي: خزانة التخزين القابعة في مواجهة الردهة. وبالتأكيد كان الباب موارباً، يبرز منه شق رفيع من الظلام. وسرتُ نحوها، وفتحتُ الباب على مصراعيه، و.. لا وجود لأختي الغبية هنا أيضاً.

مددتُ يدي وسحبتُ خيط الإضاءة، فارتج مصباح متدلٍّ وحيد عائداً للحياة، ليلقي بوهج فلورسنستي بارد فوق جدار متزعزع من الصناديق الكرتونية. صناديق تفيض بذكريات من بيتنا القديم؛ أشياء كنا نجرها معنا من مكان إلى مكان، أشياء لم نملك الجرأة لرهنها والتخلص منها بعد. ليس في الوقت الحالي على أي حال–

– «هو..» وانفتح باب الحمام مباغتة لتثب **جيما** خارجة من الزاوية التي تتوارى خلفها.. «جووم..»

وقبل أن تتمكن من إخراج النصف الثاني من كلمة «*هجوم*»، ارتد الباب بعنف إثر اصطدامه برف الأحذية، وانجلد عائداً إلى الوراء، ليضربها مباشرة على أنفها.

عدالة السماء.

7

كليبتو

تلوّت **جيما** فوق الأريكة، وقد مالت برأسها إلى أقصى الخلف، وهي تسدّ رُعاف أنفها بورق تواليت خشن.

سرتُ متوجهة إلى المطبخ ودَفعتُ جانباً فوضى المنضدة، وقلتُ:

«حقّاً يا جيما.. هل أنتِ في الثالثة من عمركِ؟»

ورفعتُ حقيبة ظهري فوق المنضدة، وفتحتُ سحابها، وبدأتُ النبش في داخلها.

قالت **جيما**، وصوتها ينضح بغنّة أنفية من خلال المنديل:

«كنتُ سأنال منكِ لولا ذلك الباب المشاكس.»

«أنتِ محظوظة لأنني لم أكسر أنفكِ أولاً.»

«لم يُكسر.»

«للأسف.»

واندثرت **جيما** متراجعة إلى الخلف أكثر فوق الأريكة، ولا تزال تشخص ببصرها نحو السقف. ومررت يدها عبر شعرها، أو بالأحرى، غياب شعرها؛ فقد حلقت رأسها تماماً لتبدو بقصة «البوز كوت» منذ أسبوع أو نحو ذلك.

وكانت قد عللت ذلك حينها قائلة:

«إنها أرخص من صالونات غريت كليبس».

«كان بمقدوري قصه لكِ، تعلمين ذلك.»
«بالتأكيد كان بمقدوركِ. تباً، في المرة الأخيرة قصصتِ أذني أيضاً.» وأشارت حينها إلى أذنها، حيث ندبة شاحبة صغيرة.
ولم أجادلها. وقلتُ لها حينها:
«لكنه يروق لكِ على أي حال. هل سئمتِ ترويض الخصلات المجعدة؟» فـ**جيما** تملك خصلات شعر مجعدة بنية داكنة، تماماً مثل خصلاتي، ومثل خصلات والدي.
وهزت رأسها نافية:
«كلا، لقد قالت الآنسة **بامفورد** إنني سأبدو أكثر جمالاً لو كان شعري أطول، وقالت إن الناس لن يظنوا أنني صبي طوال الوقت. لذا حلقتُه تماماً لمجرد رؤية ذلك التعبير الغبي على وجهها الفج».
ورسمت حينها ابتسامتها الماكرة الصغيرة.
وبالعودة إلى الحاضر، نبشتُ في أعمق زوايا حقيبتي، وانتشلتُ شريط الـ«VHS» الذي أعطتني إياه **غريس**. كان بارداً عند ملامسته، وبرودة الطقس الخارجي لا تزال عالقة بسطحه الأسود المحبب. ووضعتُه فوق المنضدة، وأنا أستشعر مجدداً ريبة وتخوفاً مما قد يحتويه.
وفكرتُ في طرح الأمر برمته على **جيما**، لكني كنتُ أمقت أن يقال لي إنني مخطئة، حتى عندما أعلم أنني كذلك. لا سيما عندما أعلم أنني كذلك. فأختي من طراز البشر الذين لا يجدون غضاضة في

نعتي بالغباء، ولا يترددون في إخباري فوراً إن كان صديقي الجديد حثالة، سواء أكنتُ مستعدة لسماع ذلك أم لا. ولقد قالت عن صديقي العاطفي الأول: «هذا الفتى ليس كائناً بشريّاً يا مايسي، إنه مجرد كومة من الرايات الحمراء الصغيرة المتراكمة داخل معطف طويل». وينتهي بها المطاف غالباً لتكون على صواب، ولكن..

والتفتُّ إلى الوراء. كان رأس **جيما** لا يزال مرفوعاً، وعيناها معلقتين بالسقف بانتظار توقف النزيف. وأخرجتُ نفساً من أنفي. وكاد جزء مني ينفجر ضاحكاً؛ ضحكة تخلو من المرح وتنضح بالاضطراب، لكنها ضحكة على أي حال. لم أرَ جانبها الغبي المرح يبرز منذ فترة طويلة؛ حتى إنني كنتُ أنسى أحياناً أنها تملكه من الأساس.

وأزاحت **جيما** المنديل عن أنفها واستوت برأسها. ورفعت إبهامها إشارة إلى أن: الرعاف قد شُفي. والتقت عيناها بعينيّ، ولمحت علامات انزعاجي، فحوّلت بصرها سريعاً، كحال كلب يمر بمشكلة. وقالت:

«لقد أحضرتُ لكِ هدية.» وأشارت بيدها نحو طاولة القهوة.

وهناك، استقرت سماعات رأس لاسلكية جديدة تماماً، ولا تزال قابعة داخل علبتها.

وتابعت **جيما**:

«أعلم أنني أضعتُ سماعاتكِ القديمة، لذا ابتعتُ هذه اليوم، بعد المدرسة.»

«أحقّاً كذلك..» ورفعتُ العلبة، وقلبتُها كحال محقق جنائي يتأمل دليلاً مباغتاً. كان الكرتون لامعاً ومغلفاً بالبلاستيك، وفي حالة ممتازة تقريباً. وثمة ثقب بحجم الإبهام بالقرب من الرمز الشريطي (الباركود)؛ تماماً في الموضع الذي يضعون فيه تلك الملصقات الأمنية الصغيرة. وسألتها:

«وكم كلفتكِ؟»

«عفواً؟»

«ما ثمنها.»

«أوه؟» وجذبت شحمة أذنها مكملة: «لقد كانت في التنزيلات».

«بـ. كـ. مـ.»

وأخذت تنبش في خيط مفكك على مسند ذراع الأريكة:

«بعد.. بعد التنزيلات.. نحو عشرين دولاراً فقط، أجل، نحو عشرين دولاراً تقريباً لا أكثر ولا أقل».

وتفقدتُ العلامة التجارية: «سيلفو ساوند». قطعة فاخرة، وبطارية تدوم لست عشرة ساعة، وصوت عالي الدقة، ومظهر معدني حقيقي. لم أرَ قط زوجاً منها يقل ثمنه عن مئتي دولار متينة.

وقطعت أختي الصغرى حبل الصمت بتقليد فظيع وغير دقيق بالمرة لشخصيتي:

«واو يا جيم، شكراً على الهدية، أنتِ أفضل أخت في الوجود و..»
«جيما» رفعتُ العلبة ثم وضعتُها متنهدة: «ظننتُ أننا انتهينا من هراء سرقة المتاجر هذا».
«حسناً، أولاً وقبل كل شيء، "سارقة" هو مصطلح مسيء.» ورمشت بعينيها من خلف نظارتها المستديرة الضخمة، ووجنتاها تتلونان بـحمرة الذنب الإجرامي. وأردفت: «ولم تكن سرقة». ودحرجت جسدها مغادرة الأريكة، وتسللت إلى المطبخ، وبدأت تنبش في الخزائن الشحيحة.
لقد كانت **جيما** تملك هوساً بسرقة المتاجر؛ وأحياناً تسرق الأساسيات، لكن في معظم الأوقات كانت تسرق لمجرد متعة السرقة نفسها.
وقلتُ لها:
«يا جيم، أخذ شيء دون دفع ثمنه هو التعريف الحرفي للسرقة.»
«إنه متجر وول مارت،» ومدت ذراعها نحو خزانة علوية وهي تقف على أطراف أصابعها متابعة: «إنهم يسرقون الأجور من خلال الأرباح وما شابه. لذا.. أنا فقط أعيد موازنة الكفتين».
وانتشلت علبة شبه فارغة من رقائق «لوكي تشارمز».
«حسناً يا روبن هود،» وشبكتُ ذراعيّ متابعة: «وماذا سيحدث عندما يُقبض عليكِ؟»

«يا إلهي يا مايسي» وهبطت على عقبيها والعلبة في يدها: «لقد غدوتِ تقليدية ومملة للغاية الآن».

«يا جيم، لا يمكنني تحمل رؤيتكِ تنتهين في إصلاحية الأحداث أو في أي مكان آخر يعلمه الله. سجن؟ أعني، أنتِ في الثامنة عشرة من عمركِ تقريباً.» ودلكتُ صدغيّ مستطردة: «كم شيئاً سرقتِ هذا الأسبوع وحده؟»

وتثاقلت خطى **جيما** عائدة نحو الأريكة: «فقط نحو.. ثلاثة أشياء.. عشرة أو اثني عشر شيئاً». وانهارت قابعاً في ملاذها المعتاد، وبدأت تنبش في الرقائق منتهية الصلاحية منذ زمن، وتلتقط قطع المارشملو كأنها تنقب عن الذهب. ولمحت بطرف عينها نظرتي الصارمة المميتة، فحوّلت بصرها بعيداً مستسلمة:

«حسناً، حسناً» وضخمت عينيها بانزعاج متتابعة: «لا مزيد من السرقة».

«ممتاز..»

وأمالت **جيما** ذقنها نحو سماعات الرأس: «إذن، هل أعيد تلك السماعات؟» وارتسمت لمحة خفيفة من ابتسامة ماكرة على جانب فمها؛ فقد كانت تعلم جوابي مسبقاً:

«كلا» وهززتُ رأسي رافضة: «لقد كنتِ مدينة لي على أي حال».

ورفعتُ السماعات مجدداً، وممرتُ أصابعي فوق العلبة البيضاء الفاخرة. وحتى أنا كان عليّ الاعتراف بأنها كانت رائعة للغاية، بيد أنني أردفت:

«هذا هو الشيء الأخير والنهائي الذي تسرقينه، مفهوم؟ أنا لا أملك المال لإخراجكِ من السجن بكفالة».

«لقد انتهيتُ، وتقاعدتُ، أقسم بالله.» ورفعت **جيما** خنصرها، ثم تراجعت إلى الخلف ورسمت ابتسامة: «كنتُ أعلم أنها ستعجبكِ على أي حال».

والتقطت جهاز التحكم وأشعلت التلفاز، عائدة لمشاهدة «لوني تونز». وقالت وهي تمضغ حفنة شحيحة من المارشملو الجاف: «صحيح.. كيف سارت أمور غرض **مرتفعات بروكسفيو** الخاص بكِ؟»

وانتقلت عيناي إلى منضدة المطبخ؛ حيث يستقر شريط الـ«VHS». كان ذلك التزامًا مزعجًا كنتُ أتظاهر بعدم وجوده. وقلتُ: «لقد كان..» لم أكن أدري حقّاً ماهيته. أعني، لقد غدوتُ أكثر ثراءً بثلاثة آلاف دولار عما كنتُ عليه هذا الصباح. حسناً، ألف دولار فقط بعد أن سددتُ الفواتير وكل شيء، لكن يظل هذا مكسباً. واستقررتُ على الكلمة مكملة: «..مقبولاً».

ونبشت **جيما** في علبة الرقائق للمرة الأخيرة، وخرجت بحفنة من الفتات والقطع القديمة. فهزتها لتعيدها إلى الداخل ودست العلبة جانباً وسألت:

«إذن نلتِ الوظيفة؟»

«أجل..»

«رائع!»

وسحبت **جيما** كيساً من حلوى العرقسوس الأزرق من جيبها، وبدأت تمضغ إحدى القطع. لطالما كانت من صنف البشر الذين يواصلون المضغ دائماً؛ علك، خيوط السترات، أو أظافر. لا يهم أين تكون، أو ماذا يحدث، فهي تجد دائماً شيئاً لتقضمه. ومؤخراً، كانت هذه الحلوى تصبغ شفتيها وأسنانها باللون الأزرق باستمرار. وسألت:

«وكيف هو الأجر؟»

قلت ممعنة في التقليل من شأنه :

«مقبول»

«جميل.» وأنهت قطعة الحلوى، وسحبت أخرى مكملة: «بالمناسبة، لقد بدأتُ العمل على سيرتي الذاتية مجدداً».

«حقّاً؟»

لقد كانت أختي تمثل كارثة في مقابلات العمل تفوق كوارثي بمراحل؛ ناهيك عن أنها لا تملك أي مراجع مهنية بعد أن طُردت

من متجر «تي جيه ماكس» بسبب سرقة المتاجر. وحتى لو نالت وظيفة أخرى، فلن تتمكن من العمل إلا في الأمسيات وعطلات نهاية الأسبوع بفضل المدرسة. لكنها كانت تحاول على الأقل، وكنتُ أقدّر لها ذلك القدر.

وظلت أختي مسمرة أمام التلفاز، تمضغ الحلوى والضوء الأزرق ينعكس فوق نظارتها المستديرة، حاجباً عينيها العسليتين عن الرؤية. وكان **إلمر فاد**، حاملاً بندقية صيد ذات فوهتين، يتسلل نحو **باغز باني** الآن. وقالت **جيما** وهي تأخذ قضمة أخرى من الحلوى:

«إذن.. متى تبدئين؟»

«في نهاية هذا الأسبوع » وتحركتُ متسكعة نحو منضدة المطبخ.

قالت **جيما** :

«صحيح، وهو شيء يشبه رعاية وتقديم خدمات، أليس كذلك؟»

ورفعتُ شريط الـ«VHS»، وقلبتُه في يدي قائلة:

«جليسة منزل..» وممرتُ أصبعي فوق الملصق المخطوط بحبر أسود سميك:

«يُمنع المشاهدة، ما لم يأذن حارس البيت»

ونظرت **جيما** نحو الشاشة، وتجعد جبينها متسائلة:

«كنتُ سأقسم أنكِ قلتِ إنها رعايـــ» وفي منتصف الكلمة، هبطت عيناها نحو شريط الـ«VHS»، وأردفت: «ما هذا؟»

8
أغراض

كنا نملك بالفعل جهاز فيديو «VCR». كان يوماً ما مبعث فخر واعتزاز لوالدنا، جنباً إلى جنب مع مجموعته التي ناهزت المائتي فيلم. والآن، كان كل ذلك يغشاه الغبار في خزانة التخزين الخاصة بنا؛ مجرد أشياء أخرى لم نملك الجرأة لرهنها والتخلص منها. سحبتُ خيط الإضاءة، فارتج المصباح عائداً للحياة مرة أخرى، وهو يطن بطنين غاضب.

وحوّمت **جيما** من خلفي، وكلتانا تشرئب بعنقها نحو ذلك الجدار المتزعزع من الصناديق الكرتونية. لم يكن أي منها يحمل ملصقاً تعريفياً؛ فبعد أن حجز المصرف على منزل والدي، قذفنا بكل ما نملك داخل أي صناديق عثرنا عليها، وجررنا كل شيء وراءنا كهاربين من العدالة.

ووضعتُ مسنداً خشبياً مهتزاً للقدمين فوق الأرضية.

وقالت **جيما** وهي تقضم قطعة أخرى من العرقسوس:

«إذن.. هذه المرأة كذبت عليكِ جهاراً بشأن كون زوجها على قيد الحياة؟»

«أجل، ولكن..» ووضعتُ قدماً واحدة فوق المسند، وضغطتُ بثقلي لأختبر مدى تحمله: «لم تكن تريد أن يظهر أشخاص غريبو الأطوار ليقيموا حفلات صاخبة في بيتها.»

«لم تكن تريد غريبي أطوار؟ ومع ذلك نشرت الإعلان على موقع كرايغسليست؟»

«انظري» قلتُ بعد أن قررتُ أن المسند قوي بما يكفي لتحمل وزني، وصعدتُ واصلة بيدي إلى قمة الكومة: «أنا لا أود الجدال، كان الأمر غريباً، وهي كانت غريبة الأطوار، لكن الأثرياء المسنين غريبو أطوار دائماً، و..»

«و.. ماذا؟»

وسحبتُ صندوق ملفات يستقر في داخله شيء ثقيل، وتصلب كتفاي وأنا أنزله لأسفل:

«لم تكن تبدو في كامل قواها العقلية بنسبة مائة بالمائة.. تفهمين ما أعنيه؟»

«لا، لا أفهم.»

«أعني أن زوجها فارق الحياة منذ بضعة أشهر فقط. وأظنها لا تزال.. تستوعب الأمر.» وسلمتُ الصندوق إلى **جيما** مردفة: «احذري، إنه ثقيل».

وتذمرت **جيما** وهي تأخذ الصندوق مني:

«يا فتاة، أنتِ تأخذين الميدالية الذهبية في الجمباز العقلي والتبرير.» وانحنت على ركبتيها، وفتحت الصندوق، وأمالت رأسها.

وكان أرنب محشو قديم ورثّ يستقر فوق كومة من كؤوس دوري كرة القدم للناشئين. رفعت **جيما** الأرنب، وقلبته؛ لقد كان **دوك**، لعبتي المحشوة المفضلة في طفولتي. كان يفتقد أذناً واحدة، وقد أُفرغت أحشاؤه من القطن بعد أن انتزعه كلب مني في رحلة مدرسية أيام الروضة. وبدا جذعه كخرقة ممزقة ومتسخة، لكن رأسه كان لا يزال مستديراً تماماً بزرين أخضرين كبيرين يمثلان عينيه. واعتدتُ أن أنام وأنا أحتضنه بقوة في كل ليلة.

ومددتُ كفي المفتوحة.

فسلمتني **جيما دوك**، وبدأت تنقب في كؤوس كرة القدم.

وبدا **دوك** أصغر بكثير مما استقر في ذاكرتي. وكان فراؤه خشناً عند الملامسة؛ فقد ذاب حين قذفتُ به وأنا طفلة داخل مجفف الملابس في يوم ماطر. وممرتُ أصبعي فوق الحافة البلاستيكية الباردة لعينه الخضراء ذات الزر. وبدأت ذكريات ضبابية تطفو على السطح – سجاد أخضر مزرق، وغرف مرقمة –

ودسستُ **دوك** جانباً.

وكانت **جيما** لا تزال تنبش في الكؤوس: «أشبال كرة القدم لشركة مولينز لجز العشب». لقد رعى والدي فريقنا عندما كان عمله يسير على ما يرام؛ في الأيام التي كان لا يزال فيها..

لعله لم يكن من مصلحة **جيما** النبش في كل هذه الأثار والذكريات من أيام أفضل، ناهيك عن مصلحتي أنا، لكني قلتُ:

«مهلاً، يمكنني القيام بهذا بمفردي إن كان..»

وقطبت **جيما** حاجبيها متطلعة إليّ:

«إن كان ماذا؟»

«إن كانت الذكريات تؤلم، تعلمين.»

«ذكريات؟» وتحول تقطيب حاجبيها إلى ابتسامة ماكرة شيطانية: «يا إلهي، كم أنتِ بكاءة ومفرطة في الحساسية».

ورسمتُ ابتسامة أنا الأخرى؛ فكوميديا المشانق والسخرية من المآسي – لحسن الحظ أو لسوئه – كانت هي ما يعيننا على تجاوز الكثير. وقلتُ:

«مهلاً، لا تأتي باكية إليّ عندما يعجز النوم عن زيارتكِ الليلة.»

وهزت **جيما** كتفيها:

«إنها.. مجرد كومة من الأشياء.» ورفعت كأساً، وقرأت اللوحة المعدنية عليها، وامتعض وجهها: «لِمَ لا نزال نحتفظ بهذا حتى الآن؟ كنا فاشلتين صغيرتين للغاية». ورفعتها لتريني إياها.

لقد كانت «جائزة تقديرية» – أي كأس مشاركة لا أكثر – وتكتمل بصورة لفريقنا المبتسم؛ صورة التقطها والدي بنفسه بكاميرا صالحة للاستخدام لمرة واحدة. وكدتُ أستطعم شرائح البرتقال من ذلك اليوم، وأستنشق رائحة العشب المقصوص حديثاً، وأشعر بوخز في ركبتي إثر سقطة خرقاء، و..

ودون مقدمات، قذفت **جيما** بالكأس عائدة إلى الصندوق وأغلقت الغطاء. وصفقت بيديها تصفيقاً جافاً، وتطلعت نحوي:

«حسناً، التالي.»

ونبشنا في صندوق تلو الآخر، وذكرى تلو ذكرى، حتى قبضت يدي أخيراً – وهي تمتد وتستطيل داخل زاوية مظلمة – على الصيد الثمين. قطعة ضخمة، معدنية، مستطيلة.. أصبتُ الهدف. وسحبتُ وجذبتُ، بيد أن جهاز الفيديو كان عالقاً بشيء ما. وعجزتُ عن رؤية أي قذارة، فحاولتُ المناورة به، تدويره، سحبه – لا فائدة. تدويره، سحبه – لا فائدة. واحمرّت وجنتاي غضباً:

«هيا، أيها اللعين الغبي المقيت.»

وواصلتُ التلمس بعمى، متوازنة فوق المسند، كدتُ أصل، أوشكتُ على نيله، تدوير، سحب، وعلق مرة أخرى، لكني في هذه المرة استجمعتُ قوتي، وجذبتُه بكل ما أوتيتُ من عزم..

وانتُزع جهاز الفيديو من عقاله، وارتد بعنف، وطار من بين يدي.

واستحال كل شيء إلى حركة بطيئة؛ المشغل الثقيل يبحر مباشرة نحو وجه **جيما** المذهول، ثمانية أرطال من الكتلة المعدنية على وشك كسر أنفها فعلياً عندما – التقطتُه في اللحظة الأخيرة، وكدتُ أهوي من فوق المسند خلال ذلك.

ودامت لحظة متجمدة حابسة للأنفاس، وكلتانا تشخص ببصرها نحو الأخرى بذهول، حتى قطعتُ أنا حبل الصمت:

«لقد أنقذتُ حياتكِ يا فتاة.»

وعَدّلت **جيما** نظارتها قائلة:

«كلا، لا يُحتسب؛ فأنتِ من أسقطه من الأساس، لذا فإن الفعلين يلغيان بعضهما.» واستدارت على عقبها ومشت متوجهة نحو الأريكة.

طفلة جاحدة وقليلة الامتنان.

***

تبيّن أننا بحاجة إلى كبلات موصلة كهربائية تُستخدم لنقل إشارات الصوت والفيديو أيضاً. لذا، وبعد خمس عشرة دقيقة أخرى من النبش في ذكريات ذات مذاق حلو ومر، غدونا مستعدتين تماماً. هممتُ بإدخال الشريط، لكني توقفتُ فجأة وقبل أن أفعل، قلتُ:

– «أوه، صحيح.. من الناحية الفنية، يُفترض بي مشاهدة هذا بمفردي.»

وسخرت **جيما** غير مصدقة:

«مستحيل! ليس بعد كل ذلك العناء.»

والتفتُّ إلى الوراء؛ كانت ممددة فوق الأريكة، وتحدق فيّ من خلف نظارتها المستديرة الضخمة، وهي تمضغ قطعة أخرى من العرقسوس الأزرق. كنتُ أعلم أنها ستشاهد الشريط مهما قلتُ لها. وبداخلي شيء من الشعور بالارتياح؛ فلم أكن أرغب حقّاً في مشاهدة هذا الشيء بمفردي، لكن تعيّن عليّ على الأقل منحها حق التحذير من باب اللياقة؛ فـ**جيما** كانت – لنقلها بهذه الطريقة – أكثر.. قابليّة لتصديق الأمور البعيدة عن المنطق. ومنحتُها فرصة أخيرة:

«لقد حذروني؛ كلما زاد عدد الذين يعلمون بهذا الهراء، غدت الأمور أكثر سوءاً.. على ما يبدو.»

«يا إلهي، فرائصي ترتعد خوفاً.»

«أنتِ الجانية على نفسكِ.»

ودستُ الشريط، وهممتُ بضغط زر التشغيل – ولم تملك أختي الصغرى إلا إلقاء دعابة غبية أخيرة:

«سيكون مجرد مقلب بالتأكيد.»

ومع تنهيدة مجهدة، ضغطتُ زر التشغيل. وبينما أخذ الشريط يدور بـأزيزه المعهود عائدًا للحياة، انضممتُ إلى **جيما** فوق الأريكة،

دافعة ساقيها جانباً لأفسح لنفسي مكاناً. وشخصنا ببصرنا نحو شاشة التلفاز المظلمة والصامتة، متسائلتين عما إذا كنا قد قمنا بتوصيل الكبلات بشكل صحيح، وعندها..

استحالت الشاشة إلى لون أزرق مصمت.

9
شريط الفيديو المنزلي

يبدأ شريط الفيديو بشاشة **زرقاء** مصمتة. تنطلق نغمة أحادية حادة ومتنافرة – ترتفع طبقتها أكثر فأكثر، وتتصاعد دون نهاية.
وأخيراً، بعد نحو سبع ثوانٍ مزعجة، يحلّ السكون. وتستحيل الشاشة إلى السواد، قبل أن ينقشع السواد ليكشف عن–
لقطة ضبابية لغرفة معيشة **غريس كارنسويل**. كان ضوء الشمس الحاد يتدفق عبر نوافذ ضخمة، مغرقاً الصورة ببياض ساطع يعشي الأبصار. ويلج رجل إلى الكادر، ولا يظهر منه سوى النصف السفلي من وجهه؛ فك قوي تكسوه لحية خفيفة رمادية. وترتج الصورة – ثم يضبط التركيز التلقائي عدسته.
يتراجع الرجل خطوتين إلى الوراء مبتعداً عن الكاميرا، ويهوي بجسده فوق أريكة بيج. وبدا في نحو السبعين من عمره؛ ورغم تقدمه في السن، فقد كان رياضي البنية، ولمحت في عينيه البنيتين الداكنتين جذوة شبابية. وتحدث بنبرة صوت واضحة ومباشرة:
«اسمي **ديفيد كارنسويل**. وفي هذا الفيديو، سأشرح الاحتياطات اللازمة فيما يتعلق بكبح الكيان القابع في **G375 مرتفعات بروكسفيو**.» وأطلق ضحكة مكتومة مريرة، يبدو أنه واعٍ تماماً لمدى غرابة ولامعقولية ما قاله للتو. وتنهد واضعاً معصميه أمام

الكاميرا كأنما يطلب من المشاهد تصفيدهما بالأغلال: «أعلم ما تدور به عقولكم الآن؛ قيدوه: قميص المجانين، وغرفة مبطنة.» وخفض ذراعيه، فلمع ضوء الشمس فوق سوار «حياة صحية» أبيض لامع يطوق معصمه الأيسر، مستطرداً: «أنا أتفهم ذلك، صدقوني.» وراح يدلك عنقه بحركات دائرية صغيرة. «ولكن من أجل مصلحة الجميع، فلنتجاوز هذه النقطة. فقط.. سايروني، على الأقل حتى نهاية هذا الفيديو..»

وعند هذه النقطة، يضطرب الشريط ويحدث خلل رقمي، ليقطع المشهد نحو لقطة ثابتة لغرفة فارغة – لا تظهر فيها أي نوافذ أو أبواب؛ أرضية خرسانية، وجدران خرسانية، وسقف مكشوف تبرز منه مواد عزل ذات لون وردي مائل للبياض. وتدوم هذه الصورة – والتي تُعزى غالباً لكونها بقايا مادة قديمة أُعيد التسجيل فوقها – لنحو ثلاث ثوانٍ، ثم، وكأن شيئاً لم يكن، يعود الكادر فجأة إلى **ديفيد** وهو لا يزال جالساً فوق أريكة غرفة المعيشة.

أمال جسده إلى الأمام، شاخصاً ببصره مباشرة نحو عدسة الكاميرا: «من الأهمية أن تعيروا انتباهاً شديداً لكل كلمة أقولها – وشاهدوا هذا الفيديو مرات عدة إن تطلب الأمر.» ورغم سلوكه الهادئ نسبيّاً، كانت عيناه تفيضان بجدية صارمة ومهيبة؛ نظرة رجل يحاول بكل قوته الإيحاء بالتعقل وهو يسعى لإقناعكم بشيء يفتقر تماماً للتعقل. وتراجع بجسده إلى الخلف مكملاً: «إلى جانب العناية

المعتادة بالمنزل، هناك عدة أمور توصلتُ إليها ويتعين وضعها في مقدمة الأولويات. إنها بسيطة في ظاهرها، لكن من الضروري ألا تفسدوها.»

واختلجت عينه اليسرى.

وتابع:

«أولاً وقبل كل شيء، هذا أمر غني عن التعريف، لكن من المهم إبقاء المنزل مرتباً عموماً. لطالما قالت والدتي إن البيت الفوضوي هو ملعب الشيطان، وتبين أنها كانت أقرب إلى الحقيقة مما كان يمكنها تخيله قط. فكلما غدا المنزل أكثر فوضوية، زادت احتمالية وقوعكم في المتاعب.» ونقل ثقل جسده مستطرداً: «والآن، لننتقل إلى التفاصيل الدقيقة: احرصوا على إطفاء جميع أضواء الطابقين الأول والثاني بين الساعة الثالثة والرابعة صباحاً. هذا كل ما في الأمر، وهذا كل شيء. لا تقلقوا بشأن أضواء القبو. وإذا اضطررتم لاستخدام المرافق وتعذر عليكم الرؤية في الظلام، فلا بأس بإشعال مصباح أو اثنين، هذا مقبول تماماً، فقط لا تتركوا أيّاً منها مشعلاً لأكثر من ثلاث دقائق متواصلة؛ ولا حتى لثانية واحدة فوق الدقائق الثلاث. كونوا يقظين؛ فالأضواء تملك عادة خبيثة بالاشتغال من تلقاء نفسها – واعتدتُ الظن بأن الأمر مجرد توصيلات كهربائية معطلة، ولكن.. على أي حال، قوموا دائماً بدورية تفقدية في أرجاء

المنزل خلال ما يُعرف بساعة السحر لضمان الامتثال. مفهوم؟ ممتاز.»

أمال جسده إلى الأمام، ومد يده خارج الكادر، ثم أخرج مظروفاً أبيض، كُتب على سطحه بحبر أسود سميك:

«في حالت الأضواء»

وتابع:

«في حال كنتم من الغباء بحيث تفشلون في هذه النقطة، افتحوا هذا المظروف؛ فإنه سيمدكم بتعليمات إضافية.» ودس الرسالة جانباً مكملاً: «واحرصوا على اتباع هذه البروتوكولات والطقوس كما أُنزلت؛ لا تحاولوا استعراض ذكائكم مع هذا الشيء، ولا تبحثوا عن ثغرات. صدقوني، لقد جربتُ نزع جميع المصابيح ذات مرة، ولم ينتهِ الأمر على خير.» ودلك فكه، وومضة من الذكريات المظلمة تغيم في عينيه. «على أي حال،» وصفق على ركبتيه وارتسمت على وجهه ابتسامة: «طالما أبقيتم الأضواء تحت السيطرة، فلا داعي للقلق بشأن أي شيء آخر؛ فإنه يبدو أن فشل طقس ما غالبًا ما يؤدي إلى فشل الطقس التالي. وبالطبع هناك دائماً أحداث شاذة وخارجة عن القاعدة، لذا ابقوا متأهبين».

ونقل **ديفيد** ثقل جسده مجدداً:

«حسناً، الأمر التالي: كما لعلكم لاحظتم، هناك الكثير من الأرانب الشاردة في الأنحاء هنا. وحتى مع إغلاق جميع أبوابنا، فإن تلك الفئران ذات الآذان الكبيرة تجد دائماً سبيلاً للتسلل إلى الداخل. إذا رأيتم أحدها في محيط يناهز الخمسين قدماً من المنزل – فعليكم إقفال جميع الأبواب المؤدية إلى الخارج. لسبب ما، لا تسألوني عنه، يبدو أن هذا يساعد في إبقائها بعيدة. وإذا حدث، ومعاذ الله، ورأيتم أرنباً داخل المنزل – لا سيما إن كان أرنباً أبيض – فاقبضوا عليه واقذفوا به خارجاً. هذا كل شيء. ولكن اقبضوا عليه خلال عشر دقائق من رؤيته – وإن لم تفعلوا، فستبدأ في خمش الخشب الصلب للأرضية. لقد قمتُ بحساب الوقت فعليّاً؛ فبمجرد بلوغ علامة العشر دقائق، تسقط أرضاً وتترك كل ما في يدها وتبدأ بخمش الأرضية بهستيرية. وعند تلك النقطة، اتركوها وشأنها، وافتتحوا هذا.» ومد يده خارج الكاميرا، رافعاً مظروفاً آخر داخل الكادر:

«في حالت الأرانب»

ودس الرسالة جانباً مكملاً:

«إياكم، وإياكم أن تطلقوا سراح الأرنب بعد انقضاء الدقائق العشر. اقرؤوا الرسالة أولاً..»

ومرة أخرى، تضطرب الشاشة ويحدث خلل، مفسحة المجال للغرفة الخرسانية عينها. ولكن الآن، يستقر في منتصف الغرفة تماماً تلفاز قديم غير موصول بالكهرباء، ويقبع فوق عربة دفع معدنية، من طراز العربات التي تراها تُجر في الكليات أو المكتبات العامة. وثمة جهاز فيديو ضخم يستقر على الرف الأوسط. وتدوم الصورة لنحو أربع ثوانٍ، ثم تقطع عائدة إلى..

غرفة المعيشة. كان الوقت ليلاً في الخارج، وضياء القمر الشاحب ينسكب عبر النوافذ. ولا يزال **ديفيد** جالساً فوق الأريكة نفسها، لكنه بدا مجهداً تماماً الآن، كحال سجين بارانويا منقطع عن العالم؛ شاحباً كشبح، وتحت عينيه هالات مظلمة.

وتابع:

«حسناً.. إليكم الأمر الأخير، والأكثر أهمية.» يصمت، وترتفع عيناه فجأة، متجهتين إلى مكان ما خارج نطاق الكاميرا، في عمق المنزل. ودام السكون؛ لا شيء سوى ذلك النقر المتتالي لساعة مجاورة: *تيك، تيك، تيك*. وعاد ببصره نحو العدسة مكملاً: «الزوار. يمكنهم التشكل في هيئات شتى، لكنهم يملكون دائماً أعينًا زرقاء باردة. إذا ظهر أي شخص بأعين زرقاء باردة عند الباب الأمامي – وأعني أي شخص كان؛ جدة تبحث عن كلبها المفقود، أو شرطي يحمل مذكرة تفتيش – إذا ظهر أي أحد بين السادسة مساءً والسادسة صباحاً، فلا تتحدثوا إليه، أو إليها، أو إليهم؛ لا

تدعوهم يرونكم ، والأهم من ذلك كله: إياكم أن تسمحوا لهم بالدخول. اختبئوا. اختبئوا وابتهلوا ألا تكونوا قد نسيتم إقفال أي من الأبواب.»

وتوقف **ديفيد** مؤقتاً، وأمال أذنه مستمعاً. ودام السكون مجدداً؛ لا شيء سوى تلك الساعة التي تتكتك. وتصلب كتفاه، وتوتر عنقه واختلجت عضلاته. والتفت عائداً نحو الكاميرا:

«لا تقلقوا بشأن إقفال النوافذ؛ فالزوار لن يتسلقوا حتى عبر نافذة مفتوحة، فهم لا يستخدمون سوى الأبواب. ولن يقتحموا طريقهم عنوة إلى الداخل، ليس في العادة. قد يطلبون استعارة الهاتف، أو يقولون إنهم بحاجة إلى ماء، أو ما شابه؛ صدقوني، لقد سمعتُ كل الحجج.» وتنحنح مكملاً: «ومعظمهم، إن لم يروكم أو يسمعوا لكم صوتاً، سينصرفون بعد نحو ثلاثين دقيقة، وفي هذه الحالة سيرن الهاتف عادة وسيخبركم أحدهم بما يجب عليكم فعله تالياً.»

وتوقف **ديفيد** مجدداً. ومضى يضم قبضته اليسرى بغير وعي حتى ابيضّت براجم أصابعه، مستطرداً:

«علاوة على ذلك، افعلوا دائماً وبدقة ما يمليه عليكم الشخص المتحدث عبر الهاتف. لا يمكنني المبالغة في مدى أهمية هذا الأمر. قد يتصلون في منتصف النهار، وقد يتصلون في الثالثة صباحاً، لكنهم لن يتصلوا إلا عندما تكونون في نطاق سماع الهاتف. ومن الأهمية بمكان وبشكل عميق أن تتبعوا تعليماتهم بحذافيرها – حتى

وإن تعارضت التعليمات المذكورة مع أي شيء آخر أخبرتكم به. واحرصوا على تدوين ما يقولونه؛ فهم نادراً ما يكررون كلامهم. لا تقلقوا، لن يطلبوا منكم فعل أي شيء.. غير لائق، لكن مطالبهم يمكن بالتأكيد أن تكون.. غريبة.» وأرخى قبضته، ليعود الدم المتدفق إلى براجمه.

ورفع **ديفيد** مظروفاً ثالثاً، حمل هذا المظروف ملصقاً كُتب عليه:

«في حالت الطوارئ»

وتابع:

«لا تفتحوا هذا المظروف إلا عندما تشعرون أنه لم يعد أمامكم أي خيار آخر. أصغوا لحدسكم ؛ فعندما يحين الوقت، ستعلمون.» ومع شهيق عميق، دس المظروف جانباً: «وكما أسلفتُ، أعلم أنكم تظنونني مجنوناً على الأرجح، أو أن هذا مجرد دعابة سمجة ومريضة، أو شيء أسوأ من الدعابة. لا ألومك. إذا كان ذلك سيجعلك تشعر بتحسن، فلا تفكروا حتى في هذا الهراء الغريب الذي قلته، واكتفوا بإخبار أنفسكم بأنها مجرد أعمال عناية أساسية؛ إجراءات روتينية. وفي واقع الأمر، أنا لا أطلب منكم حتى تصديقي – فطالما أنكم تتبعون الطقوس، فلا يقر لي بال بما تعتقدونه».

وشخص ببصره مباشرة نحو الكاميرا مجدداً:

«ولكن صدقوني؛ لا تودون أن تصبحوا مؤمنين بالطريقة الصعبة.» وتوقف مؤقتاً، تاركاً صمتاً ثقيلاً آخر يملأ الأثير. «وفي كل مرة تفسدون فيها واحداً من هذه الطقوس، ستغدو الأمور أكثر صعوبة بشكل ملحوظ. إن الحضور، أو الطيف، أو الكيان – أيّاً كان الاسم الذي تؤثرونه – هذا الشيء ضار وضار بشكل عنيف؛ لا يرحم، ولا يتوقف.»

وطقطق عنقه مكملاً:

«وكلما فشلتم في طقوس أكثر، أمعن الكيان في تعذيبكم، ساعياً لدفعكم نحو بؤس لا يخطر على بال. وسيتخدم ذكرياتكم ضدكم، ويؤذيكم؛ ويضعف قبضتكم على الواقع، وإدراككم للوقت. لا تستهينوا به. واعلموا هذا: بمجرد أن تطأ أقدامكم هذه الملكية العقارية بنية أن تكونوا جليسيها وحراسها، فلا يمكنك الانسحاب ببساطة؛ بل يتعين عليكم الاستمرار والالتصاق بها حتى يأخذ أحدهم الراية منكم طواعية، إن جاز التعبير.»

وتطلع من فوق كتفه وشخص ببصره خارج النافذة، نحو الأشجار المحيطة. ثم استدار عائداً:

«لقد وضعتُ حبلاً يحدد حدود الملكية. ولا يزال بإمكانكم المغادرة خلال النهار، ولكن ليس لأكثر من ثماني ساعات متواصلة، واحرصوا دائماً على العودة للمنزل قبل أن تغرب الشمس.» ولذ بالصمت، مُميلاً رأسه كأنه سمع شيئاً، ثم تابع: «في الوقت الحالي،

قوة الكيان محصورة داخل هذه الملكية، ولكن إن فشلتم في الحفاظ على الطقوس بقدر معقول من الاتساق والاستمرارية – فستشرق شمس حمراء كدم قانٍ، وينتشر نفوذ الكيان ويسري في الآفاق بعيداً؛ وعندها، نصبح جميعاً مؤمنين بالطريقة الصعبة والمؤلمة.»

وفي مكان ما خلف الكاميرا، دوت ثلاث طرقات جوفاء – صوت قبضة يد تضرب بقوة فوق الزجاج.

وتصلب جسد **ديفيد** تماماً، واجمًا ومنتظراً، كأنه يرجو أن يكون الصوت مجرد وهم وتخيل.

ودوت ثلاث طرقات أخرى، كانت أعلى صوتاً، وأكثر إلحاحاً.

ووثب منتفضاً ومسرعاً مغادراً الأريكة إلى خارج الكادر. وراحت خطواته تبتعد متجهة نحو الردهة، وعندها..

هرع عائداً إلى غرفة المعيشة، والكاميرا تهتز وتتأرجح مع كل خطوة يخطوها حتى رفعها بيده. وأسرع متوغلاً في عمق المنزل، والصورة تضطرب وتغدو ضبابية ذهاباً وإياباً، ذهاباً وإياباً..

واستحالت الشاشة إلى لون أزرق مصمت.

10
إجراءات يائسة

جلستُ أنا و**جيما** في سكون، نشخص ببصرنا نحو الشاشة الزرقاء، وقد تملكنا الذهول مما شاهدناه للتو. وبعد نحو خمس ثوانٍ من الصدمة، التفتت أختي إليّ وقالت:

«هذه دعابة، أليس كذلك؟»

وأجبرتُ نفسي على هز كتفيّ، وانزلقتُ مغادرة الأريكة، وزحفتُ متوجهة نحو التلفاز. فقالت: «يا فتاة، أنتِ لن تقبلي هذه الوظيفة حقّاً.. أليس كذلك؟»

أخرجتُ شريط الفيديو من المشغل، وأطفأتُ التلفاز، ثم التفتُّ إليها قائلة:

«لقد دفعت لي **غريس** الجزء الأول بالفعل.»

ورمشت **جيما** بعينيها في تتابع سريع، كأنني تلفظتُ للتو بأغبى شيء سمعته في حياتها. وصاحت: «أوه، كلا!» ثم انخرطت في تقليد فظيع آخر لشخصيتي: «*اسمي مايسي مولينز، لقد أرسل أحدهم لي مالاً، ماذا عساي أن أفعل يا ترى؟*» ثم انقشعت عن شخصية التقليد وحدقت فيّ بصرامة: «أعيدي المال يا مايسي، أعيديه في هذه الثانية بالذات. وإياكِ أن تتحدثي إلى هؤلاء البشر مجدداً».

وقضمتُ شفتي، واستدرتُ بعيداً، لتلتقي عيناي بانعكاسي المظلم على شاشة التلفاز الرمادية. كنتُ أعلم أنها على حق، ولكن:

«لقد أنفقتُ بالفعل ..»

وقاطعتني **جيما** قائلة بصوت أعلى:

«أليسوا من أصحاب الملايين؟ ألا يُفترض أن يكون لديهم حارس عقار، أو ما شابه، أو خادم لهذا الغرض؟ ألا تظنين أنه من الغريب قليلاً أن يوظفوا –بلا إهانة– أشخاصاً عشوائيين تماماً من موقع كرايغسليست؟ جديّاً، إن كان الأمر بهذا القدر من الأهمية، فليوظفوا جليس منازل محترفاً أو..»

وقاطعتُها أنا هذه المرة :

«جيما، أنا.. نحن بحاجة إلى هذا المال».

«لا يوجد أي مبلغ من المال يستحق..»

«إنها ستدفع لي تسعة آلاف دولار مقابل عطلة نهاية الأسبوع.»

وتوقفت **جيما** مؤقتاً، بينما كان الرقم يستقر في ذهنها:

«تسعة آلاف؟»

«أجل، ولقد أرسلت لي الثلث الأول بالفعل.»

«ثلاثة آلاف؟» وضيّقت **جيما** عينيها، وتروس دماغها تعود للدوران مجدداً: «وهل وقعتِ عقداً حتى؟»

وخانني صمتي ليفضح الجواب.

«بلا عقد؟ أوه، يا إلهي العظيم، هل أفقد عقلي الآن؟ لِمَ قد يدفعون تسعة آلاف مقابل عطلة نهاية اسبوع واحدة دون أي أثر ورقي قانوني؟! هذا أكثر الأمور ريبة وغموضاً مما رأيته في حياتي. أعيدي المال..»

«لقد أنفقتُ معظمه بالفعل على الإيجار و.. ولا أزال بحاجة لجلب جهاز استنشاق الربو الخاص بكِ. أعلم أنكِ لا تملكين مائة دولار ملقاة في الأنحاء».

وخمدت جذوة حماس **جيما** قليلاً، فغيرت تكتيكها:

«إذن لا تذهبي. خذي الثلاثة آلاف واهربي. هل تعلم أين تقطنين؟»

«جيما..» وتلاشى صوتي. فشعرتُ بالخطأ وأنا أجادل في قضية لا أؤمن بها حقّاً، لكن المنطق لم يكن يهم كثيراً؛ فتسعة آلاف دولار كانت.. تباً، كانت تسعة آلاف دولار متينة.

وتابعت **جيما**:

«تسعة آلاف دولار هو مبلغ مفرط وضخم للغاية لقاء جليسة منزل يا مايسي. هذا الأمر يكاد يكون أكثر غرابة من كل شيء آخر مجتمعاً..».

قلتُ :

«إنها ثرية، ومثل هذا المبلغ يمثل لها على الأرجح قيمة مخالفة صف سيارة، و..»

«ومع كامل احترامي، لِمَ قد توظفكِ أنتِ؟ أعني، مجدداً بلا إهانة، ولكن..»

«فهمتُ الأمر يا جيم. شكراً لكِ.»

«آسفة. كل ما في الأمر.. أن آل مولينز ليسوا تحديداً من طينة جليسي المنازل الصالحين». وأشارت بيدها نحو الفوضى العارمة لشقتنا الاستوديو.

وهززتُ كتفيّ:

«لقد بدت يائسة. وأظن أن كل المتقدمين الآخرين أصابهم الذعر بسبب.. تلك الطقوس برمتها».

«أجل، بالطبع!» ورمشت **جيما** بعينيها مجدداً، غير مصدقة: «هل شاهدنا الفيديو عينه؟ ألا تشعرين ولو بذرة من الرعب والارتياب؟»

وكانت عقدة ملتوية من القلق تتضخم في أمعائي، فتظاهرتُ بعدم وجودها وقلتُ:

«بالتأكيد، ولكن إن كان مقلباً، فسآخذ آلافي الثلاثة وأهرب. وإن كان مجرد رجل مسن مصاب بالأوهام، فسينتهي بي المطاف بنيل ثروة مقابل عدم فعل أي شيء طوال نهاية الأسبوع. ربح مضاعف في الحالتين».

«وماذا لو لم يكن أيّاً من هذين الأمرين؟»

وفي هذه المرة، رمشتُ أنا بعينيّ متسائلة:

«إذن.. ماذا لو كان **ديفيد** على حق حقّاً؟»

واحمرّ وجه **جيما** غضباً:

«لا، لا أعني ذلك، ولكن..» ولّاذت بالصمت.

«ولكن ماذا؟»

وعادت تقضم حلوى العرقسوس مجدداً بعنف.

وتنهدتُ قائلة:

«جيما، أنا أحبكِ، لكني آسفة.» ووضعتُ يدي فوق شريط الفيديو:

«لِمَ بحق الجحيم قد يكبّل شيطان يُفترض به أن يكون كامل القدرة بواسطة روتينات غبية وتافهة؟»

وقالت بنبرة حانقة مجهدة:

«لا أدري. ربما الأمر مجرد استعارة؟»

«استعارة..»

«ألم يترك الإله "كامل القدرة" في الكتاب المقدس ابنه ليموت من أجل إنقاذ البشرية؟ لا أدري، الكائنات الفوق طبيعية تعمل بطرق غامضة..»

«آها.. إذن غدوتِ متدينة الآن؟»

«معاذ الله.» وقَطبت **جيما** حاجبيها، ثم بدّلت استراتيجيتها مرة أخرى: «بصفتي أختكِ ومستشارتكِ الأقرب..»

«مستشارتي الأقرب؟»

«بصفتي صوت العقل لديكِ، لا تقبلي هذه الوظيفة. جديّاً، هذه المرأة المدعوة **غريس** تحاول تمرير لعنة ما إليكِ أو شيء من هذا القبيل.

عودي للعمل في ستاربكس. سحقاً، عودي لجز العشب، أي شيء أفضل من» –وأشارت نحو التلفاز– «مهما يكن هذا الخطب اللعين الذي شاهدناه للتو».

كان العمل في ستاربكس خارج الحسابات لأسباب تفوق الحصر. وجز العشب؟ اعتدتُ أن أجد فيه سكينة غريبة ومهدئة، ولكن في هذه الأيام..

وقلتُ لها:

«انظري، أنا أقدر قلقكِ الأخوي، أقدره حقّاً، وهو في الواقع أمر مؤثر نوعاً ما. ولكن هل تعلمين كم أنا معدمة في هذه اللحظة؟ كم نحن معدمتان؟ الحد الأدنى للأجور لن يحدث حتى خدشاً طفيفاً في ديوننا. أنا بالكاد أستطيع تدبير ثمن البقالة، ناهيك عن الإيجار. نحن على الدوام نبعد شهراً واحداً فقط من ان ينتهي بنا المطاف هناك».

وأشرتُ بيدي نحو الجدار الخلفي، في اتجاه مخيم خيام مهجور يقبع في الحقل المستنقعي خلف شقتنا.

ولاذت **جيما** بالصمت لبرهة، ثم سألت:

«متى يبدأ الأمر؟»

– «غداً. إنه مجرد لعطلة نهاية الأسبوع، ثم أعود للمنزل صباح الإثنين.»

«أنتِ تعلمين أن يوم الأحد يصادف يوم ميلاد والدي، صحيح؟ هل أنتِ موقنة أن بقاءكِ بمفردكِ فكرة صائبة؟»

«جيم..» وابتلعتُ غصة في حلقي: «سأكون بخير، إنه مجرد يوم آخر..»

«مجرد يوم آخر؟»

وتراجعتُ عن كلماتي مكملة:

«لا. بالطبع هو.. أنا فقط.. نحن بحاجة إلى هذا المال».

وحاولت **جيما** للمرة الأخيرة قائلة:

«وماذا عن مستحقات التأمين؟ لقد وعد **غريغ** بأنها قاب قوسين أو أدنى».

كان **غريغ** هو وسيط التأمين الخاص بوالدنا؛ من طراز الرجال الخجولين الذين يصفهم الناس دائماً بعبارة: «إنه رجل لطيف، ولكن..». وكانت العملية برمتها أشبه بكوميديا الأخطاء. وإن كان لإنصاف **غريغ**، لم يكن أي من ذلك خطأه؛ فالشركة التي أمنت على حياة والدي أفلست، وانتقلت البوليصة إلى مكان آخر يملك تراكماً هائلاً من المعاملات المتأخرة. ثم، وقبل أن توشك مطالبته على المعالجة مباشرة، أفلست تلك الشركة أيضاً! فانتقلنا إلى شركة أخرى تملك تراكماً أكبر وأضخم. تسوى معظم بوليصات التأمين في غضون أشهر قليلة، ولكن بوليصتنا نحن..

«يقول **غريغ** ذلك منذ عامين يا جيم. لن أعول على هذا الأمر».

وهوت أختي، بعد أن أيقنت أخيراً أنها معركة خاسرة، متراجعة إلى الخلف فوق الأريكة. وسحبت قطعة عرقسوس أخرى من جيبها وبدأت تمضغها.. بغضب. وقالت:

«لن أقبل بمليون دولار لأطأ شبراً واحداً في محيط خمسة عشر ميلاً من ذلك المنزل». ودفعت جسدها مغادرة الأريكة، وبدأت تسير مبتعدة بآلية عسكرية، لتدرك فجأة أنها لا تملك مكاناً تذهب إليه في شقتنا متناهية الصغر. وتذمرت حانقة وعادت إلى الأريكة، وهوت بجسدها قائلة: «يا مايسي، سأصيغ هذا بأكثر الطرق تهذيباً ومراعاة: إن قبلتِ هذه الوظيفة، فأنتِ حمقاء لعينة غبية».

11
حمقاء لعينة غبية

استلقيتُ مستيقظة فوق فِراش قابل للطي، أراقب عنكبوتاً وحيداً يغزل خيوطه بين شفرات مروحة سقف مكسورة. ولقد أسميتُ تلك العنكبوت **روزي**. لم يزرني النوم؛ كان ضوء مصابيح السيارات يتسلل ببطء عبر النافذة، لتمنح **روزي** ظلاً عملاقاً مرعباً يتثاءب ممتداً على طول السقف الجصي، قبل أن يهوي عائداً إلى الظلمة المزرقة. والتفتُّ على جانبي؛ كانت **جيما** ممددة فوق الأريكة التي تتحول إلى فراش، فمها نصف مفتوح، وعيناها مغلقتان تماماً.

وانتقلت نظراتي إلى الباب الزجاجي المنزلق القابع خلفها، وهو الباب المؤدي إلى «شرفتنا»؛ مجرد حافة متسخة من الخرسانة، تنحشر ضيقة أمام سياج من الأسلاك المتشابكة. واستويتُ جالسة، ودليتُ ساقيّ خارج الفِراش. وتاهت عيناي نحو ساعة الفرن: الثالثة إلا دقيقتين صباحاً. ونهضتُ على قدميّ بأقصى ما أوتيتُ من هدوء، ودستُ قدميّ في زوج من أحذية «كروكس» المقلدة. ثم ارتديتُ سترتي المظلية، وخطوتُ خارجاً إلى الظلمة الباردة. وبينما كنتُ أسحب باب الشرفة برفق لأغلقه، سرقتُ نظرة أخرى إلى **جيما**، وهي لا تزال في سبات عميق.

وهويتُ بجسدي فوق كرسي حدائق بلاستيكي وردي فاقع. وانحنى الكرسي الهزيل قليلاً تحت وطأة وزني، والبلاستيك الهش يهدد بالانكسار في أي لحظة.

كان هذا هو مساحتي الخاصة الهادئة؛ البقعة التي ألوذ بها لأبتعد عن كل شيء، المكان الذي أذهب إليه لأفكر وأتأمل. وانحنيتُ لأرفع حوض زرع جافاً؛ استقر مخبئي السري تحته: علبة شبه فارغة من السجائر بنكهة الفانيليا، وقداحة «بيك» بنفسجية. لقد قلصتُ هذه العادة لتقتصر على سيجارة أو اثنتين في الأسبوع، ومع ذلك، كانت **جيما** تمطرني بالتقريع توبيخاً:

«هذا هو الشيء عينه الذي أودى بحياة العمة بايت»،» هكذا قالت بعد أن ضبطتني متلبسة بالجرم المشهود منذ بضعة أشهر. وأردفت: *«ولو لم تمت العمة بايت، لكنا نعيش الآن في منزل من طراز بنغالو في بورتلاند».*

«تباً لبورتلاند.»

«بلا إيجار يا مايسي.»

«العمة بايت لم تكن تحبنا من الأساس.»

«كانت تحبني أنا.»

وهززتُ كتفاً واحداً لـ**جيما** حينها وأخذتُ سحبة طويلة أخرى، عندما انتزعت السيجارة من يدي، وقذفت بها إلى الأرض، وسحقتها بقدمها. وجلستُ أنا هناك، وأصابعي لا تزال متخذة هيئة

الإمساك بالسيجارة أمام شفتيّ وأنا أقتل أختي بنظرة صارمة قاتلة من مسافة صفر.

ولم تطرف لـ**جيما** عين، بل قالت: *«لو أنكِ رأيتِ الأشياء التي رأيتُها»*. واندفعت عائدة إلى الداخل، جارة وراءها باب الشرفة بعنف لتغلقه. لقد كانت **جيما** بجوار فراش العمة **بايت** في الأيام التي سبقت رحيلها؛ ولم تخبرني قط بما رأته، لكن بالتأكيد لم يكن شيئاً حسناً لأنها لم تخبرني قط بما رأته. ومع ذلك، ورغم كون **جيما** وشاية ومفسدة للمتعة في هذا الشأن، فقد وعدتها في الصباح التالي بأنني سأقلع عن التدخين. *عهد الكشافة*.

ولكن ذلك كان منذ أشهر مضت، و**جيما** الآن غارقة في نوم عميق، وأنا غارقة في التوتر والضغط إلى أقصى حد، لذا أشعلتُ سيجارة، وامتصصتُ ذلك النيكوتين العذب اللذيذ. *احضنيني بقوة، دافئي عظامي، واكذبي عليّ، اكذبي عليّ تلك الأكاذيب الصغيرة العذبة*.

سجائر «وودبوري غولدز»: بنكهة الفانيليا.

العلامة التجارية عينها التي اعتاد والدي تدخينها. ولقد بذل قصارى جهده ليخفي الأمر عنا، لكننا كنا نعلم دائماً متى يتوجه إلى الخارج لنيل جرعته؛ إذ كان يلتقط سترته من المرآب ويقول شيئاً من قبيل: *سأذهب للتمشي قليلاً، سأعود بعد برهة*. وكانت السترة هي ما يفضح أمره؛ فكلما ارتداها، يعود دائماً ورائحته تنضح بالتبغ والفانيليا.

ولم أطلق عليه يوماً أحكاماً بسبب ذلك؛ فقد كنتُ أنا و**جيما** عبئاً ثقيلاً يكفي لوالدين، ناهيك عن والد بمفرده. كان يحتاج فقط إلى بعض الوقت لنفسه بين الحين والآخر.

وكان بمقدوري تفهم ذلك؛ فأنا أشعر بوحدة أقل عندما أكون بمفردي. اقذفوا بي في حفلة مكتظة بالبشر، اقذفوا بي بين ذراعي شخص يخبرني بأنه يحبني، وهناك تحديداً يصرخ ذلك الشعور بأنني بلا قيمة بأعلى صوته – ويدفعني عائدة نحو هذه الشرفة الخرسانية حيث أجر أنفاس سجائر الفانيليا، وتتحرك عيناي ببرية وجنون فوق زوايا سياج الأسلاك المتشابكة، وأغرق في رثاء ذاتي.

لطالما كان التدخين يضعني في حالة مزاجية سوداوية تائهة؛ حالة أشبه بحال شاعر مبتدئ غارق في شجونه. أنزوي في الظلال، وأصغي إلى هدير الطريق السريع الذي لا ينقطع، ووجهي لا يضيئه سوى ذلك التوهج البرتقالي لعود الموت هذا.

ودنيتُ السيجارة من فمي، واستنشقتُ الهواء مجدداً، لتنسكب فوقي طاقة كيماوية دافئة أخرى. ومع الزفير، تفقدتُ المستنقع العفن القابع وراء سياج الأسلاك.

«*عقار مطل على الواجهة المائية*» هكذا تندر مالك العقار مازحاً. ولم يكن حتى مستنقعاً طبيعيّاً؛ بل كانت المياه قد فاضت قبل بضعة أعوام، واستقرت في المكان، ورفضت الرحيل.

وتأملتُ المشهد؛ وعلى الضفة البعيدة، كانت البقايا الممزقة لمخيم الخيام تتشبث بأغصان الأشجار المقطوعة والشجيرات الهزيلة. مشمعات زرقاء، وعربات تسوق مقلوبة. وفي المدى الأبعد خلف ذلك، كان الوهج الشاحب لسجن ولاية أوروغوان ينزف صعوداً نحو سماء حالكة السواد؛ أبراج حراسة، وجدران شاهقة، وأسلاك شائكة. وكانت أعمدة من البخار الأبيض كالورق ترتفع من مداخن التدفئة وتنجرف غرباً.

وهبطت عيناي نحو المياه العكرة، والتي كانت تعكس السماء الليلية في الأعلى، والأشجار الخاوية من الأوراق، وأضواء السجن البعيدة. وتخيلتُ نفسي واقفة على الضفة المقابلة، أتطلع عائدة نحو شقتي، وأرى انعكاسي هناك في الأسفل في المياه، منكفئة فوق كرسي حدائق بلاستيكي. واعتدتُ التساؤل عن النسخة المعكوسة تلك من **مايسي**، وأتساءل عما إذا كانت تبلي بلاءً أفضل مني، أم أنها كانت فقط تشعر ببرد شديد ومبللة بالماء. أفكار غريبة.

وفي مكان ما متوارٍ عن الأنظار، بدأ كلب بالنباح، ثم لاذ بالسكون إثر عواء قطار عابر. وأخذتُ سحبة أخرى وأخرجتها، متراجعة إلى الخلف أكثر فوق كرسيّ. وأسندتُ قدميّ فوق قالب طوب إسمنتي. واعتدتُ التساؤل عما إذا كان البشر في ذلك السجن يحظون بحال أفضل من البشر القابعين في مخيم الخيام؛ فالنزلاء

يملكون تدفئة، وثلاث وجبات في اليوم، وكان ذلك يعد ميزة، ولكن..

وانتزعتني أفكاري من أذني وجرتني عائدة نحو **مرتفعات بروكسفيو**، لتخبرني كم كنتُ غبية لمجرد التفكير في هذه الوظيفة. وتخبرني أن **جيما** كانت على حق في نعتي بالغباء. وبالطبع كنتُ أعلم أن أختي على حق؛ ليس بشأن الأمور الفوق طبيعية، بل بشأن كل شيء يفوح برائحة المتاعب. رايات حمراء متراكمة فوق رايات حمراء.

وجلستُ هناك لفترة طويلة؛ سحبة تلو سحبة. وفكرتُ في والدي مجدداً؛ ما الذي كان يدور في عقله عندما يتوجه إلى الخارج لنيل جرعة النيكوتين؟ الأرجح أنه المال، والرهن العقاري، وعميل آخر ينقشع لصالح شركة « شركة **دون رايت لونز** المحدودة » لجز العشب.

واستويتُ واقفة وقذفتُ بالسيجارة نصف المنتهية نحو الخرسانة؛ نقطة بريق برتقالية تتدفق منها حبال رفيعة من الدخان الرمادي. وضغطتُ بكعبي فوقها ودوّرتُ كاحلي ذهاباً وإياباً مرات أكثر مما تطلبه الأمر. ثم أعدتُ القداحة والسجائر إلى مخبئها تحت حوض الزرع الجاف.

ووقفتُ هناك لبرهة أطول، ويد واحدة تقبض على السياج، والمعدن البارد يحفر في زوايا أصابعي العارية. وممرتُ بعينيّ فوق مقبرة

مخيم الخيام – المشمعات ذات الألوان الفوسفورية تلتقط شظايا من ضياء القمر. وكانت أعمدة البخار البعيدة من السجن ترتفع الآن مستقيمة، لتحجب النجوم في الأعلى. وسقطت يدي عن السياج السلكي وتدلت بجانبي. وفكرتُ في الإيجار، والفواتير، والديون، والإخلاء.

وأخرجتُ تنهيدة طويلة أخرى، وضباب أنفاسي يقطع أشكالاً ضبابية عبر حلقات السياج. وعوى صوت إنذار في الليل، وأضواء حمراء وزرقاء ترمش في الظلام البعيد. وارتفع الصوت عالياً، ثم خمد عائداً إلى هدير الطريق السريع الذي كان ينساب عبر الحقول المغمورة بالمياه. وحسمتُ أمري في تلك اللحظة وفي ذلك المكان بالذات. واستدرتُ عائدة، وسحبتُ الباب المنزلق لأفتحه، ودلفتُ إلى الداخل، وتمتمتُ في سري:

« حمقاء لعينة غبية».

الجزء الثاني

العمل المربح

التواصل

لطالما واجهتُ صعوبة في تكوين الصداقات. وحين كنتُ طفلة، بذلتُ جهداً حقيقيّاً في هذا السبيل، وخرجتُ ممّا يُسمّى بقوقعتي، ولكن..

أحياناً كنتُ أشعر وكأن العالم بأسره يعزف لحناً واحداً كبيراً، بنغمة وإيقاع في غاية الانسجام، لتقتحم **مايسي موليز** المشهد فجأة، وهي تزمر بوقاحة وصخب على بوق "كازو" نشاز:

«مرحباً يا رفاق، اسمي مايسي، هل يمكنني الانضمام إليكم؟»

وكانت الإشارات والتلميحات الاجتماعية تحلق فوق رأسي كحجارة مقذوفة. وأحياناً، وعندما أكون في أقل حالات ترقبي، كان أحد تلك الحجارة يرتطم بقوة فوق جمجمتي ويهوي بي أرضاً – لأتحول إلى كومة من الارتباك والنحيب، أتخبط في التراب متسائلة في سرّي لماذا لم يقوم أحد بدعوتي إلى أي شيء قط.

وقالت لي إحدى المعلمات ذات مرة إنني سأحظى بمزيد من الأصدقاء لو غدوتُ أكثر مهارة في التواصل البصري؛ إذ أردفت: «من الوقاحة ألا تنظري إلى عيني الشخص عندما تتحدثين إليه». وجربتُ ذلك أيضاً.

بيد أنه في كل مرة كانت تلتقي فيها عيناي بعيني شخص ما، كنتُ أفرط في التفكير: ما هي المدة التي تُعد أطول من اللازم؟ هل يجب

أن أرمش؟ هل أرمش أكثر مما ينبغي؟ لِمَ كفّوا عن الحديث؟ أوه، لقد طرحوا عليّ سؤالاً للتو، ولم أكن حتى أصغي إليهم.

ولقد استسلمتُ تماماً وتخليتُ عن فكرة تكوين الصداقات برمتها في المرحلة المتوسطة. فقد كانت لدي أختي، وكان لدي والدي، وكان ذلك يمثل لي كفاية من الروابط البشرية..

1
لا مجال للتراجع

كانت رحلتي الثانية إلى **مرتفعات بروكسفيو** أقل إثارة للأحداث بكثير من الأولى؛ فقد تكفلت **غريس** بدفع ثمن سيارة "أوبر" أخرى، مما عنى عدم وجود غريبي أطوار يطيلون النظر إليّ في الحافلة، ولا متسكعين يجادلون السائق بشأن الأجرة، ولا سير صعوداً على الأقدام وسط المطر الغزير. فقط أنا في المقعد الخلفي لسيارة من طراز هوندا سيفيك، واضعة سماعاتي الـ«سيلفو» الجديدة تماماً. ولم يكن لعزل نفسي عن العالم وقع أفضل من هذا قط.

ورغم مزيد من الاحتجاجات من جانب **جيما**، فقد كنتُ عازمة على مضي هذا الأمر قُدُماً، على الأقل لليلة واحدة. ومع ذلك، أقسمتُ لها أنني سأقفز من السفينة وألوذ بالفرار عند أول بادرة خطر، وأخبرتها أن بمقدورها الاتصال بي في أي وقت لتتفقد أحوالي. بيد أن تلك «التنازلات والحلول الوسطى» لم تكن كافية لتهدئتها ولو بقدر أنملة: *«غبية! غبية! غبية!»* هكذا صرخت **جيما** وأنا أغادر الباب الأمامي. وكأنها تؤذن في مالطا.

وخففت سيارة الأوبر سرعتها لتتوقف عند أسفل الطريق المؤدي لـمنزل **غريس**. وقال السائق الذي يبدو في العشرينات من عمره:

«لقد وصلنا.»

وكان يملك لحية صغيرة خفيفة تحت ذقنه، ويرتدي قبعة رياضية تحمل شعار "تاب آوت"، ويصغي إلى بودكاست يُدعى "عقلية السعي والكد". ولم يكن الأمر محاكاة ساخرة؛ بل لقد رفعتُ إحدى سماعتيّ أكثر من مرة لأصغي إليه بدافع الفضول والمقت. وكان مقدم البرنامج يتلفظ بأمور خالية من السخرية من قبيل: *«إن طريقة طلب الرجل لشريحة اللحم الخاصة به ترتبط مباشرة بمستوى رجولته»*. و: *«إن لم تطأ أقدامك السلم العقاري بحلول يوم ميلادك الخامس والعشرين، فماذا تفعل بحياتك أساساً؟»*

وترجلتُ خارجة، والتقطتُ حقيبة ظهري ذات رسم "بيكاتشو"، وأغلقتُ الباب. وانطلق السائق بسرعة ثابتة، واضعاً صوت البودكاست على الحد الأقصى؛ ليتسرب طنين المضيف الغث من نافذة مواربة: *«بمجرد التحاقك ببرنامجنا الممتد لاثني عشر أسبوعاً، ستتهافت الإناث عليكِ ويتساقطن عند..»*

وقذفتُ بسماعاتي عائدة فوق أذنيّ، ورفعتُ صوت الموسيقى: غيتارات صاخبة، وصرخات حنجرية مدوية، وقرع طبول سريع وعنيف. موسيقى "ديث كور". وهو نوع من الموسيقى اعتادت الآنسة **بامفورد** إمطاري بالتقريع واللوم لإصغائي إليه. فحين كنتُ في المدرسة الثانوية، ضبطتني وأنا أمارس الخدعة القديمة بتمرير سلك سماعة الأذن عبر كم السترة ذات الغطاء. وصادرت هاتفي

حينها أمام الفصل بأكمله، وقَطبت حاجبيها بامتعاض عندما رأت غلاف الألبوم على شاشته. حروف حمراء كدم قانٍ، ملتوية وبالكاد يمكن قراءتها:



(التدنيس المستمر)

ولقد تجرأتْ على وضع إحدى السماعتين في أذنها، فامتعض وجهها باشمئزاز كأنها تذوقت شيئاً حامضاً. وانتزعت السماعة عنوة، وأمطرتني بمحاضرة عن مخاطر الإصغاء إلى مثل هذه القذارة، وكيف أن هذا لن يؤدي إلا إلى تحويل فتاة لطيفة مثلي إلى مسخ مرير وجاف.

حسناً، لقد انتهى بي المطاف لأغدو مريرة وجافة بالفعل، فلعلها كانت على حق. ولكن تخيلوا فقط كم كنتُ سأغدو أكثر مرارة لو لم يكن بمقدوري التنفيس عن غضبي بالإصغاء إلى موسيقى "الديث كور".

ومددتُ ذراعيّ وهززتهما لأعيد الحياة إلى ساقيّ الخدرتين. وبدت الغابة المحيطة أقل شؤماً بكثير في ضياء النهار؛ إذ التقطت أشعة

الشمس قطرات الماء العالقة بالأغصان، وتناثرت فطور عيش الغراب المرقطة على المنحدرات اللطيفة، وركض سنجاب كثيف الذيل هابطاً جذع شجرة مجاورة. ربما لن تكون الأمور بهذا السوء على أي حال.

وخطوتُ خطوتين إلى الأمام، لتتوقف حركتي فجأة وبترنح قبل أن تطأ قدمي ممر السيارات مباشرة. لِمَ توقفتُ؟ وأنا في حيرة من أمري، أوقفتُ الموسيقى مؤقتاً، وخفضتُ السماعات. وانتقلت نظراتي إلى الجانب الأيسر من الممر الحصوي؛ حيث رُبط حبل أبيض رفيع حول جذع شجرة ملتوٍ. وكان الحبل يمتد متوغلاً بعيداً في الغابة، يلتف حول شجرة في كل ثلاثين قدماً أو نحو ذلك. وتطلعتُ عن يميني: حبل آخر؛ وكان هذا الحبل مربوطاً حول عمود صندوق البريد، ويمتد صعوداً نحو منحدر صخري حتى غاب عن الأنظار.

حدود الملكية العقارية؟

ودوى تحذير **ديفيد** رجع صدى في رأسي: *«بمجرد أن تطأ أقدامكم هذه الملكية العقارية بنية أن تكونوا جليسيها وحراسها، فلا يمكنك الانسحاب ببساطة..»* وتطلعتُ من فوق كتفي – كانت سيارة الأوبر تزحف مبتعدة عند منعطف بعيد. واستدرتُ عائدة، وقدميّ لا تزالان مسمرتين في البقعة نفسها. وأمامي، كان ممر السيارات ينحرف يساراً، مفسحاً المجال لأيكة من أشجار تنوب دوغلاس؛ متفرجون

صامتون يترقبون خطوتي التالية. ورغم أن **جيما** لم تكن هناك، فقد كدتُ أسمع صوتها يقتحم المشهد وفمها محشو بالفشار: «*إنهم يحاولون تمطيط هذا الموقف لمجرد خلق الإثارة والتشويق، لكننا جميعاً نعلم ما الذي ستفعله*».

ففي الأيام الخوالي عندما كنا نقيم سهرات لمشاهدة الأفلام مع والدي – كانت **جيما**، لشدة حنقي، تمدنا دائماً بمسار تعليقي خاص بها؛ ويتألف عادة من كليشيهات مقحمة من قبيل: «*آه، إنه خلفها تماماً، أليس كذلك؟*» أو «*أوه، يا رفاق، ستودون رؤية هذا بالتأكيد*». أو «*أوف.. هذا سيترك أثراً بلا شك*».

وكانت ترفع صوتها بالحديث لا سيما خلال أفلام الرعب، وتطلق انتقادات بليغة من قبيل: «*إياكِ والذهوب إلى هناك أيتها الحثالة الغبية!*» أو «*غادري المنزل فحسب أيتها البلهاء اللعينة!*»

وكلما كانت الشخصيات أكثر غباءً، ارتفع صوت **جيما** بالصراخ. وفي ذلك الوقت، كان الأمر يثير جنوني ويزعجني للغاية، أما في هذه الأيام.. فقد كدتُ أشتاق إليه. كدتُ.

وعلى أي حال، كانت نبوءتها صحيحة. ولفظتُ بلعنة خافتة في سري، وعلّقتُ حقيبتي فوق كتفي، وبدأتُ الصعود في الممر. وأخذ حذائي الرياضي يسحق الحصى الرطب بقرعات إيقاعية مدوية. واجتزتُ المنعطف، ومرة أخرى، زحف منزل **غريس كارنسويل** ليبرز في المدى.

وتماماً كحال الغابة المحيطة، بدا المسكن مختلفاً قليلاً في ضياء النهار. ولا يزال ذلك المنزل الريفي ذو الطابقين الذي استقر في ذاكرتي، لكنه بدا فقط.. أكثر رثاثة عند الأطراف. وكانت أوراق الشجر الميتة تلتصق بالسطح، كجلد رطب بدا وكأنه على وشك الانزلاق؛ زاحف ينسلخ من جلده. وكان الطلاء الأخضر الزيتوني مقشراً وباهتاً في أجزاء منه، كحال ندوب شُفيت. وبدا العشب كثيفاً وأشعث، وقد مضى على موعد قصه أكثر من بضعة أسابيع. ومع ذلك يظل مكاناً جميلاً، وأكثر فخامة بمراحل من أي مكان يمكنني الحلم بالعيش فيه قط. وفي جانب غريب من الأمر، جعلت تلك العيوب المنزل أقل إخافة، وأكثر مألوفية وقرباً من النفس؛ فنحن جميعاً نبدو أقل حدة وأناقة تحت سطوع النهار.

ومضيتُ قُدُماً. وكان باب المرآب مفتوحاً جزئيّاً، ليكشف عن سيارة فولكس فاجن هاتشباك بيج تقبع في الظلام الحالك في الداخل.

ومن خلفي، دَوى صوت خافت لخطوات تسحق الطين المبلل. والتفتُّ؛ كانت **غريس** تشق طريقها هابطة ممرّاً منحدراً في الغابة. وكانت ترتدي معطفاً أخضر، وسروال جينز أزرق، وحذاء للمشي لمسافات طويلة. وقالت:

«مايسي، كم يسعدني رؤيتـ—»

وعلقت قدمها بجذر شجرة ملتوٍ وتعثرت متقدمة للأمام، وكادت تهوي على الحصى قبل أن تستعيد توازنها. وأسرعتُ متوجهة لمساعدتها، بيد أنها أشارت بيدها لتمنعني وأطلقت ضحكة مكتومة: «عجوز خرقاء غبية.» ومسحت خصلة من شعرها الفضي عن جبهتها، ودستها خلف أذنها مستطردة: «يسعدني للغاية رؤيتكِ». ورفعت ذراعيها لما خلتُه عناقاً، فتصلب جسدي تماماً.

وتجمدت **غريس** في مكانها، وسقطت ذراعاها جانباً، واحمرّ وجهها خجلاً وإحراجاً:

«أوه، أنا آسفة. لستِ من هواة العناق؟»

أنا بالكاد ألمس البشر الذين عرفتهم طوال حياتي:

«أنا فقط.. لا..»

«لا داعي للاعتذار.» ونزعت قفازها الجلدي ومدت يدها للمصافحة. وتصافحنا؛ وكانت قبضتها قوية، ويدها باردة. وأعادت ارتداء قفازها ثم بدأت الصعود نحو المنزل. وتأخرتُ أنا خلفها، ولا أزال أشكك في كل قرار اتخذتُه في حياتي حتى هذه اللحظة. واستقرت نظراتي على كاميرا أمنية تقبع فوق المرآب؛ كرة سوداء لامعة، كأن عين عنكبوت عملاق قد دُست بين الألواح الخشبية–

وقالت **غريس**:

«هيا بنا الآن، سأخذكِ في جولة تفقدية»

2

الأسلاك الكهربائية التالفة

انحنت **غريس** لتلج إلى داخل المرآب، وهي تخفض رأسها لتفادي الباب المغلق جزئيّاً؛ وكانت مرنة ورشيقة بشكل مفاجئ بالنسبة لشخص في عمرها. وقالت:

«لحظة واحدة.»

وانتظرتُ أنا في الخارج بينما استوت هي واقفة، ليحجب باب المرآب النصف العلوي من جسدها. ودوى صوت طقطقة مفتاح كهربائي في الظلام، ليرتفع الباب ببطء ويهتز كأنما يعود للحياة، وهو يئن صعوداً بـأزيز معدني.

ورفعت صوتها لتنافس ذلك العجيج المتبادل للمعدن ضد المعدن، قائلة:

«كنتُ قلقة قليلاً من أن تأخذي المال وتلوذي بالفرار.» وواصل الباب صعوده، لتتكشف **غريس** وهي تضع إبهامها فوق مفتاح كهربائي شاحب، مستطردة بـصفير: «لقد دفعتُ ثلاثة آلاف! لو كنتُ في عمركِ، لاستدرتُ على عقبي وهربتُ دون أن ألتفت خلفي قط.»

تبّاً. ربما كان يجدر بي فعل ذلك حقّاً.

واستقر الباب مكانه بقعقعة، وانبعثت سحابة من الغبار الرمادي كتنهيدة مجهدة من الأعلى. وارتسمت ابتسامة على وجه **غريس**:

«لكنني كنتُ سأرسل قوات الفرسان والمدد لملاحقتكِ على أي حال.» وخطت مبتعدة لتنسلّ بجسدها جانباً لتمر في تلك المساحة الضيقة بين سيارة الفولكس فاجن وطاولة عمل ضخمة. وحذوتُ حذوها.

وقالت **غريس**:

«أنا أقدر لكِ حقّاً القيام بهذا. لا تكادين تصدقين كم المقابلات التي أجريتُها؛ وأظن أن كل المتقدمين الآخرين أصابهم الذعر. إنها البارانويا والارتياب المتفشي في جيلكم.» ودَفعت مصباحاً ذو ذراع متحركة لتفسح طريقاً، ثم انسلّت خارجة بالقرب من غطاء محرك السيارة، وهي تمتم بكلمات خافتة تلوم فيها طريقة صفّها للسيارة. ثم ضربت بكعبي حذائها الملطخين بالطين فوق الخرسانة، وتوجهت نحو باب أبيض.

وبينما كنتُ أواصل السير بتثاقل وانحشار بين السيارة وطاولة العمل، استنشقتُ تلك الرائحة المألوفة للديزل وبقايا العشب المقصوص. وكانت هناك آلة لجز العشب من طراز «DeWalt» تستقر مقلوبة على بطنها فوق الطاولة، متروكة في منتصف عملية إصلاح. وبلفتة سريعة، شخّصتُ الأعراض الجوهرية لعطلها:

شفرات ثلمة وحزام دفع مكسور. وبدأت ذكريات تطفو على السطح و..

وشخصتُ ببصري بعيداً. وكانت تشكيلة من الأدوات تعلو طاولة العمل معلقة فوق لوح خشبي أبيض مثقّب. مجموعة جيدة الصنع. وخطوتُ خارجة بالقرب من غطاء محرك السيارة، وكشطتُ حذائي تماماً كما فعلت **غريس**. وفتحت الباب بيدها مشيرة إليّ بالدخول. وولجنا إلى الردهة الضيقة، لتستقبلنا تلك الصورة الشؤم لمضيق **ويندفال إنليت**. وهبطت عيناي نحو الهاتف ذي القرص الدوار القابع تحتها – وبعد مشاهدة فيديو **ديفيد**، بدا الهاتف بارزاً ومثيراً للاهتمام أكثر من ذي قبل: *«افعلوا دائماً وبدقة ما يمليه عليكم الشخص المتحدث عبر الهاتف. لا يمكنني المبالغة في مدى أهمية هذا الأمر»*.

وعلّقت **غريس** معطفها ومدت يدها لتأخذ معطفي؛ فسلمتها السترة عينها التي ارتديتها في المقابلة. وبينما كانت تعلقها، اختلج أنفها – وومضت عيناها بقلق واهتمام، لتختصر الحديث قائلة:

«أنتِ تدخنين».

وتنحنحتُ قائلة:

«ليس بعد الآن.»

وكنتُ كاذبة بارعة السوء، تماماً كحال **جيما**.

وقالت **غريس** وهي تنزع حذاءها وتضعه فوق رف الأحذية:

«لا بأس إن كنتِ تفعلين، ولكن أبقي الأمر خارج المنزل».
وأجبتها بـإيماءة خجولة مطأطأة الرأس، وخلعتُ حذائي الرياضي.
واجتازتني **غريس** لتنساب متوجهة نحو غرفة المعيشة، قائلة:
«يمكنكِ تناول أي شيء تبتغينه من الثلاجة. ولقد تركتُ لكِ رقم هاتف لمطعم بيتزا؛ فلا أحد سواه يقوم بالتوصيل إلى هذا المكان النائي.» ورفعت حقيبة سفر ضخمة فوق منضدة المطبخ، وفتحت سحابها، وبدأت تنبش في داخلها. وكانت تتوقف بين الحين والآخر، لتسرد مستلزمات السفر الأساسية: «شاحن الهاتف، فرشاة الأسنان، وسادة الرقبة..» وتطلعت نحوي مستطردة: «سجلي في الفاتورة أي طعام تشترينه؛ فقط أبقي الأمر في حدود المعقول، بما لا يتجاوز مائة دولار يوميّاً على سبيل المثال».
«هذا سيكون أكثر من كافٍ..»
وبينما واصلت **غريس** تفقد حقيبتها، تقدمتُ أنا خطوات إلى الأمام، وسقطت نظراتي على تلك الأريكة البيج؛ الأريكة عينها التي كان **ديفيد** يجلس عليها في الفيديو. وتساءلتُ –ولم تكن هذه المرة الأولى– كيف استطاعت **غريس** تحمل روتيناته وطقوسه الغريبة لثلاثة أشهر متواصلة، لا سيما وهي لا تؤمن بها أساساً..
وقالت **غريس** وهي تغلق سحاب حقيبتها وتصفق بيديها:
«حسناً، لنبدأ الجولة التفقدية».

وأصرّت على أن نبدأ من الطابق الثاني ثم نهبط لأسفل. وقادتني صعوداً عبر درج تحفه جدران مكسوة بالألواح الخشبية – وتزدحم بمزيد من الصور الفوتوغرافية بمختلف الأشكال والأحجام. وكان معظمها يفيض بأفراد عائلة مبتسمين في حفلات زفاف وتجمعات عائلية؛ وقليل منها كان يمثل مناظر طبيعية برية كئيبة، تشبه إلى حد كبير تلك الصورة القابعة في الردهة.

وفي أعلى الدرج، امتد رواق طويل وضيق ذو سقف منخفض ونافذة سقفية. كان المكان مظلماً هنا في الأعلى؛ ولم تفعل النافذة السقفية، المغطاة بأوراق الشجر الميتة، شيئاً يُذكر لإضاءة المكان. وكانت هناك غرف على كلا الجانبين، أربع في المجمل، وخزانة ذات أبواب شيش في نهاية الرواق البعيدة. وواصلت **غريس** تقدمها للأمام عندما..

تـتـتـتيك-بـزززززززززززز.

كان هناك ضوء خافت ينبثق من نهاية الرواق — شريحة من الوهج الأصفر تتسرب من باب مفتوح. وتوقفت **غريس** في منتصف خطواتها، وأخرجت تنهيدة حانقة، ثم تابعت تقدمها؛ كانت تشعر بالإنزعاج أكثر من القلق. وتأخرتُ أنا خلفها، وشعور متسلل من عدم الارتياح يزحف على طول عمودي الفقري، ليقشعر له شعر مؤخرة عنقي. لقد افترضتُ ألا أحد غيرنا هنا..

والتفتت **غريس** إلى الوراء، لتلحظ ترددي، فأوضحت قائلة:

«التوصيلات الكهربائية في هذا المكان معطلة؛ فالأضواء تنطفئ وتشتغل من تلقاء نفسها طوال الوقت.» وتابعت سيرها مستطردة: «تكادين تقسمين أن المنزل مسكون، لكنه مجرد زوجي الأبله، طيّب الله ثراه؛ فقد كان يرفض رفضاً قاطعاً استدعاء كهربائي محترف». وانحنت بجسدها داخل الغرفة، ليختفي وجهها عن الأنظار متابعة: «ولقد أحدث فوضى عارمة في التوصيلات، حتى إن المحترفين أنفسهم يعجزون عن فهمها الآن». ودوى صوت نقرة مفتاح الضوء، لكن المصباح ظل مشتعلاً. وتذمرت حانقة، وواصلت المحاولة، تحرك المفتاح صعوداً وهبوطاً، صعوداً وهبوطاً، *صعوداً، هبوطاً*. وأخيراً، انطفأ الضوء. وتراجعت خطوة إلى الوراء وهي تهز رأسها:

«أنا موقنة أنه تحدث عن الأضواء في الفيديو، صحيح؟»

فأجبتها بـإيماءة حذرة متوجسة.

وقالت وهي تعود أدراجها نحوي:

«حقا، الأضواء هي على الأرجح الطقس الوحيد» –ورفعت أصابعها لتصنع علامتي اقتباس في الهواء– «الذي سيتعين عليكِ القلق بشأنه. أنا فقط أضبط منبهاً عند الساعة الثانية والخمسين دقيقة صباحاً في كل يوم، وأطوف في أرجاء المنزل حتى الرابعة؛ ولهذا السبب ترينني مفعمة بالنشاط والبهجة والاشراق طوال الوقت». ورسمت ابتسامة مبالغاً فيها. ثم فتحت الباب القابع عن يساري،

لتبخر تلك الابتسامة وهي تقول: «هنا الحمام؛ لكِ كامل الحرية في استخدام أي منها، لكن هذا هو الأقرب لغرفتكِ».

وكان ضياء النهار الرمادي ينسكب عبر نافذة صغيرة تعلو حوض الاستحمام. وكان ستاره مغلقاً بالكامل، وتغطيه تلك النقوش القديمة لـ«المزرعة والبط» التي لا يبدو أن الأجداد يملّون منها قط. ودونتُ ملحوظة في عقلي بضرورة فتحه بمجرد مغادرة **غريس**. *قاعدة منزلية صارمة.*

عبرت الردهة الضيقة وفتحت بابًا آخر. كان الباب يؤدي إلى غرفة ضيوف تكاد تكون بحجم شقتي الاستوديو بأكملها. وهو ما يعني، بصراحة، أنها كانت تقريبًا بحجم غرفة نوم عادية. كانت نافذة مغلقة بمصاريع تلقي بخطوط ضبابية فوق فِراش كبير. وفي الجهة المقابلة من الغرفة، كانت هناك خزانة بأبواب مزدوجة مطوية، مفتوحة شقًا صغيرًا. خط رفيع من الظلام الدامس.

لطالما كرهت ذلك، فقد كنت أشعر وكأن هناك شخصًا ما على الجانب الآخر يراقبني وينتظرني.

قالت **غريس**:

«هنا سيكون منامكِ. لقد أفرغتُ الخزانة، وإن كان يبدو أن أمتعتكِ خفيفة للغاية..» وسقطت نظراتها على حقيبة ظهري الرثة ذات رسوم "بيكاتشو"، والتي لا تزال معلقة فوق كتفي.

وقلتُ لها:

«أنا.. لقد جلبتُ فقط ملابس تكفي لعطلة نهاية الاسبوع».

فأردفت **غريس**:

«على أي حال، لكِ كامل الحرية في استخدام الخزانة، أو غرفة الغسيل في الطابق السفلي». وبدأت تهم بمغادرة الغرفة، لكني تسمرتُ مكاني، وعيناي شاخصتان نحو شيء يستقر فوق طاولة سرير جانبية زرقاء: هاتف آخر ذو قرص دوار وأبيض لامع، تماماً كحال الهاتف القابع في الردهة.

وسألتُها:

«هل يتصل بكِ أحد على الإطلاق؟»

وتوقفت **غريس** في خطواتها مجدداً وتطلعت نحوي، وقَطبت حاجبيها:

«عذراً؟» وبدت مرتبكة، بل وجريحة حتى.

وأدركتُ فجأة كم يمكن أن يبدو هذا السؤال مهيناً لـأرملة وحيدة – *مرحباً، هل يتصل بكِ أحفادكِ أم أنكِ تجلسين فقط طوال اليوم في المنزل لتطفئي الأضواء؟* لقد تلفظ به عقلي قبل أن يتدبره؛ وهو أمر أفعله كثيراً. ولكن دفاعاً عن نفسي، كان السؤال يختمر في داخلي منذ فترة، ينتظر الفرصة لينطلق إلى السطح كبالون يُضغط عليه تحت الماء. واستطردتُ موضحة:

«زوجكِ.. لقد قال في الفيديو إن بعض الأشخاص يتصلون أحياناً، ويملون عليكِ أفعالاً لتقومي بها».

وارتسمت ابتسامة مريرة على وجه **غريس**، وغدت عيناها قلقتين زائغتين، تعجزان عن الاستقرار على شيء تركزان عليه؛ تارة ترمقان صورة مجاورة، وتارة الأرضية الخشبية في الأسفل، وتارة علامة خمش على إطار الباب، ثم تستقران عليّ:

«لم أتلقَ قط اتصالاً كهذا؛ وأنا.. لا أظن أن زوجي تلقى ذلك أيضاً. لقد كان **ديفيد**..» ولّاذت بالصمت مجدداً وهي تزن كلماتها: «أعلم أنه قد يبدو مقنعاً في معتقداته، لكنه لم يكن في كامل قواه العقلية، لا سيما مع اقتراب النهاية. وفي أكثر من مناسبة، كنا نكون بصدد تناول العشاء، أو مشاهدة التلفاز.. فينتفض فجأة كأنما رن الهاتف.. ويطلب مني البقاء في مكاني، ويخبرني بأنه سيتولى الرد. ودائماً بأمر عاجل ملحّ. ثم يهرع مسرعاً نحو الردهة ويتحدث إلى شخص ما في الجانب الآخر بنبرة خافتة وهمس. أنا..» وتوقفت مؤقتاً، ومن الجليّ أنها لا تستمتع بهذا الحديث: «استرقتُ السمع مرة أو مرتين، ولم يكن هناك أي أحد على الجانب الآخر قط؛ بل كان فقط **ديفيد**، يتحدث، وينتظر، ثم يستجيب للسكون والعدم. هلاوس سمعية، هذا ما أكده طبيبنا لاحقاً. هل تفهمين؟»

وأجبتها بـإيماءة وقورة حزينة. ورغم غرابة الأمر ولامعقوليته، فقد كان مألوفاً لي بشكل مؤلم؛ فجدتي كانت تختلق أوهاماً وتصورات معقدة عندما بدأ عقلها يزل ويغيب. وأحياناً، كانت تبدو

في كامل وعيها وحضورها، وحادة كعهدها دائماً، وفي اللحظة التالية، تجدينها تتحدث إلى الظلال كأنهم أصدقاء قدامى.

واستعادت **غريس** ثباتها وعادت لمتابعة العمل، وأشارت بيدها نحو الرواق:

«غرفة النوم الرئيسية عن اليسار، ولا داعي للولوج إليها إلا لإطفاء ضوء. وغرفة ضيوف أخرى عن اليمين».

وقادتني **غريس** هابطة نحو الطابق الرئيسي. وامتد رواق طويل من المطبخ، متوغلاً في عمق الواجهة الصخرية المنحدرة. وأبواب تقبع على كلا الجانبين؛ وامتد الرواق لمسافة طويلة بشكل مفاجئ، ثم انحرف يميناً. وبينما كنتُ أحث الخطى خلف **غريس**، كانت تشير بيدها نحو كل باب:

«هذا هو المكتب.. وتلك هي قاعة السينما المنزلية.. وهذا حمام مزود بـجاكوزي.. لكِ كامل الحرية في استخدام أي منها».

بالتأكيد سأستخدم قاعة السينما المنزلية تلك.

وخففت من سرعتها، وسحبت باباً أخضر لتغلقه مستطردة:

«هذه غرفة الدراسة..» وبينما كان الباب يُغلق، لمحتُ رفوفاً تزدحم بالكتب، ومكتباً خشبيّاً قديماً. وتابعت سيرها للأمام، لتتوقف مجدداً قبيل المنعطف مباشرة؛ وكانت عيناها شاخصتين نحو باب أبيض مصمت.

ودام السكون لبرهة حتى سألتُها:

«ماذا يقبع هناك في الداخل؟»

وأمالت رأسها كأنما تحاول تذكر شيء طواه النسيان منذ زمن بعيد:

«هذه خزانة تخزين.» واستدارت بعيداً وهي تهز كتفيها. وبينما اجتزنا المنعطف الأخير، تجمدت **غريس** في مكانها مرة أخرى؛ فالباب الأخير، القابع في نهاية الرواق، كان مفتوحاً على مصراعيه، ليبدو مستطيلاً مظلماً يؤطر درجاً يهبط متراجعاً نحو الظلمة الحاضنة.

وبحنق، تقدمت خطوات وسحبته لتغلقه بقوة، قائلة:

«هذا هو القبو. يفتح الباب من تلقاء نفسه أحياناً؛ فالمزلاج مكسور. وهو شيء آخر رفض **ديفيد** استدعاء محترف لإصلاحه.» وخطت متوجهة نحوي:

«لا تهبطي إلى هناك إلا إذا اضطررتِ لذلك حقّاً؛ فثمة مشكلة عفن طفيفة».

واجتازتني بمرورها، لكني ظللتُ مسمرة في مكاني وسألتُها:

«ولِمَ قد أضطر للهبوط إلى هناك أساساً؟»

وتوقفت **غريس** مؤقتاً تزن السؤال، ثم قالت:

«وجهة نظر صائبة؛ الأفضل ألا تفعلي».

وعندها اقتحم مسار تعليق **جيما** الخاص بالأفلام مخيلتي:

«القبو هو المكان الذي يخبئون فيه الجثث دائماً».

وعدتُ أنا و**غريس** إلى المطبخ. وقالت:

«المظاريف تستقر فوق الثلاجة، في صينية خشبية. لا تفتحيها إلا إذا اضطررتِ لذلك، وثقي بي، لن تضطري؛ فأنا لم أفعل قط. وإذا استجد أي خطب آخر، فلديكِ رقمي، أرسلي لي رسالة نصية».

وارتسمت ابتسامة على وجهها، وبادلتُها أنا الأخرى شبه ابتسامة.

وأردفت قائلة:

«أوه، وسأرسل لكِ بيانات تسجيل الدخول لتطبيق كاميرات المراقبة أيضاً.» فبعد المقابلة، كانت قد ذكرت أن لديهم كاميرات مثبتة في المنزل. وبدا الأمر كأنه تحذير أكثر من أي شيء آخر:

أنا أراقبكِ، لا تسرقي شيئاً أيتها الفلاحة المتسخة.

ومرّ شكل ضبابي، داكن وصغير، مسرعاً عبر غرفة المعيشة واختفى صعوداً نحو الطابق العلوي. وأملتُ رأسي متسائلة.

وقالت **غريس**:

«الأمر الأخير؛ هذه قطة زوجي، **براوني**. إنها حادة الطباع ونزقة قليلاً، لكنها قد تألفكِ إن تجاهلتِها. صندوق الرمل يستقر في المرآب، ولديها آلة إطعام تلقائية. أثق بمقدرتكِ على التعامل مع هذا الشأن؟»

«بالتأكيد.» وفي العادة، كنتُ لأمتعض وأتذمر من هذه المسؤولية الإضافية، لكنها كانت مفاجأة مرحباً بها؛ فأنا أميل لإيثار صحبة الحيوانات على صحبة البشر.

وأضافت **غريس**:

«يُسمح لـ**براوني** بالتجول في الخارج؛ بيد أنها أشبه بآلة قتل صغيرة، فقد تجلب لكِ طائراً ميتاً أو اثنين أو ثلاثة.» وهزت رأسها، ومن الجليّ أنها ليست من محبي القطط، وتابعت: «ولكِ كامل الحرية في التجول في الملكية العقارية بنفسكِ؛ فهناك إطلالة رائعة الجمال على المحيط في ذلك الاتجاه». وأومأت برأسها نحو باب شرفة زجاجي. «أنا أقوم بـالرحلة في كل يوم لنيل حصتي من خطوات المشي». وعدّلت سوار «حياة صحية» يطوق معصمها؛ وهو محاكاة أنيقة وعالية الجودة لساعات "مراقبة الأنشطة اليومية"، ولم أتعرف عليه إلا لأن **جيما** كانت قد سرقت واحداً بدافع الهوس من أحد المتاجر منذ بضعة أشهر.

وتوجهت **غريس** نحو منضدة المطبخ ورفعت حقيبتها لتهبط بها؛ فارتطمت بالأرض بـضربة مكتومة وجافة. وتسبب الارتطام في سقوط إطار صورة معلق فوق سجادة خضراء بالقرب من قدميّ. واستقر الإطار رأسيّاً لبرهة، ثم انقلب على وجهه. *يا إلهي، هل كانت تهرب ذهباً في داخلها؟*

وقالت **غريس** مجيبة عن فكرتي التي لم أنطق بها:

«ألعاب للأحفاد.» وانحنت عند الصورة الساقطة وقلبتها لأعلى. ثم استوت واقفة، وعلّقت الصورة بعناية في مكانها بين البقية. وتأملت المشهد، لتتحول ملامح وجهها إلى تعبير عجزتُ عن قراءته. أحزن هو؟ أم ندم؟

وكانت الصورة تظهر ما افترضتُ أنه **ديفيد** في سن أصغر؛ وبدا في أوائل الثلاثينات من عمره، وسيماً بطابع سكان المدن الصغيرة – شعر بني رملي، وعينان بنيتان داكنتان، ووجه حليق بالكامل. ويجلس فوق كتفيه العريضين صبي صغير يشبهه تماماً. وتلتصق بجانب **ديفيد** امرأة في أواخر العشرينات من عمرها، تملك أعينًا زرقاء ساطعة، وشعراً أسود فاحماً كـالليل. ولمحتُ عيني **غريس**؛ كانتا بنيتين فاتحتين.

وتراجعت **غريس** خطوة إلى الوراء، وأمالت رأسها، وطقطقت بلسانها؛ فـالصورة كانت مائلة قليلاً. وعدّلت استواءها بـلمسة رقيقة:

«**ديفيد وكيلب**..» هكذا قالت، موجهة حديثها لنفسها أكثر مما هو إليّ. ثم صفقت بيدها فوق منضدة المطبخ وتفقدت الوقت مستطردة: «قبل أن أنصرف، هل لديكِ أي أسئلة أخرى؟»

وكانت لدي أسئلة تفوق الحصر، لكني رأيتُ عند هذه النقطة أن الأفضل هو الاحتفاظ بها لنفسي.

3

العلامات التحذيرية

وقفتُ عند نافذة غرفة المعيشة، أراقب سيارة الفولكس فاجن الخاصة بـ**غريس** وهي تزحف هابطة الممر الحصوي. والتقطت أشعة الشمس الزجاج الأمامي لترتد شظاياها متطايرة نحو الغابة – ومضات ساطعة ركضت على طول الجذوع وسوطت عائدة نحو المنزل، لتتلاشى وتغيب قبل أن ترتطم بالعشب الأشعث غير المعتنى به.

واكتسبت السيارة ذات المؤخرة المائلة (الهاتشباك) سرعة إضافية عندما تلاقت بالإسفلت، ثم ضغطت على المكابح فجأة وبقوة بالغة حتى إنني استطعتُ سماع صرير الإطارات من كل هذه المسافة في الأعلى. وحملت الرياح سحباً سوداء من دخان المطاط المحترق إلى الأمام. وقَفزت نقطة بنية اللون مجتازة الطريق.

وضيّقتُ عينيّ لأرى؛ أرنب هو؟ كان يتحرك بلا عجلة، قفزة، فتلو قفزة، فتلو قفزة، حتى انسلّ داخل خندق مائي.

وعادت **غريس** لتضغط على دواسة الوقود، ببطء هذه المرة. وانطلقت الفولكس فاجن بوتيرة حذرة، واجتازت المنعطف، واختفت وراء منحدر ضفة طينية مبللة.

وأطلقت كتفاي توتراً لم أكن أدرك حتى أنني كنتُ أحتجزه في داخلهما؛ واستقر عنقي، وعمق نَفَسي. وخالجني الشعور عينه الذي ينتاب المرء عندما يغادر "الرئيس" المكان، على ما أظن.

والتفتُّ مبتعدة عن النافذة، لتستقر عيناي مباشرة فوق كاميرا مراقبة. كانت تقبع في مكان مرتفع أعلى خزانة الأواني الصينية في الزاوية البعيدة من المطبخ – مكعب أبيض صغير ذو عدسة دائرية سوداء وضياء أزرق يرمش.

وتساءلتُ في سرّي: *لِمَ يضعون كاميرات في الداخل؟*

واقتحمت **جيما** مخيلتي قائلة:

«ليبثوا مقطعاً حيّاً على الإنترنت المظلم (الدارك ويب) بينما يصطادونكِ بدافع التسلية والرياضة».

أجل، ربما، أو لعلهم يريدون فقط مراقبة القطة وتتبع أحوالها. أو تتبع أحوال جليسي ومستأجري المنازل المحتملين..

ومهما تكن الأسباب، لم تكن تروق لي فكرة كوني خاضعة للمراقبة والترصد. وبذلتُ قصارى جهدي لأطرد الكاميرات من عقلي، وتوجهتُ نحو الثلاجة وفتحتها؛ لتتبدى فارغة، باستثناء بعض الصلصات والمنكهات ووعاء "تابروير" زجاجي يزدحم بجزر صغير. *«تناولي أي شيء تبتغينه من الثلاجة».* وسحبت الباب بعنف لأغلقه، وسرتُ متوجهة نحو الأريكة وهويتُ فوقها بجسدي.

كانت الساعة تشير إلى الخامسة والنصف فقط، ولم أكن أدري ماذا أفعل بنفسي. كانت هناك مساحة مفرطة الشاسعة هنا، وسكون زائد عن الحد؛ والسكون يملؤني بالشلل، ويجر أفكاري نحو بقع تجعلني أرغب في الزحف داخل الفِراش وإحصاء ندوب وجدران السقف الجصي، والبقاء غارقة في النوم لأسابيع. وكان هذا واحداً من أسباب كثيرة تفوق الحصر تجعلني أملأ أذنيّ بالموسيقى، والضوضاء البيضاء، وأي شيء يحول دون تيهان رأسي وانزلاقه نحو غرف ودهاليز يعجز عن الانعتاق منها.

بيد أن والدي كان يشجعني دائماً على الجلوس في سكون: «*حاولي تقبل عدم الارتياح الناجم عن الخمول واللا نشاط، عيشي مع أفكاركِ. لا تدفعيها بعيداً، بل اعترفي بوجودها وتقبليها كحال سحابة عابرة في السماء. تخيلي نفسكِ جالسة فوق مقعد في حديقة عامة، وتخيلي أن أفكاركِ مجرد أوراق شجر تطفو عائمة مع نسيم رقيق: أوه، ها هي تلك الفكرة التي تخبرني دائماً بأنني فاشلة بلا قيمة، ولا أستحق سوى حسرة القلب والبؤس، و.. ها هي تمضي. ستعود مجدداً، ولا بأس في ذلك، لكنها رحلت في هذه اللحظة على الأقل*».

لقد كانت نصيحة معاكسة للمنطق والبديهة، ولكن في المرات التي التزمتُ بها حقّاً، وجلستُ جديّاً وسمحتُ لأفكاري بالوجود فحسب، كانت تجدي نفعاً. في الغالب. «*الأفكار مجرد صوت يا مايسي، ضوضاء خلفية كحال مطر يضرب نافذة أو أغنية مزعجة تصدح*

في الراديو. هذه الأصوات ستأتي وتذهب سواء أردنا ذلك أم لم نرد. تقبليها كما هي، لا بصفتها صائبة، ولا بصفتها خاطئة، بل مجرد محفز خارجي آخر. الأفكار مجرد صوت. الأفكار مجرد صوت. الأفكار مجرد..»

وبات كل صوت ضئيل في المنزل بارزاً وحاداً الآن: تكتكة الساعة، صرير الحوائط وأنينها، وحتى المياه في الأنابيب. وصنبور يقطر، قطرة، فقطرة، فقطرة، وكان لكل ارتطام صدى يتردد في أرجاء المكان. ورفعتُ قدميّ فوق الأريكة، واحتضنتُ ساقيّ، وجذبتهما بالقرب مني. وأسندتُ ذقني بين ركبتيّ. *مايسي إلينور مولينز، في أي ورطة أقحمتِ نفسكِ هذه المرة؟*

وأغلقتُ عينيّ.

تـتـتـتيك-بـزززززززززززز.

وفتحتُ عينيّ؛ كان مصباح الردهة قد اشتعل من تلقاء نفسه، ليرمي بوهج أصفر على صورة مضيق ويندفال إنليت.

وذكّرتُ نفسي: *إنها مجرد توصيلات كهربائية معطلة.*

ومع ذلك، انقبض حلقي، وجف فمي. ونهش عدم الارتياح أمعائي، يقضم بطانة المعدة.

اهدئي. وأخذتُ نَفَساً عميقاً، شهيقاً من الأنف، وزفيراً من الفم. وأغلقتُ عينيّ مجدداً، وحاولت تجاهل الضوء الذي يصدر طنينًا، بيد أن صوتاً ملحّاً ومزعجاً بدأ يتشكل في مؤخرة رأسي، كيرقة

تتلوى وتتخبط بين المادة الرمادية لعقلي: *أطفئي الضوء*، هكذا همس الصوت. *أطفئي الضوء. أطفئي الضوء.*

وحاولتُ تجاهل هذه الحكة القهرية الصغيرة، وحاولتُ مراقبتها وهي تطفو عابرة كأوراق شجر مع النسيم. وعلى أي حال، لم نكن نكاد نقترب من تلك الساعة التي أسماها ديفيد "ساعة السحر والطقوس"، ولكن..

أطفئي الضوء. أطفئي الضوء. أطفئي الضوء.

وتذمرتُ حانقة، واستويتُ واقفة على قدميّ، وجررتُ جسدي مجتازة غرفة المعيشة. وتباطأت خطواتي عند عتبة الردهة؛ واستقرت عيناي على مفتاح الضوء – القابع بجوار صورة مضيق ويندفال إنليت مباشرة. وتحركتُ بتثاقل وضغطتُ عليه لـإطفائه. وغرقت الردهة في الظلام، وخمد ذلك الصوت الملحّ، وتبخرت اليرقة المتلوية. وتراجعت خطوة إلى الوراء، و..

وفي مكان ما في الطابق العلوي، تردد صدى ضربتين خفيفتين في تتابع سريع: *دو-دوم*. وتبعتهما أنة صرير خفيضة. وانثالت موجة أخرى من عدم الارتياح تتفتح في معدتي. كان يمكن أن يكون أي شيء؛ استقرار المنزل، أو ثمرة صنوبر ترتطم بالسطح، أو خطوات قاتل يحمل فأساً..

«اخرجي! اخرجي! اخرجي بحق الجحيم!» هكذا صرخ تعليق **جيما** في مخيلتي. وبذلتُ قصارى جهدي لتجاهله؛ فالأفكار مجرد

صوت. ولم أكن قريبة بأي حال من الأحوال من مستوى پارانويا أختي وارتيابها، ولكن لسبب ما، بدا الصوت متعمداً.. كأن كل ما تسبب فيه أرادني أن أسمعه. كانت هذه حدساً غريزيّاً أكثر من أي شيء آخر؛ ناقوس خطر يدق من أعماق قشرة دماغي.

وتبعت ذلك أفكار أخرى غريبة وجامحة: *ماذا لو كانت هذه خدعة فظيعة؟ ماذا لو كان سكان مرتفعات بروكسفيو بأسرهم مشتركين في الأمر؟ ماذا لو كانوا ينوون قطع لساني، واستئصال أعضائي؟*

وسخرتُ من هذه السخافة واللامعقولية؛ فقد كان هذا من نوع الهراء عادم الدماغ الذي قد تختلقه **جيما** بعد تجرع الكثير من المهدئات، ومع ذلك..

ظلت تلك الضربة الخفيفة تتردد كصدى في ذاكرتي بتتابع مستمر: *دو-دوم، دو-دوم، دو-دوم.* واجتزتُ الردهة وتباطأت خطواتي عند أسفل الدرج. كان المكان لا يزال مظلماً هناك في الأعلى، مع أشعة ضئيلة من شمس ذهبية تتسرب عبر النافذة السقفية. وأملتُ أذني مستمعة.

لاشيء.

وكدتُ أريد للصوت أن يتكرر؛ فحينها يمكنني عزوه لاستقرار بخشب المنزل – نمط متكرر. وتطلعتُ من فوق كتفي، عائدة بنظري نحو الباب الأمامي؛ وكان اللوح الزجاجي الممتد من الأرض إلى السقف يؤطر الغابة في الخارج. وظلال جذوع

الأشجار تمتد طويلة في ضياء الشمس الذهبي؛ مشهد يرحب بالمرء مقارنة بهذا الدرج المظلم الضيق القابع أمامي. ونظرتُ نحو علاقة المعاطف، إلى سترة والدي، ثم إلى حذائي الرياضي فوق رف الأحذية.

هل كنتُ حقّاً أفكر في التخلي والابتعاد عن ستة آلاف دولار بسبب ضربتين صغيرتين ودائرة كهربائية معطلة؟ يا إلهي، كم كنتُ مثيرة للشفقة.

وإذ انتابني الحنق من كون پارانويا **جيما** قد انتقلت إليّ بالعدوى، التفتُّ عائدة نحو الدرج، وضغطتُ على أسناني، وصعدتُ بـخطوات ثقيلة مدوية، مانحة وزناً وقوة لكل خطوة. وكدتُ أشعر بأختي الصغيرة وهي تقذفني بالـفشار، وحبيباته الصغيرة ترتطم بظهري وتتساقط: *«أنتِ تسيرين في الاتجاه الخاطئ!»*

جديّاً يا **جيما**، هكذا فكرتُ، هذا هو الواقع، وليس فيلم رعب. وفي الواقع، معظم البشر، حتى أولئك المصابين بالپارانويا، لا يلوذون بالفرار عند سماع صوت ارتطام صغير، ولا يتصلون بالشرطة لأن مصباحاً كهربائيّاً قد تعطل واختلج. معظم البشر يستكشفون الأمر، ويصلون إلى تفسير منطقي، ويهزون أكتافهم، ويمضون في حياتهم. والآن اقذفي بتسعة آلاف دولار فوق الطاولة، وتدبري الأمر؛ لقد سئمتُ من تبرير نفسي لكِ. أنتِ لن تصعدي الدرج يا **جيما**؟ كنتِ ستهربين وذيلكِ بين رجليكِ، وتتركين المنزل خاوياً

وتعودين زاحفة نحو شقتكِ الصغيرة الحقيرة ليتم طردكِ وإلقاؤكِ في الشوارع؟ حسناً. هنيئاً لكِ. أنتِ أكثر ذكاءً وأناقة وحكمة من أختكِ الكبرى البلهاء. هل أنتِ سعيدة الآن؟

وتوقفتُ مؤقتاً في أعلى الدرج، وقد استُنزفتُ ذهنيّاً جراء هذا الجدال الخيالي. وامتد الرواق أمامي – وكانت الأبواب كلها مغلقة، باستثناء غرفة النوم الرئيسية القابعة في النهاية البعيدة. ومن داخلها، دوت أنة صرير خفيضة أخرى. أكانت ألواح أرضية ؟ ثم تلاه صوت كشط سريع، كأنه شهيق خشن ومجهد، أو يد ذات جلد متقرح تمر فوق جدار جاف: *شررررووب.*

واختلجت عيني اليسرى. مجرد *أصوات منزلية غريبة*، هكذا أخبرتُ نفسي، *المنازل القديمة تصدر أصواتاً غريبة.*

وقبضتُ يديّ لتتحولا إلى هراوتين صلبين، وتابعتُ سيري للأمام بـخطوات حازمة، وتباطأت خطواتي عند مدخل غرفة النوم الرئيسية ووقفتُ هناك.

وكانت هذه الغرفة، كحال بقية أرجاء المنزل، عادية تماماً ولا ميزة فيها؛ ورق حائط بنقوش الأزهار، وفِراش ضخم يغطيه لحاف مقلم، وخزانة ملابس جدارية كبيرة، وحمام داخل الغرفة، ولكن.. ثمة شيء لم يكن في موضعه الصائب.

ومع ضغط يديّ على كلا جانبي إطار الباب، انحنيتُ بجسدي للأمام. وبدت هذه الغرفة أكثر برودة قليلاً من البقية؛ تيار هواء

بارد، رغم أن النوافذ كانت مغلقة. وفي الخارج، كان نسيم خفيف يهز الأغصان الهزيلة لشجرة بلوط، لتكشط أصابعها الخشبية زجاج النافذة: *شرررروووب، شرررروووب، شرررروووب.* حسناً، هذا يفسر صوتاً واحداً، ولكن.. ثمة خطب آخر؛ شيء عجزتُ عن تحديده وتلمسه. وبينما تفقدتُ الغرفة بنظراتي، شعرتُ وكأنني أنظر إلى أحجية "أين والدو؟"؛ عالمة تمام العلم أن ذلك الأبله الذي يرتدي قميصاً مقلماً يختبئ في مجال رؤيتي، لكني عاجزة بكل ما أوتيتُ من قوة عن رصده وتحديده..

ها هو ذا. فوق خزانة ذات أدراج في زاوية مظلمة: القطة **براوني**. كانت ملتفة حول سترة مجعدة تنضح على الأرجح برائحة **غريس**. يا لها من مسكينة.

وانفتحت عيناها، وتوسعتا بـذهول عند رؤيتي. وانتفضت واقفة على قدميها؛ وارتفع ذيلها صعوداً، وانحنى ظهرها متقوساً. وحدقت فيّ بصرامة لتتحداني بـبصرها؛ **مايسي مولينز**، ذلك القرد الكبير الأملس الذي اقتحم منطقتها .

وحتى من مسافة كهذه، كان بمقدوري تمييز أن القطة كانت آية في الجمال؛ خليط من السلالة السيامية، بفراء أسود تتناثر فوقه فسيفساء فوضوية من البني البرتقالي والأبيض المتعرج الحاد. وكانت تملك خطّاً ذهبيّاً يمتد على جسر أنفها، وكل عين من عينيها بلون مختلف؛ اليسرى بلون أزرق جليدي، واليمنى ببني داكن.

وأصدرتُ صوت بلساني (بس-بس-بس)، بيد أنها ظلت متجمدة مكانها. وهبطتُ بجسدي متخذة هيئة القرفصاء، محاولة إظهار نفسي بأقل قدر من التهديد والإخافة، وفركتُ أصابعي معاً كأنني أحمل لها مكافأة من الطعام ولذائذه: *بس-بس-بس*.

ورمشت بعينيها نحوي مرة، ثم ثانية، ثم استرخت. وانسابت هابطة عن الخزانة كـانسكاب سائل؛ فارتطمت كفاها الأماميتان بالأرضية الخشبية أولاً، وتبعتها ساقاها الخلفيتان، لتدوي ضربتان سريعتان في تتابع: *دو-دوم*.

قطة صغيرة صاخبة.

وهرولت متوجهة نحوي، لترفع من سقف آمالي، قبل أن تنحرف فجأة وبحدة نحو اليمين وتختفي تحت الفِراش. أليست هذه هي العادة دائماً؟ ونهضتُ واقفة وأنا أتمتم متذمرة؛ الأفضل أن أمنحها مساحتها الخاصة، وأتظاهر بعدم الاهتمام؛ فهكذا تجعل القطة تألفك وتحبك. وتركتُ الباب موارباً، يسعدني أن ألقي باللوم في كل هذه الأصوات الصغيرة المرعبة على عاتق **براوني**. وسرتُ بخطوات حازمة عابرة الرواق، لكني لم أخطُ سوى خطوة واحدة فوق الدرج عندما—

تـتـتـتيك-بـزززززززززززز.

وتطلعتُ إلى الخلف؛ كان مصباح غرفة النوم الرئيسية قد اختلج ليعود للحياة، لينسكب مستطيل من الضياء الأصفر فوق الأرضية

الخشبية الصلبة. واختلجت عيني اليسرى مجدداً، وتشكلت برقة متلوية أخرى في أفكاري: *أطفئي الضوء يا مايسي – إن لم تفعلي، سيحدث خطب سيئ، شيء فظيع وملوث. أطفئي الضوء. أطفئي الضوء. أطفئي الضوء.*

وأخذتُ نَفَساً، ثم أخرجتُ زفيراً. وسرتُ عائدة على طول الرواق، ومددتُ يدي داخل الغرفة، وحركتُ مفتاح الضوء لأسفل لـإطفائه. بيد أن المصباح ظل مشتعلاً في تحدٍّ سافر.

وكان مصباحاً وهاجاً قديماً، ثُبّت ببساطة خالية من الزخارف في مقبس السقف؛ ولم يكن له أي غطاء من أي نوع، وكان بمقدوري سماع تياره الكهربائي من الجانب الآخر من الغرفة – سحقاً، كدتُ أشعر به يطن حول أذنيّ كزنبور هائج مصاب بالجنون. وحركتُ المفتاح لأعلى؛ بلا جدوى. لأسفل؛ لا شيء. لأعلى. لأسفل. لأعلى. لأسفل. *صعوداً، هبوطاً، صعوداً، هبوطاً.* وغرقت الغرفة في الظلام.

شكراً لكِ.

وانسكب فوقي شعور غريب ومحدد من الراحة؛ ومضة تكاد تقترب من النشوة المطلقة. سعادة غامرة بالدوبامين. وكأن كل شيء في العالم قد استقام وعاد لصوابه، وكل ذلك لمجرد أن **مايسي** الصغيرة التافهة أطفأت مصباحاً غبيّاً.

بيد أن هذا الشعور تبخر سريعاً، بأسرع مما أتى؛ بسرعة بالغة حتى إنني بالكاد تذكرتُ كيف كان يبدو أساساً، وبسرعة جعلتني أشكك عما إذا كنتُ قد شعرتُ بأي شيء من الأساس. *يا إلهي يا مايسي، أنتِ تفقدين عقلكِ.*

وفي منتصف الرواق، تجمدتُ مجدداً. والتفتُّ، متفقدة بنظراتي داخل الحمام؛ وكان ستار الاستحمام ذو نقوش "المزرعة والبط" لا يزال مغلقاً بإحكام. وخالجني ذلك الشعور الملحّ بوجود شيء ما يقف في الجانب الآخر، ونفحة من عفن حامض. وتقدمتُ خطوات بحنق وسحبتُ الستار لأفتحه بضربة واحدة؛ لتبدو فارغة. واستنشقتُ الهواء؛ فاختفت الرائحة. الأرجح أنه مجرد أنبوب يسرب الماء. *كفّي عن السماح لجيما بالتأثير عليكِ.*

وعدتُ إلى بقعتي فوق أريكة الطابق الرئيسي، واحتضنتُ ساقيّ مجدداً، وشخصتُ ببصري نحو النافذة؛ ضياء شمس ذهبي، وأشجار تتمايل. وبذلتُ قصارى جهدي لأجلس مع السكون؛ وبذلتُ قصارى جهدي لأرى الأفكار كأصوات وضوضاء خلفية؛ وحاولتُ مراقبة موكب الرايات الحمراء والكآبة الذهنية وهي تطفو عابرة كالسحب في السماء، أو كأوراق شجر في مجرى مائي.

الأفكار مجرد صوت.

بيد أن رأسي كان في حالة مزاجية بالغة القسوة والتشفي اليوم: «*مرحباً جميعاً*،» هكذا توقفت إحدى الأفكار العابرة لتحدق وتشير

بإصبعها، مستطردة بنبرة ساخرة: *«انظروا، انظروا، مايسي مولينز هنا»*. وتبطأت أفكار أخرى لتنضم إلى الجمع: *«يا إلهي، يا لها من نسخة قبيحة وبلا قيمة للبشر؛ إنها عاجزة حتى عن إعالة نفسها وسد رمقها..»*

الأفكار مجرد صوت..

«–ناهيك عن إعالة أختها–»

الأفكار مجرد صوت؛ إنها ليست حقيقة وليست كذباً، إنها مجرد..

«–ولا عجب في أن كل علاقة خاضتها تحولت إلى حطام وقذارة في غضون أسابيع–»

يا للمسيح، لم يكونوا ليكفّوا عن هذا الصراخ اللعين اليوم!

تقبّلي الأفكار يا مايسي. الأفكار مجرد ضوضاء خلفية، لا تحاولي دفعها بعيداً، اعترفي بوجودها، دعيها وشأنها و..

«–ولا عجب في ألا أحد يبتغي البقاء بجوارها؛ سحقاً، إنها هي نفسها لا تطيق البقاء بجوار نفسها. وانظروا إلى سنها المعوج الصغير القبيح، عاجزة حتى عن تحمل تكاليف تقويم الأسنان. وها هي تضطر لقبول أكثر وظائف جليسي المنازل ريبة وغموضاً في العالم لمجرد البقاء على قيد الحياة–»

واندفعتُ واقفة بخطوات ثقيلة متوجهة نحو الردهة، وقذفتُ بقدميّ داخل حذائي الرياضي وارتديتُ سترتي، وتوجهتُ خارجاً للتنزه والتمشي. ووضعتُ سماعاتي ورفعتُ صوت الأغنية إلى الحد

الأقصى الصاخب. لم أكن غاضبة، كنتُ فقط بحاجة إلى بعض الهواء النقي.

وسنّي المعوج الصغير هو في الواقع جذاب ولطيف نوعاً ما، شكراً جزيلاً لكم.

4
تغذية

لقد وضعتُ حبلاً يحدد حدود هذه الملكية العقارية. ولا يزال بمقدوركِ المغادرة خلال ساعات النهار، ولكن لمدة لا تتجاوز ثماني ساعات في المرة الواحدة، وعليكِ الحرص دائماً على العودة إلى المنزل قبل غياب الشمس الشفق والغروب.

***

مع مرافقة الموسيقى التصويرية لمعزوفات الغيتار المتفجرة والصرخات الحنجرية لكل خطوة من خطواتي، سِرتُ بخطوات ثقيلة واجتزتُ العشب الكثيف الأشعث. وكان حذائي الرياضي يتلوى وينغرس بصوت مبلل سحقاً للطين المتبقي بعد المطر، وارتفع العشب الطويل ليتجاوز كاحليّ. وهنا صرخ عامل تنسيق الحدائق القابع في داخلي: *«اعتنِ بالأرض وقص العشب!»* ولو لم يكن جزّ العشب يذكرني بوالدي كثيراً، لربما جررتُ آلة الـ«DeWalt» تلك خارج المرآب، واستبدلتُ حزام الدفع، وشحذتُ الشفرات، وقصصتُ هذا الفناء بنفسي.

وبدأ الممر في الزاوية البعيدة من الفناء، بجوار حظيرة مصنوعة من الألمنيوم. وكانت ظلال جذوع الأشجار تمتد أكثر فأكثر، وغدا الضياء الذهبي أكثر خفوتاً. وتفقدتُ الوقت؛ كانت السادسة

والنصف تماماً. ولا تزال تفصلني ساعة كاملة من الضوء؛ سأذهب لأرى بقعة الإطلالة والمراقبة، لأصفي ذهني قبل أن يبدأ العمل الحقيقي. سأتمشى لأطرد الكآبة بعيداً.

وهذا أمر كنتُ أفعله كثيراً عندما يرتفع صوت مونولوجي الداخلي ويصبح صاخباً أكثر مما ينبغي: أغير مكاني المادي الملموس. وكأن الأفكار السيئة مرتبطة بزمن ومكان معينين، وكأنها عاجزة عن النهوض وملاحقتي أينما ذهبتُ. وأحياناً كنتُ أمشي لمسافات بعيدة للغاية، حتى إنني أنسى لِمَ بدأتُ المشي في المقام الأول.

ومضيتُ قُدُماً. وقادني الممر بين جذوع أشجار تلطخها الأشنات البرية، وصعوداً نحو منحدر لطيف. وكان الهواء منعشاً، بتلك الرائحة الحلوة والمرّة للأشجار الساقطة والمحيط الهادئ الباسيفيكي. وشعرتُ بهدوء أكبر هنا في الخارج، وبأنني أكثر تصالحاً مع نفسي. وخفضتُ سماعاتي..

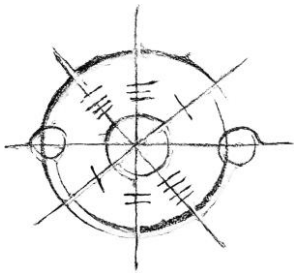
«فاشلة بلا قيمة،» هكذا بدأ مونولوجي الداخلي مجدداً على الفور. *«تلك البلهاء الغبية تحاول عزلنا وإقصاءنا..»*

وقذفتُ بسماعاتي عائدة فوق أذنيّ، لتغرق الأفكار وتتلاشى، في معظمها. وقادني جسر من الألواح الخشبية لعبور جدول مائي صغير. وصعدتُ منحدراً آخر بخطوات سريعة، وتابعتُ الممر لالتف حول صخرة ضخمة يكسوها الطحلب، و..

وقبل أن أدرك ما كان يحدث، وجدتُ نفسي أهوي بالحركة البطيئة، والممر الرطب في الأسفل يهرع مسرعاً ليلتقي بي، ووجع جاف خفيف يصيب قصبة ساقي اليسرى. وانطلقت ذراعيّ ممتدتين أمامي، وارتطمت كفاي بالطين بـضربة رطبة مدوية، لتنقذاني من ارتطام وجهي بالأرض بالكامل. وتسمرتُ مكاني على تلك الهيئة التي تشبه تمرين الضغط لبضع ثوانٍ ، متطلعة لأسفل نحو انعكاسي البائس والمثير للشفقة في فوضى بركة طينية بنية. والتفتُّ للخلف؛ كانت قصبة ساقي قد علقت بذلك الخط الرفيع من الحبل الأبيض الممتد بإحكام عابراً الممر كـسلك مصيدة.

وقبضتُ على زاوية ملتوية في الصخرة الطحلبية، وجذبتُ نفسي لأستوي واقفة مجدداً. ومسحتُ الطين عن ركبتيّ، وممرتُ بعينيّ بـمقت ولعنة على طول الحبل الذي حاول قتلي. وكان الحبل يمتد بعيداً في كلا الاتجاهين، يلتف حول جذع شجرة بين الحين والآخر. كانت هذه الملكية العقارية شاسعة؛ فقد كنتُ أمشي لقرابة عشر دقائق، مما يعنى أنها تمتد لعدة أفدنة في هذا الاتجاه وحده. عقار ممتاز وفاخر على ساحل أوريغون. يا إلهي، كم كان ديفيد وغريس ثريين على أي حال؟

وكنتُ على وشك مواصلة السير في الممر، بيد أن شيئاً ما على وجه الصخرة جذب انتباهي؛ فبين بقع الطحلب الأخضر الداكن، حُفر رمز غريب، لا يتجاوز حجمه حجم قاعدة أكواب العصير:



بدا الرمز مألوفاً بشكل غريب. ربما كان من برنامج تلفزيوني ما، وقام بعض الأطفال بنحته هنا، ولكن.. ضغطتُ بكفي عليه، وشعرتُ بالإنحنايات تنطبع في جلدي. لسبب ما، بدا الرمز عتيقاً؛ أقدم من الصخرة نفسها، وهو أمر لا يعقل على الإطلاق، ومع ذلك..

نفضتُ هذا الشعور عني واستدرتُ مبتعدة، لكني لم أخطُ سوى عشر خطوات حتى تسربت رائحة كريهة فظيعة إلى خياشيمي – تشبه رائحة الحليب الفاسد ومياه الصرف الصحي المفتوحة. وفي منتصف الممر، على بعد نحو عشرين قدماً خارج حدود الملكية العقارية، رقد أرنب ميت.

أوقفتُ الموسيقى مؤقتاً، وخفضتُ سماعاتي. بدا فراء الأرنب ناصع البياض كـثلج صارخ في مواجهة الممر الطيني. لم يكن هناك دم، ولا أي أثر لإصابة.

وبدافع الفضول المرضي، سددتُ أنفي بأصابعي، واقتربتُ خطوة، ثم اتخذتُ هيئة القرفصاء. لقد كان ميتاً بلا أدنى شك – عيناه مفتوحتان بشكل دائم، وحدقتاه بلون رمادي باهت وحليبي.

وتذكرتُ معلومة طريفة من يوتيوب: «إن السبب الرئيسي للوفاة لدى الغالبية العظمى من الفقاريات هو "الافتراس"». وهو تعبير ملطف لتعرضك لـلأكل حياً، وتمزيق أطرافك طرفاً تلو الآخر، وأنت في كامل وعيك وتصرخ بينما تراقب بقية عائلتك تفر بذعر، وتدرك أنك لم تكن يوماً سوى لحم وعظم ونخاع تمسكها بالكاد أوتار وعروق. هذا هو الشكل الحقيقي للموت الطبيعي.

لكن هذا الأرنب بدا وكأنه سقط ميتاً مكانه فحسب؛ ضربته يد الطبيعة الإلهية. وكان المرض هو المتهم الأكثر ترجيحاً.

كنتُ مستعدة أخيراً للمضي قُدُماً، عندما بدأ شيء ما ينبض تحت القفص الصدري للأرنب؛ انتفاخ إيقاعي، يرافقه صوت سحق رطب وبالكاد يُسمع: *كو-شلومب، كو-شلومب، كو-شلومب*.

أكان يتنفس؟

وجدتُ نفسي أنحني مقتربة أكثر، بـشكل فظيع وأحمق، مسمرة في مكاني. كانت بطن الأرنب منتفخة، والجلد الشاحب شفافاً جزئيّاً

عبر الشعر الخفيف –*كو-شلومب، كو-شلومب، كو-شلومب* – لم يكن يتنفس. فتحت جلده الميت، كانت هناك كتلة متلوية من اليرقات المتراصة والمتزاحمة بإحكام، تتحرك في انسجام جنيني. كانت هناك المئات، ربما الآلاف – يرقات حاضنة ذات لون أبيض رمادي. كان الجلد مشدوداً للغاية حتى جعل اليرقات تبدو كتلافيف دماغ يخفق –*كو-شلومب، كو-شلومب، كو-شلومب*. وكدتُ أشعر بها، كأنها تزدحم وتتحرك تحت جلدي أنا، تلتهمُني من الداخل إلى الخارج–

طعام للديدان.

واقحمت هذه العبارة المزعجة الطفيلية نفسها في أفكاري كإبرة قذرة تغرز عبر أذني. أنشودة كابوسية مقفاة:

طعام للديدان، طعام للديدان، كل ما أنتِ عليه هو طعام لـ–

وكاد غدائي يرتد قارصاً في حلقي، لكني أجبرتُه على الهبوط، وانتفضتُ واقفة على قدميّ، وتابعتُ السير. وبينما كان الممر ينحني يميناً ويساراً، تراجعت رائحة الأرنب العفنة لحسن الحظ. *طعام للديدان..* ركزتُ على ما يحيط بي، وحاولتُ التفكير في أشياء أخرى. *إنه مجرد أرنب ميت يا مايسي. تنفسي: شهيق من الأنف، زفير من الفم. امشي: القدم اليسرى للأمام. القدم اليمنى للأمام.* وزحف ضباب كثيف من كل جانب، وخنق زئير المحيط الذي لا

ينتهي ذلك السكون. وأفسدت الأشجار القابعة أمامي المجال لسماء رمادية.

نقطة الإطلالة والمراقبة؟

قذف بي الممر إلى صخرة مسننة؛ فسحة شبه دائرية لا يمكن أن ينمو فيها سوى الأشنات والطحالب. وامتدت الفسحة لمسافة تضاهي طول حافلة مدرسية، ثم انقطعت فجأة بحدة. منحدر صخري سحيق. وجازفتُ بالسير نحو حافته، حريصة على إبقاء خطواتي فوق بقع الأشنات الخشنة المتماسكة.

وعلى بعد خطوة واحدة من الحافة، تطلعتُ لأسفل. لم تكن المرتفعات تزعجني قط؛ لستُ شجاعة أو أي شيء من هذا القبيل، بل الأرجح أنني مجرد متبلدة المشاعر. وامتدت الصخرة لأسفل كشمع ذائب، لتبدو كجرف محيطي مثالي في صورة. وركضت جذور ملتوية بين الشقوق في السطح. وكانت هناك فجوات في الضباب، نوافذ وجيزة تكشف عن المياه المتلاطمة في الأسفل السحيق. كانت سقطة طويلة، مائتا قدم على الأقل، ولكن حتى من هنا في الأعلى، كان زئير المحيط يكاد يصم الآذان – وبمقدوري الشعور به، يرتعد في عظامي.

وجلستُ على بعد بضعة أقدام من الحافة، وأسندتُ مرفقيّ على ركبتيّ؛ وأخذتُ أتشرّب المشهد بأكمله. لم يكن هناك الكثير لرؤيته بسبب الضباب، مجرد مساحة متغيرة ولطخة من اللون الرمادي –

كأنني أجلس في الصف الأمامي في دار سينما، وأنظر إلى السماء من مسافة قريبة للغاية. ولكن النسيم المالح كان لافحاً وعليلاً، وكان زئير المحيط صاخباً بما يكفي ليغرق الأفكار السيئة.

المحيط الهادئ الباسيفيكي.

وكانت **جيما**، عندما كانت صغيرة للغاية، تعتاد تسميته بـ«المحيط المحدّد». ولم نقم أنا ووالدي بتصحيح الأمر لها قط، حتى فات الأوان تماماً وسخر منها زملاؤها في الفصل بسبب ذلك.

وأغلقتُ عينيّ، وأخذتُ نَفَساً عميقاً آخر، ثم أخرجتُه، وفتحتُ عينيّ، و– في زاوية رؤيتي تحرك شكل داكن. واستدار رأسي، لكن لم يكن هناك شيء، فقط أشجار تتمايل – أعمدة في الضباب. ربما رأيتُ غصناً أو شجيرة تتحرك في مهب الريح، أو لعلني لم أرَ شيئاً على الإطلاق.

والتفتُّ عائدة، وبدأتُ أتحسس جيوبي، بحثاً عن السجائر. لقد كان هذا الأسبوع مرهقاً للغاية، وأنا أستحق مكافأة على المضي في هذه الوظيفة حتى النهاية. لستُ مدمنة، أنا فقط أحب مذاقها فحسب. وواصلتُ تحسس جيوبي، دون جدوى – هل تركتُها في حقيبتي؟ أم أنني..

كرااك ..

وانتفضتُ مكاني كـأرنب تم مباغتته، والفتُّ برأسي سريعاً لأتطلع من فوق كتفي. وتفقدتُ الغابة بنظراتي. ودوى صوت كسر آخر –

أغصان تنقصف. وكان هناك جسد وشخص يسير بـخطوات ثقيلة عبر الشجيرات الكثيفة المنخفضة؛ وكان يرتدي سترة مطر ذات لون أزرق نيوني وغطاء الرأس مرفوع ومسحوب لأعلى. أحد أولئك الذين أسماهم ديفيد "الزوار"؟ لا، لا يمكن أن يكون، كنتُ خارج حدود الملكية العقارية، و– كان الأمر برمته مجرد هراء وتصورات واهية على أي حال. ومع ذلك، نهضتُ سريعاً على قدميّ ووقفتُ بـأقصى طول يمكنني بلوغه.

وتوقف الغريب حيث أفسدت الغابة المجال للحجر المسنن. وكانت تملك بشَرة شاحبة، وشعراً أحمر. الراكبة الأخرى من الحافلة؟ لم أرَ وجهها قط باستثناء ذلك الانعكاس الضبابي.

ولوّحت بـيدها بشكل ودود، وصرخت بشيء ما:

«تماماً.. هاه؟»

وغطى زئير المحيط على معظم ما قالته. فأشرتُ إلى أذني وصرختُ:

«لا يمكنني سماعكِ!»

وابتسمت الغريبة، وصنعت بـكفيها شكلاً دائريّاً حول فمها، وصرخت بشيء ما مجدداً، وظل غير مفهوم. فهززتُ كتفيّ. وبدأت تتقدم نحوي.

وبدت غير مؤذية في ضياء النهار؛ بل خجولة تقريباً. وحتى عبر الفسحة الفاصلة بيننا، كان بمقدوري تمييز أنها تملك عينين طيبتين؛ وأظن أنني شعرتُ بهذا أكثر مما رأيتُه.

ومع ذلك، خطوتُ خطوة أو خطوتين غريزيتين مبتعدة عن الجرف المنحدر؛ فلا يمكن للمرء أن يكون مفرط الثقة.

5
نقطة المشاهدة

واصلت الغريبة شق طريقها نحوي، حريصة على ألا تنزلق فوق الصخر، وتطأ جزر الأشنات عينها التي وطأتُها. وتباطأت خطواتها لتتوقف بجواري، ووجهانا كِلانا يواجه الفراغ الرمادي. ورمقتُها بلمحة جانبية.

وكان شعرها الأحمر ينسدل في خصلات مبللة، تلتصق بوجنتيها النمشاوين. وقالت وهي تشير بيدها نحو العدم الضبابي:

«إطلالة رائعة، أليس كذلك؟» ثم أردفت: «حسنًا، في الأيام الصحوة على الأقل».

وبدت في أواخر العشرينات من عمرها. ولم تكن عيناها الكبيرتان زرقاء باردة، بل كانتا بلون أخضر داكن، وتفيضان بالدماثة والطيبة كما شعرتُ آنفاً. لكني لَمحتُ عن قرب ظلالاً من السوداوية تقبع خلفهما، ونبرة خفية من الحزن بدت وكأنها استقرت هناك منذ سنوات خلت. لعلني كنتُ أسقط مشاعري عليها فحسب.

وأشارت بيدها نحو اليمين مستطردة:

«دون هذا الضباب، يمكنكِ رؤية زاوية من المحيط المفتوح في ذلك الاتجاه.» ثم أشارت للأمام: «والجانب الآخر من المضيق هناك. مزيد من الجروف السحيقة. وتبرز شفة من الرمال في

الأسفل عند انخفاض المد، لكن لا سبيل لبلوغها.» وشخصت ببصرها نحو اليسار: «وفي الأيام شديدة الصحو، يمكنكِ الرؤية على طول الطريق حتى "الراتس". خارجًا نحو "يوجين"».

فقلتُ: «هان..» وأفكاري تتوزع منتصف الطريق بين هنا والمنزل، مفكرة في ذلك الرمز الغامض المحفور على الصخرة، والأرنب الميت، و..

وقاطعت الغريبة تأملاتي سائلة:

«هل.. هل أنتِ على ما يرام؟»

ورمقتُها بلمحة جانبية أخرى:

«ماذا؟»

«كل شيء بخير؟» كان صوتها يفيض بالقلق والاهتمام.

فأومأتُ برأسي قائلة:

«أجل، أنا بخير.. مجرد متعبة فحسب».

«آسفة لمضايقتكِ، ولكن.. المرء لا يدري أبداً في مكان كهذا..»

«مكان كهذا؟»

فأشارت بيدها نحو العدم الرمادي:

«جرف ويندفال..» فهززتُ رأسي، ولا أزال عاجزة عن المتابعة وفهم المقصد.

وتابعت وهي تتردد، وتفك عقدة في شعرها الأحمر:

«ثمة.. بعض الناس يأتون إلى هنا عندما يعجزون عن رؤية أي خيارات أخرى في حياتهم».

«آه، فهمتُكِ.» والتفتُّ عائدة لأواجه الفراغ الرمادي مستطردة: «المنتحرون قفزاً». وبدا تعبيري فجّاً وجافّاً بعض الشيء، من نوع التحدث قبل التفكير.

وتابعت حديثها، وبدت غير منزعجة من صياغتي العبارة:

«أجل، كان هناك ثلاثة على الأقل في العام الماضي وحده. هذا ممّا علمنا به».

ولم أملك أدنى فكرة عن كيفية الرد على ذلك، فقلتُ:

«واو، هذا.. قَاسٍ ومؤلم».

وواصلت حديثها، لتقدم مزيداً من التفاصيل التي لم أطلبها:

«معظم الجثث لا يتم العثور عليها قط؛ فمع كل تلك الصخور والأمواج العاتية في الأسفل، يصبح من الخطورة إدارة عمليات انتشال واسترداد».

ومرة أخرى، عجزتُ عن دراية ما أقول.

فهزت رأسها قائلة:

«آسفة.» واستطردت: «آسفة، هذا حديث سوداوي ومرضي، هذا.. أنا آسفة.» ومدت يدها فجأة: «أنا لوسي».

وتطلعتُ لأسفل نحو يدها الممدودة لبرهة صلبة، ثم مددتُ يدي وصافحتُها:

«مايسي..»

وقالت وهي تضحك بمرح :

«مايسي ولوسي! اسمانا يكادان يكونان على قافية واحدة.» فأطلقتُ ضحكة مهذبة مصطنعة: «بالتأكيد».

وعادت **لوسي** لتضحك مجدداً، وبدت مستمتعة بشكل غريب.

وتبع ذلك موجة من السكون المزعج المحرج. ومرت فجوة في الضباب، لتبرز اللمحات الباهتة للجانب الآخر من المضيق؛ وأشجار شوكران رثة تتشبث بالمنحدرات المتموجة، أشجار انحنت وتلوت للأبد بفعل رياح المحيط العقابية القاسية. ثم عاد جدار الأبيض الرمادي ليطبق مجدداً.

وشعرتُ بالحاجة لقول شيء ما، لتبادل حديث عابر، ولو لمجرد كسر هذا السكون الثقيل المعيب. ولكن عندما هممتُ بفتح فمي، سبقتني **لوسي** إليه قائلة:

«ليس الجميع يطلق عليه جرف ويندفال».

«حقّاً؟»

«أجل، بعض الناس يسمونه "جرف الساحرة الباكية". لكني لا أحب هذا الاسم؛ فهو لا يملك رنيناً طيباً في الأذن، و.. أظنه يحمل ضغينة وخباثة، أن تدعو امرأة عجوزاً بالساحرة الشمطاء. أعني، كلنا سنغدو عجائز يوماً ما. هذا إن كتب لنا العمر.» وتطلعت **لوسي**

نحوي، كأنها ترتقب مني سؤالاً؛ فضغطتُ على شفتيّ في خط مستقيم وأومأتُ برأسي.

وشخصت ببصرها بعيداً وواصلت الحديث :

«المستكشفون، منذ القرن الثامن عشر مثلاً، زعموا أنهم كانوا يرون امرأة عجوزاً تقف هنا في الليالي المقمرة. وقالوا إنها كانت ترتدي دائماً فستاناً أخضر ممزقاً، وأن "صرخات عويلها وحزنها كان يمكن سماعها حتى فوق زئير المحيط العاتي". وقالوا إن رؤيتها تعني أن عاصفة في طريقها للوصول، وأن دموعها هي ما يتسبب فيها.» ولّاذت **لوسي** بالسكون.

ومرة أخرى، فتحتُ فمي لأجيب، ومرة أخرى، سبقتني **لوسي**، لتغير الموضوع بسرعة بالغة كادت تصيبني بملخ في عنقي:

«أنا أتمشى صعوداً إلى هنا بضع مرات في الأسبوع،» هكذا قالت، «فقط لأتأكد من ألا أحد يقوم بـ.. أنتِ تعلمين..» ودوى صراخ طيور النورس في المدى، الأرجح أنها تسرق بيوض طيور الزقزاق على شاطئ ما. وتابعت **لوسي**: «يروق لي أن أظن أن وجودي هنا قد أنقذ بضع أرواح على الأقل. لقد تحدثتُ إلى الكثير من الأشخاص الذين بدوا.. آه.. مكتئبين للغاية.» وتوقفت مؤقتاً: «ليس لكونكِ تبدين مكتئبة أو أي شيء من هذا القبيل، أعني فقط أن الكثير من الناس هنا يبدون كذلك».

وبدا أن **لوسي** هي الأخرى لا تفكر كثيراً قبل التحدث؛ وكدتُ أجد هذا الأمر محبباً وقريباً من النفس بطريقة حزينة ومألوفة.

وبعد سكون قصير آخر، سألتني:

«هل تعيشين هنا في الجوار؟»

فهززتُ رأسي: «كلا».

«توقعتُ ذلك. أنتِ.. لا تبدين من ذلك الطراز من البشر».

ولم أدرِ كيف أتقبل هذا القول؛ أهو إطراء أم إهانة؟ لعل فيه شيئاً من كليهما.

وأضافت **لوسي**:

«ما أعنيه هو أنكِ تبدين أكثر..» وعمّها السكون مجدداً، وهي تبحث عن كلمة، وتتطلع حولها كأنما قد تقبع هناك في عمق الضباب:

«تبدين أكثر واقعية ورسوخاً من أن تعيشي في بروكسفيو..»

«شكراً..»

«البشر الذين يعيشون هنا، إنهم.. إنهم آه..» وعادت لتتطلع حولها بحثاً عن كلمة، لتجدها هذه المرة في الطحالب القابعة عند قدميها:

«معتدون بأنفسهم ومفرطو الأهمية».

«هذه طريقة طريفة لقول "أغنياء أوغاد"».

وخرخرت **لوسي** ضاحكة عند سماع هذا، وأطلقت شخيراً صغيراً، ثم اعتذرت عن الشخير. وافترضتُ أنها لم تكن بهذا السوء. وقلتُ لها:

«إذن يا لوسي، من أين أنتِ؟»

«بورتلاند، حسناً "أوسويغو"، ولكنها من الناحية الفنية بورتلاند، أليس كذلك؟» وتطلعت نحوي، كأنها تنتظر موافقتي واستحساني.

فقلتُ لها:

«بالتأكيد، أوسويغو هي بورتلاند».

«هذا ما أقوله دائماً؛ فمن الأسهل دعوتها بورتلاند.» وتطلعت **لوسي** من فوق كتفها، عائدة بنظرها نحو الممر الذي جئتُ منه، وشدت على فكها مستطردة: «أنتِ لم تستخدمي ذلك الممر، أليس كذلك؟»

«لِمَ؟»

«إنه يتصل بملكية عقارية خاصة، والمالكون هناك.. نزقون وحادو الطباع قليلاً. ليسوا من محبي الزوار. زوجان طيبان بما يكفي، ولكن.. حادا الطباع».

«أوه؟ أنا جليسة وحارسة المنزل لديهم الآن».

فرمشت بذهول وحيرة:

«لعائلة كارنسويل؟»

«أجل».

«هل أنتِ قريبتهم؟»

«كلا..»

وتأملتني بارتياب وتشكك:

«أنا مذهولة من كون السيد كارنسويل قد سمح لكِ بوضع قدمكِ في الملكية العقارية أساساً.. يجدر بكِ الفخر ونيل الشرف».

وفكرتُ في إخبارها بأن **ديفيد** قد مات، منذ ثلاثة أشهر الآن، لكني لم أملك الطاقة الكافية لذلك. فاكتفيتُ بـهز كتفيّ دلالة على الجهل بالأمر.

وسألتني:

«هل قالوا إلى أين يذهبون؟»

«مجرد.. إجازة، شؤون عائلية. هل تعرفينهم؟»

«أجل.. كنتُ عاملة تنظيف المنازل لديهم منذ بضع سنوات، وقمتُ ببعض أعمال حراسة المنزل أيضاً ولكن، السيد كارنسويل.. أنا موقنة أنكِ تعلمين، لكنه بدأ يفقد عقله وصوابه. أنا مندهشة من كونه ليس في دار رعاية حتى الآن.» وتطلعت نحوي مستطردة: «هل جعلكِ تطفئين الأضواء عند الثالثة صباحاً؟»

فأومأتُ برأسي إيماءة مترددة.

وقالت وهي تلتفت من فوق كتفها، كأن ثمة من قد يسترق السمع إلينا:

«حسنًا.. كان يجدر بي الاستقالة قبل أن يتم طردي بفترة طويلة، ولكن الأجر كان ممتازاً للغاية. كنتُ مستعدة للقيام بـشقلبات والارتداء كـمهرج لأجل هذا القدر من المال..» وتوقفت مؤقتاً وطقطقت بلسانها: «ها أنا ذا مجدداً، أستحوذ على الحديث. تخبرني

أمي دائماً بأنني أجعل الحوارات تتمحور حولي دائماً. لا أظن أن هذا صحيح، ولكن أمي على حق في أشياء كثيرة. في إحدى المرات قامت بـــ» وتوقفت **لوسي** مجدداً، لتكبح جماح نفسها.

فسألتُها:

«ولِمَ تم طردكِ؟»

وهزت كتفيها، غير منزعجة من فجاجة السؤال وصراحته وقالت: «كانت عائلة كارنسويل خارج المدينة، واستغرقتُ في النوم متجاوزة "ساعة السحر والطقوس"، وفشلتُ في إبقاء الأضواء مطفأة. واستيقظتُ على بريد إلكتروني من ديفيد يقول فيه إنه "عند عودتهم، لن تكون هناك حاجة لخدماتي بعد الآن".» وتأرجحت على كعبيها، وهي تؤرجح ذراعيها بـخرق وغرابة ذهاباً وإياباً.

وانثالت هبة ريح تندفع صعوداً من الجرف، لتقذف برذاذ بارد على ذقني. وسألتُها:

«هل.. هل رأيتِ أي شيء قط؟»

وتوقفت عن التأرجح قائلة:

«مثل الأرانب؟» وهزت رأسها وعقدت ذراعيها: «كلا. ليس في المنزل، ولكن.. ربما لا يجدر بنا التحدث عن هذا الأمر بعد الآن..»

«لِمَ لا؟»

وهزت كتفيها مجدداً:

«لا أدري، هو فقط.. السيد كارنسويل يبدو مؤمناً بالأمر حقّاً، و.. أنا لا أظن أن أيّاً من هذا حقيقي، ولكن.. ربما لا يجدر بنا الحديث عنه، تحسباً لأي شيء فحسب.» وأطلقت ضحكة، قهقهة عصبية واهية الرنين. ثم غيرت الموضوع مرة أخرى قائلة: «لا أزال آتي إلى هنا لتقديم خدمات التنظيف، ليس لعائلة كارنسويل بعد الآن، بالطبع. مجرد ترتيبات أسبوعية لبعض المنازل الأخرى. الأجر مجزٍ، ولكن الإكراميات قذرة وسيئة ، إن كان بمقدوركِ تصديق ذلك».

فقلتُ لها:

«بمقدوري.» ثم سألتُها: «هل تبحثون عن موظفين؟»

«ليس بعد الآن. الشركة في الواقع تقلص حجمها وعمالتها. وأنا شبه موقنة أن عنقي سيكون التالي على مقصلة الطرد والقطع.. ربما سيتعين عليكِ إنقاذي هنا قريباً.» وصنعت ضحكة مصطنعة أخرى.

وأخرجتُ زفيراً من أنفي قائلة:

«أنا، آه.. آمل ألا يحدث ذلك».

وعاد السكون مجدداً، لكنه لم يدم طويلاً؛ إذ واصلت **لوسي** الإفراط في مشاركة تفاصيل حياتها:

«أنا وصديقتي المقربة، نشأنا معاً في "لينكون"، وكنا نأتي إلى هنا طوال الوقت في المدرسة الابتدائية.. "زي". اسمها الحقيقي كان

"بريينا"، ولكننا جميعاً كنا ندعوها "زي". كانت تثير المشاكل جديّاً، وكنتُ أنا الفتاة الصالحة المطيعة القويمة، ولكننا التصقنا وتطابقنا معاً كقطع مكعبات الليجو. لوسي وزي. وكان الناس يدعوننا "لو-زي".» وضحكت بمرح مجدداً مستطردة: «كنا ندق أجراس الأبواب في القصور الكبيرة هنا ونختبئ في الشجيرات ونراقب الأغنياء وهم يصابون بالارتباك والحنق.. ولكن الناس بدأوا في تثبيت الكاميرات، وشراء الأسلحة، فتوقفنا.. أما "زي" فلم تكن تهاب شيئاً على الإطلاق. وكانت لتستمر لو لم أكبح جماحها.. لم تكن "زي" تـتبالي بـأي لـلعنة..» وتقلصت **لوسي** قليلاً عند لفظ الكلمة، وتلعثمت في مقاطعها كأنها خشيت أن تقع في ورطة لقولها.

وضربت بكعب حذائها فوق الأرض المكسوة بالأشنات، ثلاث ضربات قصيرة متتالية:

«كانت "زي" تعتاد، كانت تملك هذا الغيتار و.. كانت تعزف لي الأغاني أحياناً، أغاني معروفة في البداية، ولكن أحياناً أغاني قامت بكتابتها بنفسها. وكنتُ الشخص الوحيد في العالم بأسره الذي سمع صوت غنائها قط.. وكانت "زي" قادرة على الغناء. أعني الغناء بحق؛ من ذلك الطراز من الأصوات الذي يجبركِ على إغلاق عينيكِ عندما تسمعينه، تدركين، يملؤكِ بالقشعريرة..» ولّاذت **لوسي** بالسكون مجدداً، وفركت أنفها بجانب كفها واستنشقت بـقوة،

وتبتلع غصة في حلقها. وضربة الهواء بيدها، بطريقة مماثلة لتلك التي يفعلها المرء لرفض قطعة من الكعك. وبدت وكأنها على وشك البكاء.

وانثنت أصابع قدميّ، وسرى عدم ارتياح لزج بارد في عنقي. فالاستعراضات الخارجية للمشاعر والعواطف كانت تميتني وتملؤني بالخزي؛ فأنا كنتُ بالغة السوء في مواساة أشخاص عرفتهم طوال حياتي، ناهيك عن غرباء التقيت بهم للتو. تطلبون مني مواساة بشر ينتحب ويفيض بالبكاء؟ سحقاً، سأكون أكثر نفعاً وجدوى في جراحة قلب مفتوح. ماذا كان يفترض بي أن أفعل؟ هل أمد يدي وأربت على كتفها، وأقول: *«هوناً عليكِ.. ارفعي رأسكِ»؟*

واندفعت **لوسي** تتحدث بـثرثرة قائلة:

«أنا آسفة» واستنشقت الهواء بصوت عالٍ، واستعادت تماسكها مستطردة: «أنتِ لا تعرفينني حتى. إنه.. آسفة. أنا أفرغ صدماتي وأحزاني عليكِ، هذا ليس عادلاً..»

«هيّ، لا بأس، كل شيء على ما يرام..»

فأومأت **لوسي** برأسها، حركات صغيرة متلاحقة تشبه دمى الرؤوس المتحركة.

كان الضباب يتلاشى وينقشع الآن، ولكن السماء كانت تغدو أكثر ظلمة. وبـشكل سري خفي، سحبتُ هاتفي وتفقدتُ الوقت؛ فتفويضي وأمري بالعودة قبل مغيب الشمس كان يقترب. وبغض

النظر عن ذلك، لم أكن أبتغي السير والتخبط عبر الغابة في الظلام الحالك القاتم.

ورصدتني **لوسي** وأنا أتطلع إلى هاتفي، فقالت:

«يجدر بكِ على الأرجح العودة إلى المنزل؛ فالعتمة ستحل قريباً».

«أجل..» ولمحتُ بطرف عيني حافة الجرف، ثم عدتُ بنظري نحو وجه **لوسي** الحزين: «أنتِ آه..» وشد فكي واسترخى: «هل أنتِ موقنة بأنكِ على ما يرام؟»

واستوت **لوسي** واقفة في ثبات، واستنشقت قائلة:

«أجل، ثقي بي، لن أفعـ..» وأشارت بيد واهية نحو الفراغ السحيق، ورجع صدى الأمواج تتلاطم وتتكسر ضد الصخور المسننة في الأسفل السحيق ممتدًا: «أنا.. لستُ من هواة المرتفعات، والمياه. ثقي بي. أنا فقط بحاجة للبقاء بمفردي،» هكذا قالت – كأنني أنا من اقتحمتُ مساحتها الخاصة، واستطردت ملحّة: «أنا آمنة، لا تقلقي».

ولمحتُ الصدق واليقين في عينيها؛ فأومأتُ برأسي قائلة:

«حسناً، جديّاً». وتسمرتُ مكاني لبرهة أطول، لمنحها فرصة لقول شيء إضافي.

«لقد سُعدتُ بلقائكِ يا مايسي.» ورفعت يدها لمصافحة أخرى. وتصافحنا.

فقلتُ لها:

«وأنا أيضاً.» وانسلّت كفي من كفها، ثم بدأتُ طريقي عائدة نحو الممر. وبينما خطوتُ داخل الغابة، تطلعتُ من فوق كتفي؛ كانت **لوسي** تجلس على مسافة جيدة آمنة من حافة الجرف، وظهرهَا مَربوط وموجّه نحوي. وكانت ساقاها متقاطعتين، وكتفاها منحيين ومحدودبين؛ لتبدو كشاهد قبر ذي لون أزرق نيوني في مواجهة بانوراما تغرق في العتمة والظلام. ولا تزال البقايا الأخيرة من الضباب عالقة، كخيوط عنكبوت ممتدة عابرة السماء. وانسكبت ومضة رائعة الجمال من الأرجواني والوردي تتسرب صعوداً داخل الرمادي، والشمس الغاربة في الغرب تأفل وتغيب فوق المحيط المحدّد الباسيفيكي.

6
الطريق المختصر

عدتُ أسير هابطة الممر من جديد، متهيّئة ومستعدّة لاستقبال رائحة ذلك الأرنب الميت العفنة من جديد – ولكن عندما بلغتُ حدود الملكية العقارية، لم يكن للأرنب أي أثر في الأفق. ولم يكن هناك أي علامة تدل على أن شيئاً ما قد جرّه بعيداً أيضاً.

وهنا تولّت نظريات **جيما** عجلة القيادة في عقلي: *«لقد تلاشى في الهواء – اختطفه الفضائيون»*. لكن صوت العقل الخاص بي نهض ليتدخل: *«لا بد أن طائراً جارحاً قد انقضّ من الأعلى وحمله بعيداً. صقر أو نسر، أو ربما بومة مرقطة»*. ومرة أخرى، ينتصر المنطق الجاف الصارم.

وكانت العتمة قد أطبقت تقريباً بحلول الوقت الذي بلغتُ فيه المنزل. وانسكبت الأشعة الأخيرة لضوء الشمس صعوداً عبر الغابة، لتلتقي بالزاوية العلوية للمنزل، وتطلي لون الزيتون الأخضر بـأرجواني خفيف. وهو لون ذكّرني بـجارة طفولتنا – العزيزة الآنسة **ويرسيما**. لم تكن ترتدي سوى الأرجواني الوردي، وكانت تملك أربعة قطط، وتوزع ألواح حلوى ضخمة في الهالوين.

وسِرتُ مجتازة الحظيرة المصنوعة من الألمنيوم وتوقفتُ في منتصف الفناء. وبدا المنزل دافئاً من جديد في ضياء المساء. هادئاً

لا يثير ريبة؛ لكن هذا لم يزدني إلا شعوراً بعدم الارتياح، وجعل جلدي يبدأ في الحكة. أحياناً أظن أنني مصابة بحساسية تجاه الشعور بالأمان.

ففي اللحظة التي أشعر فيها بالأمان، أبدأ في الشعور بالخوف. كذلك الشعور الذي ينتابك في يوم صيفي دافئ عندما تكون مياه البحيرة في أفضل حالاتها، فتحبس نَفَسك وتغوص للداخل وتسبح لأبعد مسافة يمكنك بلوغها قبل الصعود للسطح، وعندما تأخذ ذلك النَفَس الأول تشعر – لبرهة وجيزة فحسب – أن كل شيء في مكانه الصائب تماماً، وكأن لا شيء في العالم خاطئ أو يمكن أن يغدو خاطئاً مجدداً، ليأتي صوت بلا جسد ويربت على كتفك ويهمس بعذوبة في أذنك المسدودة بالماء: «*لا تقلقي يا طفلتي، فكل الأشياء ستتحول لتصبح فظيعة مجدداً عما قريب، لا تقلقي على الإطلاق*».

لا أدري، لعل هذا الأمر يخصني أنا وحدي.

وتابعتُ السير بخطوات ثقيلة صعوداً في الفناء المائل، واجتزتُ بضع درجات خشبية، وسحبتُ المفاتيح من جيبي. وبينما كنتُ أفتح باب الفناء، بدأ هاتفي بالاهتزاز؛ مكالمة فيديو من **جيما**. فدلفْتُ بتثاقل إلى الداخل وضغطتُ على زر القبول.

«يا صاح!» كانت **جيما** تسير بخطوات ثقيلة على رصيف ضاحية مظلم؛ وكان الهاتف موجهاً بزاوية مستقيمة لأعلى نحو ذقنها، ومصابيح الشوارع البرتقالية تطفو عابرة في الأعلى.

«لقد حاولتُ الاتصال بكِ قرابة ثلاث مرات، سحقاً للعنة.» لقد بدأت تحذف مقطع "الـ" من كلمة "اللعنة" لتقتصر على "لعنة". لا فكرة لدي لِمَ تفعل ذلك.

«مايسي؟»

«أجل.» وسحبتُ باب الفناء لأغلقه خلفي وأقفلته.

«التغطية والشبكة هنا سيئة».

«يا إلهي– آه.» كان بمقدوري سماع حركة قلب عينيها في نبرة صوتها. «بـالطبع الشبكة سيئة. هل هناك جسر ذو اتجاه واحد وعاصفة في طريقها للوصول أيضاً؟»

«طريفة».

وقضمت **جيما** قطعة من عرق السوس، ثم رفعت هاتفها لتريني أين كانت؛ متنزه غريوود بارك. على بعد بضعة شوارع من مسكننا. طريق مختصر بين ملعبين رياضيين، يعبر جسراً صغيراً فوق نهر مستنقعي، ثم يقفز فوق سياج المنزل المهجور المغلق بالأنقاض، ويخترق الفناء، وبوم! لقد وفرتِ عشر دقائق. كنتُ أعرف هذا الممشى جيداً، ودائماً ما كنتُ أسلكه عندما أعجز عن تحمل تكلفة الحافلة.

وأعادت **جيما** هاتفها إلى زاوية الرؤية الأصلية، تتطلع لأعلى نحو ذقنها مستطردة:

«لقد خضتُ مقابلة عمل للتو».

وتحركتُ عابرة المطبخ ببطء، وفتحتُ الثلاجة؛ وقبضتُ على وعاء التابروير المليء بالجزر الصغير وأغلقتها. وسألتُها:

«أوه؟ كيف سارت الأمور؟»

«ماذا؟»

«كيف كانت مقابلة العمل؟»

«ليست جيدة. المدير لم يسألني سوى ثلاثة أسئلة تقريباً وفي النهاية قال: "سنظل على تواصل"».

«أليس هذا أمراً جيداً؟»

وقطّبت **جيما** وجهها قائلة:

«هذا تماماً ما أقوله للشباب عندما أنفصل عنهم وألقي بهم: "هيّ يا صاحبي القديم، لنظل على تواصل". سحقاً. لعلهم يعلمون أنني مصابة بـهوس السرقة ».

وأملتُ رأسي قائلة:

«أليس هذا مصطلحاً مسيئاً؟»

«يُسمح لي بـقوله. دقيقة واحدة.» ووضعت **جيما** الهاتف داخل جيب قميصها، لتغدو الشاشة مظلمة، مع وهج ضبابي لمصابيح الشوارع عبر القماش. وأطلقت أنين جهد، والضياء المغبش يتأرجح صعوداً حتى دوت ضربة قوية. وسحبت **جيما** الهاتف للخارج؛ لقد قفزت للتو فوق سياج الطريق المختصر. وتحركت عبر فناء خلفي

مهجور، وقدميها تغوصان بصوت مبلل في عشب طويل أُهمل لفترة طويلة. وقالت:

«لعله يجدر بي البدء في بيع الميثامفيتامين (الشابو)».

فأجبتُها وأنا نصف جادة ونصف مازحة:

«لعله يجدر بكِ».

وهزت **جيما** كتفيها قائلة:

«لدي مقابلة عمل في "تارجت" قريباً، ولكن.. لن أعقد الآمال كثيراً.» وأطلقت زفيراً طويلاً، وقد بدا عليها الإحباط واليأس بوضوح.

«جيم، لا بأس.. فقط.. استمري في المحاولة.» وها أنا ذا مجدداً، عاجزة تماماً عن دراية كيفية مواساة أختي الشقيقة حتى.

وانسلّت **جيما** بحركات سريعة بين حظيرة حدائق بلاستيكية والمنزل المهجور المغلق، وانطلقت نحو ممر السيارات، وتجمدت مكانها قائلة:

«آه سحقاً».

«ماذا؟»

تقدمت خطوات للأمام ووجهت الهاتف للخلف نحو لوحة إعلانية في الفناء الأمامي: "شركة صويا للمعيشة – مجمع سكني جديد قادم قريباً". وتحت العنوان، تبدى صورة زوجان تم توليدهما بالذكاء

الاصطناعي؛ بـابتسامات زائفة عريضة. وكانا يملكان عدداً زائداً عن الحد من الأسنان، وكلب "جولدن لابرادودل" ذو عينين ميتتين.

وتذمرت **جيما** حانقة:

«رحم الله الطريق المختصر.» وواصلت السير بـتثاقل في الشارع مستطردة: «إذن، كيف تسير أمور حراسة المنزل المسكون؟»

وهويتُ بجسدي فوق مقعد جلدي ذي ذراعين، وبدأتُ في تناول الجزر الصغير كوجبة خفيفة، وقلتُ:

«لا أزال على قيد الحياة، وهذا يعد إنجازاً».

«أي أرانب بعد؟»

«كلا.» ليس في الداخل.

«مكالمات هاتفية مرعبة؟»

«ولا واحدة».

«زوار؟»

«صفر».

«فقط انتظري.» واجتازت **جيما** منعطفاً آخر، وصوتها يتنافس الآن مع هدير حركة المرور والسيارات.

«لا تزالين تنوين المغادرة عند أول بادرة خطر، أليس كذلك؟»

«صراحة، لا أظن أن ثمة ما سيحدث.» لم أكن مصدقة لهذه الكذبة بالكامل، لكنها كانت كذبة لطيفة لإبقاء نفسي عاقلة متماسكة.

وضيقت **جيما** عينيها قائلة:

«إن متِّ هناك، فالخطأ خطؤكِ وحدكِ».

«حسناً، يا ملقية اللوم على الضحية».

«بالإضافة إلى أنكِ تستغلين أرملة وحيدة وتسلبين أموال تقاعدها».

«إنها متعددة الملايين،» هكذا استخدمتُ منطق **جيما** نفسه ضدها، وأردفتُ: «أنا فقط أعيد موازنة الكفتين والعدالة».

«أياً يكن. لا تأتي باكية إليّ عندما تموتين.» وصمتت لبرهة مستطردة: «ولكن إن حدث أي شيء، اخرجي من هناك، واتصلي بي».

«سأفعل».

«عديني؟»

ورفعتُ إصبع خنصري قائلة:

«أعدكِ».

وتنهدت **جيما**، وهي تمرر يدها فوق شعرها القصير جداً :

«إن حدث لكِ أي مكروه، سأكون في ورطة وهلاك يا مايسي. تعلمين ذلك، أليس كذلك؟»

«هيّ، لقد سمعتُ أن نظام الرعاية البديلة والتبني بات متماسكاً وقويّاً هذه الأيام».

«هاه».

«لعله سيتم إلقاؤكِ مع عائلة صالحة مؤمنة؛ لتجدي الرب والهدى».

«اقتيلني أهون.» وتوقفت **جيما** عند تقاطع طرق، وتطلعت في كلا الاتجاهين، ثم اندفعت راكضة تعبر الشارع. ودوى بوق سيارة بـقوة حادة، وتوقفت بـصرير مكابح عنيف. فصرخت **جيما**:

«أيها الأبله اللعين»

«يا إلهي، جيم، كوني حذرة».

وتابعت سيرها بـخطوات حازمة على الرصيف قائلة:

«كان حق المرور وأولوية العبور لي».

«بالتأكيد كان كذلك.» وتفقدتُ الوقت مستطردة: «اسمعي، يتعين عليّ المحاولة ونيل بعض النوم قبل ساعة السحر والطقوس. أنا آمنة، لا وجود للشياطين هنا، كل شيء بخير، وأنا أكرهكِ».

وابتسمت **جيما** قائلة:

«وأنا أكرهكِ أيضاً يا أختي».

وتحرك إصبعي نحو زر إنهاء المكالمة، ولكن..

«انتظري!» صرخت **جيما**.

وتراجع كفي فجأة:

«ماذا؟!»

«هل يمكنني استعارة عشرين دولاراً؟»

«أوه..» والاستعارة لديها كانت تعني دائماً "الأخذ دون رد".

«لأجل أجرة الحافلة».

«سأرسلها لكِ، لكني لا أبتغي سماع أي حديث آخر عن كوني غبية لأنني أدفع إيجار مسكننا، حسناً ؟ أنا أعلم بالفعل أنني غبية».

ورفعت **جيما** إصبع خنصرها قائلة:

«أعدكِ».

7
مخلوقات الجريملنز

كان ذلك أكثر فراش مريح استلقيت عليه في حياتي، لكني عجزتُ عن النوم. في الأحوال العادية، لربما تجرعتُ حبة أو اثنتين من دواء "زوبيكلون" المنوم، لكني لم أبتغِ المخاطرة بالاستغراق في نوم عميق يفوت عليّ إنذار "ساعة السحر والطقوس". لذا حاولتُ إحصاء الأشياء؛ أحصيتُ ألواح الجدار المصنوعة من فينيل الخشب، وأحصيتُ الأشخاص السعداء داخل إطارات الصور، وأحصيتُ الأرقام على الهاتف ذي القرص الدوار.

وعندما نفدت مني الأشياء التي يمكنني إحصاؤها في الغرفة، أغلقتُ عينيّ وبدأتُ أعد أشياء من الماضي. عدد المرات التي زرتُ فيها ديزني لاند: 0. عدد المرات التي زرتُ فيها متنزه "إنشانتد فورست": 17. عدد المرات التي شعرتُ فيها بأنني فاشلة: وتوقفتُ عن الإحصاء.

واستويتُ جالسة. وكان ضياء القمر ينسكب بغزارة من النافذة القابعة خلفي، ليتشكل كبركة مزرقة اللون فوق اللحاف. والتفتُّ نحو خزانة الملابس؛ وكان باباها المزدوجان القابلان للطي مغلقين بإحكام. وقد تيقنتُ من ذلك الأمر تماماً قبل النوم؛ فأنا لا أنام أبداً

وباب الخزانة موارب وبها شق مفتوح، فهذا جالب للحظ السيئ. كما أنني فتحتُ كل ستائر الاستحمام في المنزل.

وتطلعتُ نحو الرواق؛ كانت القطة **براوني** تجلس عند عتبة المدخل المفتوح، وتراقبني بعينيها المختلفتا اللون.

أولم أكن قد أغلقتُ ذلك الباب؟ وعادت ذاكرتي لتتدبر الأمر عبر غشاوة مغبشة من الإحصاء والعد الذي لا ينتهي. عائدة إلى لحظة صعودي الدرج، ودلوفي إلى غرفة الضيوف، و.. لم أعد أذكر. وبطريقة ما، نجحتُ في هز كتفيّ وتجاوز الأمر؛ فلعله كان من الأسهل تصديق أنني تركته مفتوحاً فحسب.

وبدأ ذيل **براوني** يتحرك ويتلوى، كحركة ثعبان، يتحرك وله عقل خاص به. وقلتُ محاولة التحدث بنبرة جافة ولا مبالية، متظاهرة بعدم الاهتمام:

«هيّ، يا براونز.. عاجزة عن النوم أنتِ الأخرى، هاه؟»

وشخصتُ ببصري بعيداً عنها، وممرتُ بعينيّ فوق لحاف مطوّ يقبع أعلى صندوق خشب عند أسفل الفِراش. بنقوش مربعات حمراء وبيضاء.

وتفقدتُ الوقت؛ كانت الواحدة إلا دقيقتين صباحاً.

وجذب نظري الهاتف ذو القرص الدوار ذو اللون الأبيض اللامع. وكان هذا الأثر العتيق سبباً آخر لعجزي عن النوم؛ فقد كان يقبع فوق الطاولة الجانبية للفراش كقنبلة قد تنفجر في أي ثانية.

بـالتأكيد، قالت غريس إن المكالمات الهاتفية الغامضة لم تكن سوى محض خيال من ديفيد، ولكن..

واختطفتُ ذلك اللحاف المقلم من أسفل الفِراش، وقذفتُ به فوق الهاتف ليدثره. وغطى اللحاف الطاولة الدائرية بالكامل، ليتشكل كـشبح طفل صغير بـبشَرة من مربعات مقلمة ورأس على هيئة هاتف.

وهبطت عليّ موجة من الراحة البالغة المخزية لشدتها. وهو المنطق عينه الذي كنتُ أستخدمه عند إخفاء رصيد حسابي البنكي؛ فـما لا يمكنكِ رؤيته لا يمكنه إيذاؤكِ.

وفي الحواف المغبشة لمجال رؤيتي، استدار رأس **براوني**. وتطلعتُ نحوها؛ كانت تشخص بـبصرها الآن نحو الرواق، باتجاه الدرج. ولم يكن بمقدوري رؤية السلالم من مكاني هذا، بل فقط انسكاب مغبش لضياء القمر يرتطم بالجدار.

وانتصبت أذنا **براوني**، وهبط رأسها منحنياً للأمام، كأنها تحاول التدقيق والنظر بـشكل أفضل إلى شيء عجزت عن فهمه واستيعابه تماماً. ثم بدأت تلفت برأسها ببطء لأعلى، درجة تلو الأخرى.. كأنها تراقب شخصاً يصعد الدرج..

واندفع الدم في صدغيّ بـطنين مسموع. واشتدت الأوتار في عنقي بإحكام. واستمعتُ للمدى، وأنا أتشرب الأصوات المحيطة بـإدراك

فائق الحساسية والتأهب، متوقعة سماع خطوات خفيفة تتحرك صعوداً على السلالم، لكني لم أسمع سوى سكون خالص.

واستقرت عيناي على ضياء القمر المغبش المرتطم بالجدار ذي الألواح الخشبية – فلو كان ثمة من يتسلل صاعداً السلم، لكنتُ قادرة على رؤية ظله، ولكن.. لم يكن هناك سوى الصور المؤطرة لأشخاص يبتسمون بسعادة. وبدت ابتساماتهم وكأنها تسخر مني الآن: *«لِمَ لا تلقين نظرة وجيزة داخل الرواق يا مايسي مولينز؟ ألقي نظرة على الدرج وانظري ما تراه براوني»*.

وتوقف رأس **براوني** عن الحركة، وانحنى عنقها بحدة صعوداً لأعلى كأنها تنظر إلى شخص فارع الطول بشكل مستحيل. شخص طويل للغاية لدرجة أن كتفيه كانتا لتنحنيا وتلتصقا بالسقف. ورمشت **براوني** بعينيها، بمرح وفضول ضئيل. ثم انسلّت متقدمة للأمام، لتغيب عن ناظري.

ودق قلبي بوتيرة متصاعدة متسارعة. وتأرجحت قدماي خارج الفِراش، وحملتاني فوق الأرضية الخشبية الباردة. وتباطأت خطواتي عند المدخل، وأخذتُ نَفَساً عميقاً، وتجرأتُ على إلقاء نظرة خاطفة داخل الرواق. كانت **براوني** تهبط السلالم، وذيلها المتلوي يغيب عن الرؤية. ولا وجود لأي شياطين فارعي الطول بشكل مستحيل.

إنه لا شيء. وتراجعتُ بجسدي مسندة إياه داخل الغرفة. *كل شيء بخير. كل شيء..*

«*هو في غاية الهلاك والخراب*» هكذا اقتحمت **جيما** الخيالية رأسي قائلة: «*اخرجي، اخرجي، اخرجي! كم من الرايات الحمراء الإضافية تحتاجينها؟!*».

فرددتُ عليها معترضة في سرّي: «*إنه مجرد سلوك غريب من قطة. أتذكرين ذلك القط الضال الذي تبنته العمة بات؟ والأشياء المجنونة التي كان يفعلها؟ الفحيح في مواجهة الخزانات الخاوية، والركض خلف فئران غير مرئية–*»

«*–يتعين عليكِ المغادرة، الآن–*»

عزلتُ **جيما** من عقلي وأقصيتُها. وتبطأت أنفاسي، لقد كان مجرد سلوك قطة غريب؛ هذا كل ما في الأمر. ولا شيء يستحق التخلي عن تسعة آلاف دولار لأجله. وتطلعتُ عائدة نحو الفِراش، وتفقدتُ الوقت مجدداً؛ كانت الواحدة ودقيقة واحدة صباحاً. ولم يعد يفصلني سوى بضع ساعات على أي حال حتى تبدأ دورية تفقد الأضواء، ولم يكن الأمر يستحق محاولة النوم عند هذه النقطة.

ومع ضغط يديّ على كلا جانبي إطار الباب، انحنيتُ بجسدي خارجاً نحو رواق الطابق العلوي مرة أخرى ورمقتُ كلا الاتجاهين بنظرة سريعة. ولا تزال الشياطين غائبة عن الرؤية. ممتاز. وكانت الأضواء كلها لا تزال مطفأة. أفضل بكثير.

وفي وقت سابق من تلك الليلة، كنتُ قد فكرتُ نصف تفكير في التوجه إلى صندوق المصاهر (الفيوزات) وقطع الكهرباء عن المنزل بأكمله، لكني تذكرتُ حينها تحذير ديفيد بألا أحاول تحري الذكاء. لا تبحثي عن ثغرات، فقط اتبعي الطقوس كما قُدّمت لكِ. فضلاً عن ذلك، كان لا يزال ثمة احتمال بأن تتفقد غريس الكاميرات. ولا يمكنني تحمل خسارة تلك المكافأة الإضافية البونص.

وسِرتُ بخطوات ثقيلة هابطة السلالم. وكان ضياء القمر يقطع قصبة ساقيّ، ويرتفع لأعلى مع كل خطوة هبوط. وتبطأت خطواتي عند الدرجة الأخيرة. ماذا لو لم يكن الأمر مجرد سلوك قطة غريب؟ وانحنيتُ للأمام، والتفتُّ برأسي نحو غرفة المعيشة، والمطبخ. كان المكان ساكناً، مظلماً. وتفقدت عيناي الأرجاء بحثاً عن شبح هلامي، فارع الطول بشكل مستحيل، يلوح في زاوية مظلمة. لم يكن هناك شيء. واستمعتُ لعلني ألمح خطوات – لكني لم أسمع سوى التكتكات الخاوية لساعة قريبة. وتطلعتُ نحو الردهة، والباب الأمامي؛ وسِرتُ متوجهة إلى هناك وتفقدتُ المقبض؛ ووجدته مقفلاً.

أنتِ بخير يا مايسي. مجرد يومين إضافيين من هذا الأمر، وستخرجين.

فتحتُ الثلاجة، وانحنيتُ للأمام، وضيقتُ عينيّ. واكتسحت نظراتي المنكهات والصلصات: الكاتشب، الخردل، المخلل المفروم، ولِمَ كنتُ أنظر في الثلاجة أساساً؟ ودفعتُ الباب لأغلقه، واستويتُ قائمة من جديد، وتفقدتُ الوقت مرة أخرى؛ كانت الواحدة وأربع دقائق صباحاً. لا تزال تفصلني ساعتان على "ساعة السحر والطقوس". كيف سأقوم بـقتل وإضاعة كل هذا الوقت؟

***

كانت صالة السينما المنزلية أفضل بكثير ممّا تخيلتُ؛ إذ كانت تزهو بـشاشة تلفزيون عملاقة بـمقاس اثنين وتسعين بوصة ودقة عالية، ونظام صوت لمحيط المكان، ومقاعد جلدية مبطنة قابلة للتعديل ومزودة بـخاصية التدفئة، بالإضافة إلى ثلاجة صغيرة (ميني بار) عامرة ومليئة بكل ما لذ وطاب. استعراض فاحش للملايين والثراء الفاخر يمكنني بـالتأكيد أن أدعمه وأنسجم معه. واختطفتُ جهاز التحكم عن بعد (الريموت)، وهويتُ بـجسدي فوق مقعد مريح، ورفعتُ قدميّ لأعلى، و..

وتفقدتُ القوائم بـنظراتي، بحثاً عن أي خدمة بث رقمي، بيد أنني لم أجد سوى: معايرة الألوان، وإعدادات المصنع، وغيرها من

الأمور التقنية التي لا أبالي بها بمثقال ذرة. وأدخلتُ رقماً عشوائيّاً لأحد القنوات، و..

بث مشوش ساكن .

وغيرتُ القنوات. مزيد من الوشيش الساكن. وضغطتُ على زر الدليل، دون جدوى. أوليس لديهم حتى كابل قنوات ؟ ألا يملك كل شخص يتجاوز الستين من عمره اشتراكاً للقنوات؟ ورفعتُ يديّ في الهواء استسلاماً، وهممتُ بالإقرار بالهزيمة، عندما التفتُّ لأرى: رفّاً يمتد من الأرض حتى السقف مليئاً بأشرطة فيديو منزلية قديمة. كان يقبع في زاوية مظلمة خلف الثلاجة الصغيرة؛ ولا بد أن التلفزيون العملاق قد شتت انتباهي لدرجة منعتني من ملاحظته قبل الآن.

وتوجهتُ إلى هناك بخطوات بطيئة متمهلة.

وكانت تشكيلة مبهرة ومثيرة للإعجاب؛ ضمت كل شيء من فيلم *فك مفترس (Jaws)* إلى *اتصال (Contact)* وصولاً إلى *سيد الخواتم (Lord of the Rings)*. وكان هناك الكثير من التقاطعات والتشابهات مع مجموعة والدي الخاصة. وبعد قليل من التصفح والتدقيق، استقر خياري على الجزء الأول من فيلم *المخلوقات الشرسة (Gremlins)*. «تشكيلة من الكلاسكيات بحق»، كما كانت لتصفه **جيما** الشغوفة بالسينما. وقذفتُ بالشريط داخل المشغل، وضغطتُ على زر التشغيل، وهويتُ عائدة بجسدي

مسترخية في مقعدي. ولكن قبل أن يتمكن "سترايب" ومخلوقات "الموجواي" من خداع بيلي وإجباره على إطعامهم بعد منتصف الليل، استغرقتُ في النوم.

وظلام دامس.

8

نومًا هنيئًا

ظلام دامس.

ضياء مَشوب بالبث المشوش الساكن البارد. رائحة كلور نفاذة. بلاستيك أسود لامع. ظلام. فراء خشن أشعث. أزرار خضراء على هيئة عينين.

ضوء أحمر.

ظلام.

ضوء أزرق.

ظلام.

أحمر.

ظلام.

أزرق.

أقف في غرفة بلا نوافذ، وخرسانة خشنة تلتصق بقدميّ العاريتين. وفي الظلال القابعة أمامي: يبرز خط باهت لباب أبيض كالعظم – ويتلألأ ضوء تلفزيون أزرق من تحته.

أين أنا؟

أتحرك ببطء للأمام، طافية في البداية، ثم أسير بخطوات. وتقبض كفي على مقبض نحاسي بارد، ومعصمي يلتف ويتلوى. الباب

مقفل. وبمقدوري سماع أصوات في الجانب الآخر؛ صوت **جيما**، وصوتي أنا. وضغطتُ بأذني على الباب، لأسمع **جيما** تسأل:

«إلى أين أنتِ ذاهبة؟»

وأسمع نفسي أجيبها:

«إلى منزل صديقة».

«متى ستعودين؟»

«.. غداً».

وبمقدوري سماع خطوات **مايسي**، تتحرك بصوت مبلل ناعم عابرة شقتنا. وبمقدوري سماعها وهي ترتدي سترة والدي الخاصة، وتربط حذاءها، وتنتفض واقفة لتستوي في ثبات.

«.. مايسي» هكذا تقول **جيما**.

«أجل؟»

«هذا ليس حلماً..»

«ماذا؟»

«إنها ذكريات.. هذا ليس حلماً، إنها ذكرى.. هذا ليس حلماً، إنها ذكرى..»

وصوت خافت مكتوم لباب يصر بقوة وهو ينفتح. وخطوات **مايسي** تغادر وتبتعد.

«هذا ليس حلماً، إنه لـ—»

كليك.. صوت باب يُغلق بلطف وسكون. ثم صمت مطبق.

وخطوتُ خطوة صغيرة عائدة للخلف مبتعدة عن الباب الأبيض كالعظم وتطلعتُ حول الغرفة الخرسانية. وبدا السقف أقرب الآن.

أين أنا؟ كيف انتهى بي المطاف هنا؟

وبدأ صوت موسيقى رسوم *"لوني تونز"* يُبث ويعزف على الجانب الآخر من الباب الأبيض. انفجارات كرتونية، وموسيقى أوركسترالية. وبمقدوري سماع **جيما** تضحك، لكن صوتها بدا خاطئاً، زائفاً ومجبراً: *«ها. ها. ها. ها»*.

وطرقتُ الباب بقوة، وصرختُ باسم أختي. لكن الضحك لم يزدد إلا صخباً وعلوّاً: *«ها. ها. ها. ها»*. وحاولتُ تحريك المقبض مجدداً؛ ولا يزال مقفلاً. وفجأة، في الظلام القابع خلفي، تحرك شيء ما: صوت (طقطقة) منخفض وحنجري، تبعه سحق رطب بصوت مبلل لحمي ضد الخرسانة. واستحضر الصوت في ذهني صورة فم عملاق، يتقيأ ورماً منتفخاً؛ فم بشفاه متشققة، ولثة تنزف دماً، ولسان رمادي.

وتطلعتُ من فوق كتفي. لم يكن هناك سوى ظلال، حالكة السواد، راكدة ساكنة، ثم– انطلقت أضواء أمامية لسيارة تشتعل فجأة، عينان من بياض مزرق متلألأ في عمق الظلام البعيد. ومن خلف الباب المقفل، تحول ضحك **جيما** المُجبر المصطنع إلى نحيب وبكاء؛ عويل طويل وأنين حزين يفيض بالأسى لفجيعة مروعة. وتسلل برود جليدي يطبق حول قدميّ المكسوتين بالجوارب. وتطلعتُ

لأسفل؛ فمن تحت شق الباب كان ينزف ويسيل لوح رقيق من المياه، يتمدد عابراً الخرسانة، وينتشر داخل الظلال من كل جانب.

وانطفأت الأضواء الأمامية للسيارة، وتحول نحيب **جيما** إلى عبارة واحدة، كلمتين تترددان في حلقة مفرغة وتكرار لا ينتهي:

«أنا أعلم– أنا أعلم– أنا أعلم– أنا أعلم– أنا أعلم–»

وبدأت المياه في الارتفاع، لتصل إلى كاحليّ. وهبط عليّ إدراك فظيع ومروع أخيراً، بشكل مفاجئ وعنيف: *سأموت هنا*. كلا، بل الأسوأ من ذلك؛ *لن أموت، بل سأعيش. للأبد. غارقة أبد الدهر في غرفة خرسانية*.

وبلغت المياه قصبة ساقيّ.

واستدرتُ عائدة نحو الباب بسرعة، وبدأتُ في دك وضرب كتفي ضد الخشب المشوه المليء بالندوب. ووصلت المياه إلى خصري. وكان كتفي ينبض بالأوجاع والآلام، وكل ارتطام واصطدام يغدو أثقل وأعنف ممّا سبقه. وصرختُ بأعلى صوتي مستغيثة:

«جيما! ساعديني!»

«أنا أعلم– أنا أعلم– أنا أعلم– أنا أعلم–» وبلغت المياه عنقي.

«جيما، أرجوكِ!»

«أنا أعلم– أنا أعلم– أنا أعلم–» وبلغت المياه عينيّ.

«أنا أعلم– أنا أعلم–»

ووصلت المياه إلى السقف.

9
شاحنة النقل الخفيف

بزز.. بزز.. بزز..

عندما انفتحت عيناي بـذهول وتلعثم، كان الضياء الأزرق المنبعث من شاشة التلفزيون يغمر الغرفة بـغزارة. وكان قلبي يدق بـعنف متضرباً ضد قفصي الصدري. أكنتُ مستغرقة في كابوس؟

وبطّأتُ أنفاسي – شهيق من الأنف، زفير من الفم.

بزز.. بزز.. بزز..

واصل هاتفي الاهتزاز صانعاً دوائر بطيئة داخل حامل الأكواب الخاص بـالمقعد المبطن. ونقرتُ على الشاشة ورفعتُها نحو وجهي؛ لـيشن وهج الشاشة هجوماً صارخاً على قرنيتيّ عينيّ.

تذكير: 2:50 صباحاً – عشر دقائق متبقية على دورية تفقد الأضواء!

أجل، هذا هو السبب الكامل وراء وجودي هنا أساساً. وبـهدوء أكبر قليلاً، وإن كنتُ لا أزال مترنحة من أثر النوم، دلفتُ خارجة من الغرفة وجررتُ قدميّ بـتثاقل مارة عبر الرواق. وكانت شظايا الكابوس لا تزال عالقة بـدماغي؛ شظايا قذيفة بلا سياق أو معنى: *مياه جليدية، باب مقفل، خرسانة – أنا أعلم – أنا أعلم – أنا أعلم..*

ومستعينة بـالوظيفة القابعة بين يدي لتشتيت نفسي، تابعتُ السير هابطة عبر الرواق، أتفقد كل غرفة، دون تكبد عناء فتح الأبواب؛ فحتى وأنا واقفة بـأقصى طولي، كان بمقدوري الرؤية بـشكل كافٍ من تحت شقوق الأبواب – لا ضوء يشتعل في غرفة الدراسة. لا ضوء في الحمام. المطبخ.. لا شيء.

وتيقنتُ من أن أضواء الطابقين الأول والثاني لا تزال مطفأة بالكامل، وأعدتُ تفحص الأقفال مرتين، و.. ربتت فكرة هامسة على كتفي، تأمرني بأن أعبر غرفة المعيشة، وألقي نظرة خارج النافذة.

ومع انغراس قدميّ بـثبات في أرضية المطبخ، تطلعتُ من فوق كتفي. واختلجت عيني اليسرى.

«انظري خارج النافذة»، هكذا تكررت الفكرة في عقلي.

وحاولتُ تجاهلها، وإيداعها تحت بند الحرمان من النوم، بيد أنني وجدتُ نفسي في اللحظة التالية أعبر غرفة المعيشة. وتوقفتُ عند النافذة. وعبر الأشجار، وعلى طول المدى لـمنطقة الدوران خافتة الإضاءة في الأسفل، رقدت شاحنة نقل خفيفة بيضاء. ساكنة بلا حراك. غارقة في الظلام. وضيقتُ عينيّ؛ فحتى من هذه المسافة، وحتى عبر تشابك الأشجار، كان بمقدوري الجزم بأنها شاحنة من طراز "فورد رانجر"، من أوائل الألفينات. الموديل والطراز واللون عينهم لـشاحنة والدي القديمة..

فكرة أخرى غبية وطفولية؛ فبالطبع لم تكن شاحنة والدي. كان ذلك أمراً مستحيلاً لسببين بسيطين:

أولاً،هذه الشاحنة لم تكن تحمل شعار «موليز لجزّ العشب» الصارخ المبهرج الملتصق على جانبها؛ وهو شعار سمح لي والدي بتصميمه بنفسه عندما كنتُ في الثالثة عشرة من عمري. لقد كان نسخة كرتونية مهتزة ملتوية له، يبتسم عبر لحية كثيفة ويصنع إيماءة إبهامه الشهيرة علامة على الموافقة والنجاح. كانت النسب والمقاييس مشوهة خاطئة، والخطوط والرسوم مخزية ومحرجِة، لكن والدي قال حينها إنها مثالية تماماً.

أما السبب **الثاني** والأكثر وضوحاً لكونها ليست شاحنة والدي، فقد كان مباشراً وصريحاً بشكل مؤلم: شاحنة والدي تقبع على بعد أكثر من خمسين ميلاً في شمال الولاية، تتآكل ويأكلها الصدأ في قاع نهر "ويلاميت". منذ تلك الليلة التي انزلقت فيها شاحنته خارج طريق لزج بفعل المطر، واندفعت مخترقة حاجز الحماية الصخري، لتهوي غارقة في المياه، ولم تخرج منها قط. ولم تتمكن الشرطة حتى من انتشال الحطام واسترداده؛ فالمياه كانت بالغة العمق، والتيارات شديدة العنف. ووالدي، أو ما تبقى منه، لا يزال قابعاً هناك في الأسفل أيضاً.

منذ ثلاث سنوات خلت، بعد بضعة أسابيع من انهيار وتفكك عمل والدي وتجارته، خرج ليقود سيارته ويتنزه. وكان توقيتاً غريباً؛ لأننا كنا في منتصف مشاهدة فيلم *العودة إلى المستقبل*، وهو أحد الأعمال المفضلة لديه على مر العصور. ولكن بعد مرور أقل من عشر دقائق على الفصل الثاني من الفيلم، انتفض والدي مدفوعاً خارج الأريكة، وقبض على مفاتيحه، وأخبرنا أنه سـ«يعود خلال ساعة، ربما ساعتين».

ومرت ساعة. وساعتان. وخمس ساعات. ومن ثم–

ثلاث طرقات حادة قوية على بابنا الأمامي. وتطلعتُ أنا و**جيما** نحو بعضنا البعض. *لِمَ قد يطرق والدي الباب؟ وهو يملك مفتاحاً.*

ولم أستوِ قائمة وأسير بتثاقل متوجهة إلى هناك لأفتح الباب وأجيب، إلا بعد جولة أخرى متلاحقة من طرق الباب. وبالطبع، لم يكن والدي هو من يقف عند عتبة دارنا، بل كانا زوجاً من رجال الشرطة. ولا أذكر ما قالاه – فقد كنتُ مذهولة ومصعوقة أكثر من أن أستمع.

وكل ما كان بمقدوري فعله هو الشخوص ببصري متجاوزة إياهما، وأنا أراقب أضواء سيارة الدورية الخاصة بهما وهي تومض باللونين الأحمر والأزرق. أحمر وأزرق. أحمر وأزرق. أضواء غمرت دثار فنائنا الأمامي، وطلت العشب الفسيح الذي قام والدي نفسه بجزّه وقصه في اليوم السابق مباشرة. وكانت آثار حذائه

الملطخة بالعشب لا تزال مرئية وواضحة على الممشى الخرساني.
أحمر.. أزرق.. أحمر.. أزرق.. أحمر..
وفي وقت لاحق، علمتُ أن أحد الشهود قد التقط بكاميرا لوحة القيادة الخاصة بسيارته المشهد بأكمله – شاحنة والدي تنزلق خارجة عن الطريق، وتخترق حاجز الحماية، وتهوي بمقدمتها غاطسة في قاع نهر ويلاميت في الأسفل.
وبينما كان رجال الشرطة يتحدثون، وأصوات كلماتهم تبدو مكتومة وبعيدة المدى، كان الشيء الوحيد الذي بمقدوري الشعور به هو ضيق متزايد يطبق على صدري، تماماً بين رئتيّ. إحساس فظيع ملتف ولافح بدا وكأن العالم بأسره قد يتشظى وينهار في أي لحظة. وهذا الشعور لم يغادرني ويذهب بعيداً قط جديّاً.
ومنذ ذلك الحين، وأنا أترنح وأتأرجح على حافة جرف منحدر – دائماً على وشك السقوط والتهاوي. بالتأكيد، على مر السنين، غدوتُ أفضل في إخفاء الأمر، وأكثر براعة في التأقلم والتعايش. وكانت هناك لحظات، وأحياناً ساعات أو أيام، يغيب فيها هذا الشعور ويكاد يتلاشى، متحولاً إلى بث مشوش وضجيج أبيض. ومع ذلك، في معظم الأحيان، كلما أرخى ذلك الضيق القابع بين رئتيّ قبضته وتراجع إحساس الترنح والسقوط، لم يكن ذلك التراجع إلا قناعاً يحجب خلفه فراغاً متعفناً وأشد سوءاً. فراغاً ومأزقاً بائساً

من اللاشيء، ما إن يشعر بـالراحة والتمكن الكافيين، حتى يبدأ في الجدال والنقاش بـإقناع مرعب ومخيف:

«قد يغدو العالم مكاناً أفضل بـخلوه من مايسي مولينز واحدة. لعله يجدر بكِ التوقف عن الترنح والاهتزاز بالكامل، وترك نفسكِ تهوين وتتساقطين بسقوط حر».

وغني عن القول إنني لم أفعل ذلك قط؛ ولم أكن قادرة عليه أساساً. كان يتعين عليّ الاعتناء بـ**جيما**؛ كان يجب أن أكون هناك لأجل أختي الصغرى. ولكن هذا لا يعني أنني لم أفكر في الأمر قط، على أي حال..

وعما قريب استحال هذا التفكير والتدبر الوجودي إلى عداء مرير وخصومة حانقة تجاه العالم بـشكل عام؛ فلا يهم كم هو عميق وغائر ألمكِ، وكم تمنيتِ لو كان بمقدوركِ قول شيء واحد أخير لشخص ما قبل أن يختفي ويتلاشى للأبد.. لا شيء من هذا يهم. فـالعالم يواصل حركته وسيره. والمهمات والديون والأطباق المتسخة، كلها تواصل التراكم والازدياد فوق رأسكِ.

يومان للمواساة والحداد.

هذا كل ما خصصه لي صاحب العمل والوظيفة لـتجرع الحزن؛ يوما عمل لـمعالجة ستة وأربعين عاماً من عمر وحياة قُطعت وبُترت بـشكل مفاجئ. ولا أزال أذكر اليوم الذي عدتُ فيه للعمل، بعد أقل من أسبوع على جنازة والدي.

رجل حذق مفرط الأناقة في حلة فاخرة صاح بي:
«عذراً يا آنسة؟ يا آنسة؟ لقد طلبتُ كريمة في قهوتي».
ضوء أحمر.. ضوء أزرق..
فقلتُ له: «أجل، إنها هناك، بجوار الباب».
«كلا. كلا. أنتِ لا تفهمين. لقد أخبرتِني أنكِ وضعتِ الكريمة داخلها. وسِرتُ طوال الطريق حتى سيارتي قبل أن أرتشف رشفة واحدة وأدرك الأمر».
أحمر.. أزرق.. أحمر.. وشخصتُ بـبصري خاوية مغيبة لأسفل نحو انعكاسي البائس فوق سطح البار الرخامي، متسائلة كيف تبدو أحوال "مايسي" القابعة في عالم المرآة الموازي. جزء مني تمنى لو كانت أحوالها أشد سوءاً وبؤساً، وجزء تمنى لو كانت أفضل. لعل والدها لا يزال حياً يرزق ويركل الأرض بقدميه. وحينها تملكني الحسد؛ تباً لـعنتها. أحمر.. أزرق.. أحمر.. أزرق..
«يا آنسة؟ هل يمكنكِ النظر إليّ عندما أتحدث معكِ؟» ولوّح الرجل الحذق بـيده على بعد بوصات معدودة أمام وجهي. وتخيلتُ نفسي وأنا أكسر أصابعه، وأقصفها للخلف كـمقاعد قابلة للطي؛ *كراك، كراك، كراك*. وتطلعتُ لأعلى نحوه بـبطء.
فـخفض يده سائلاً: «هل أنتِ صماء؟».
ونظرتُ له مباشرة في عينيه بـنظرة مميتة جافة، وتطلعتُ مباشرة داخل روحه، و.. اصطنعتُ ابتسامة زائفية من طراز ابتسامات

«موظف الشهر المثالي»، وقلتُ له: «لقد سألتُك إن كنت تبغي مساحة للكريمة؛ لذا تركتُ لك مساحة للكريمة».

وتوقف مؤقتاً، وظهرت عليه لمحة من الوجل والتردد، كأنني أفعى رفعت رأسها للتو، وقد تلدغ في أي ثانية مباغتة. ونفخ صدره وقطّب جبينه قائلة: «أنا.. أنا لا أستسيغ هذه النبرة يا آنسة. هل يمكنني التحدث إلى.. هل هناك مسؤول أعلى يمكنني الـ–»

أحمر، أزرق، أحمر، أزرق، أحمر–

«يا آنسة؟ هل تستمعين إليّ أساساً؟» ورفع يده بجوار أذني، وضغط بإبهامه على إصبعه و: *طق*. ولم يختلج جسدي أو يطرف لي جفن حتى بينما اندفع ذلك الصوت الهش القاصف داخل قنوات أذني، وتغلغل هابطاً داخل قشرتي الدماغية، ليزعج سبات غضب عتيق وعميق لم أختبره من قبل قط. *طق*. وقال: «أود التحدث مع مشرفكِ، يا آنسة؟».

طق.

أقرب. *طق*. أشد صخباً وعلوّاً. *طق*.

وكل إنش من كياني ووجودي كان يبتغي القفز فوق الطاولة ودك أسنانه اللعينة بـقدميّ. ولكن بإسم التسوية والمساومة، اختطفتُ كوب قهوة مثلجة من صينية عابرة، وقذفتُ به بـحركة سريعة مباغتة فوق حلته الصغيرة الفاخرة.

وإدارة العمل – صدقوا أو لا تصدقوا – اعتبرت ذلك الأمر «سبباً موجباً للفصل والطرد الفوري».

أنا لا أشعر بالندم على إفساد يوم ذلك الوغد؛ وكنتُ لأفعل الشيء نفسه مجدداً لو أتيحت لي الفرصة. ولكن.. خسارة تلك الوظيفة كانت الشرارة التي أطلقت السقوط الطويل الذي قادني إلى هنا، أطفئ الأضواء في منزل غريب عند الثالثة صباحاً. وفي الأشهر التي تلت جنازة والدي، بدأتُ وبشكل عميق وغائر أنسجم وأرتبط بتلك العبارة: *«البؤس يعشق الرفقة والصحبة»*.

ووجدتُ نفسي في متجر "والمارت"، أنبش في السلع المخفضة لأضع أي قدر من الطعام فوق الطاولة؛ بالكاد قادرة على وضع قدم أمام الأخرى، ليبدأ "فاريل ويليامز" فجأة في التغريد والصياح عبر مكبرات الصوت الممتدة في المتجر بأسره:

لأنني سعيد..

صفقوا معاً إن كنتم تشعرون بأن السعادة هي الحقيقة..

وفي الأيام التي كنتُ بالكاد أستطيع فيها جرّ جسدي خارج الفِراش، كانت تلك الأغنية تجعلني أبتغي غرز سكين لحم داخل أذنيّ. وأنا لستُ فخورة بذلك، ولكن ثمة جزء مني – يقبع في الأسفل الغائر، ويتعفن في غرفة مظلمة قذرة – يبتغي من الجميع أن يشعروا بنفس القدر من البؤس والتعاسة الذي يتملكني. على الأقل، لم أكن لأغدو وحيدة بهذه اللعنة الفظيعة.

وانطلقت الأضواء الأمامية لشاحنة النقل الخفيفة تشتعل فجأة، لتقطع حبل تأملاتي الصامتة الحانقة، وتجذبني عائدة داخل جسدي، داخل الحاضر. وشقت الأضواء الأمامية – اللتان كانتا بمثابة عينين من اللون الأبيض المزرق اللامع – عموداً مستوياً مسطحاً من الضياء البارد عابراً منطقة الدوران، وصعوداً في ممر السيارات، وعبر الغابة، ولينسكب داخل غرفة المعيشة. ولبرهة زمنية غريبة وخالدة، بدا كل شيء مشلولاً، كأن العالم بأسره قد تجمد وصار صلباً.

ومن ثم، دارت الشاحنة بثقل متمهلة، وصنعت دورة كاملة على شكل حرف "U"، وتحركت مغادرة دون أي مراسم أو جلبة، لتمضي بعيداً.

وتسمرتُ واقفتة هناك، أراقب الأضواء الخلفية الحمراء حتى طفت وتأرجحت حول منعطف بعيد وغابت وتلاشت في عمق الليل.

ورنّ هاتفي مجدداً بصوت تنبيه:

3 صباحاً، ساعة السحر والطقوس.

ومع إخراج زفير حزين، استدرتُ مبتعدة عن النافذة وعدتُ إلى العمل. *إنها مجرد شاحنة يا مايسي. مجرد شاحنة..*

10
إيقاف

تأكدوا من إبقاء أضواء الطابقين الأول والثاني مطفأة بالكامل بين الساعتين الثالثة والرابعة صباحاً. هذا كل ما في الأمر. هذا كل شيء. لا تقلقوا بشأن أضواء القبو (المستودع السفلي). وإذا اضطررتوا لاستخدام المرافق ولم يكن بمقدوركم الرؤية في الظلام، فلا تترددوا في إشعال ضوء أو اثنين، لا بأس في ذلك، فقط لا تتركوا أيّاً منها مشتعلاً لأكثر من ثلاث دقائق متواصلة. ولا ثانية واحدة تتجاوز الثلاث دقائق.

***

كانت «دورية تفقد الأضواء» بسيطة بما يكفي. سِرتُ في أرجاء المنزل بالنمط والترتيب عينه تماماً المرة تلو الأخرى:

1. البداية من رواق الطابق الأول. أي أضواء تشتعل هنا؟ كلا؟ ممتاز، انتقلي للخطوة التالية.
2. تفقد غرفة المعيشة / المطبخ / غرفة الطعام. أي أضواء تشتعل هنا؟ كلا؟ ممتاز. انتقلي للتالي.

3. التوجه بـخطوات ثقيلة صعوداً إلى الطابق العلوي، وتكرار الأمر. تكراره بـغثيان ملل لا ينتهي. ثم تكراره مجدداً.

وكدتُ أُصاب بخيبة الأمل لأن أيّاً من الأضواء لم يكن يشتعل تلقائيّاً من تلقاء نفسه. كان هذا الأمر مجرد.. مخدر للعقل. كنتُ أشبه بـزومبي محروم من النوم، أتحرك بـخطوات متثاقلة ذهاباً وإياباً، ذهاباً وإياباً، وعاجزة عن فعل شيء أكثر من اللاشيء. وبدا الأمر كـنوبة عمل ميتة في مقهى ستاربكس، أحد تلك الأيام البطيئة بـشكل مؤلم والتي تكاد تجعلني أشتاق للزبائن.

ولكن في جولة الدورية السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين، غدت الأمور «مثيرة للاهتمام». كنتُ أصارع للبقاء مستيقظة، وأبث الموسيقى بـصوت صاخب في سماعات أذني، وأفتح عينيّ بـأقصى اتساع ممكن بـشريّاً. كان يتعين عليّ التماسك لـبضع دقائق إضافية فحسب، وحينها سيكون بمقدوري الزحف داخل الفِراش والاستغراق في النوم.

وسِرتُ بـخطوات ثقيلة دالفة إلى رواق الطابق الأول، وتفقدتُ كل غرفة واحدة تلو الأخرى – لا ضوء، لا ضوء، لا ضوء. والتفتُّ عائدة، وانعطفتُ داخل المطبخ، وتسمرتُ مكاني. وفي مكان ما من دماغي، سُجِّل تحذير بـشكل حاد مباغت، كـإبرة تنخز في قاعدة عنقي؛ *نخزة، نخزة، نخزة،* إحساس ملحّ يطاردني بأنني قد أغفلتُ

شيئاً ما. وخفضتُ سماعات أذني، وتراجعتُ بضع خطوات للخلف، وانحنيتُ بجسدي داخل الرواق..

وبـالطبع، عند الطرف البعيد، كان لوح رقيق من توهج أبيض ينسلّ من تحت شق باب غرفة التخزين.

وبـحَنق، سِرتُ بـخطوات حازمة متوجهة إلى هناك ودفعتُ الباب بـقوة لينفتح. واصطدم ضياء ساطع حاد بـشبكيتيّ عينيّ؛ فرفعتُ يدي لأحجب النور وأحمي عيني.

وتطلعتُ حول الأرجاء. وبحسب كل المظاهر، لم تكن الغرفة سوى مجرد خزانة تخزين عادية قديمة. رفوف من الفولاذ المقاوم للصدأ (ستانلس ستيل) عامرة بـالمستلزمات المنزلية: مناشف ورقية، أكياس قمامة، و.. مصابيح كهربائية – عشرات فوق عشرات من المصابيح الاحتياطية داخل علب مربعة صغيرة. وبدا كل شيء في مكانه الصحيح الصائب، باستثناء كيس قمامة أسود لامع، طُوِي بـعناية على الأرض عند قدميّ. وانحنيتُ لـأطبق عليه وأرفعه، و– التقطت نظراتي شيئاً يقبع بجوار مكنسة كهربائية قديمة: قفص معدني قابل للطي، ذو لون أبيض لامع وبضع بقايا متناثرة من القش في داخله. من طراز الأقفاص المخصصة للحيوانات الأليفة الصغيرة؛ الهمستر، خنازير غينيا.. الأرانب؟ ووضعتُ الكيس عائداً فوق الرف. وطفا أخيراً على السطح سؤال نابع من الحرمان من النوم:

لِمَ أنا واقفة داخل خزانة تخزين أساساً؟

وصرخت **جيما** في عقلي، وقذفت بالفيشار قائلة: «*أطفئي الضوء اللعين فوراً!*».

صحيح. والتفتُّ برأسي في كلا الاتجاهين، بحثاً عن مفتاح الكهرباء، لكن لم يكن هناك شيء. فتراجعتُ خطوة للخلف دالفة إلى الرواق، وكان يقبع هناك تماماً، بجوار إطار الباب مباشرة؛ فضغطتُ عليه لأطفئه.

وعاد الظلام ليطبق مجدداً.

وهبطت عليّ موجة من الراحة البالغة الغريبة الفائقة لشدتها. صدى لذلك الشعور السالف، ولكنه كان أقوى بعشرة أضعاف. كشيء لم أختبره طوال حياتي قط؛ كصعقة مبهجة من الدوبامين الخالص غير المصفى، حُقِنت مباشرة داخل مجرى دمي. وكأنني نجوتُ للتو من هجوم دب شرس في اللحظة الأخيرة تماماً، وقفزتُ داخل قطار عابر قبل ثانية واحدة من أن تنال مخالب الوحش كاحلي وتنتشله. والآن، أنا واقفة على العربة الأخيرة للقطار، أمضي راحلة نحو الأفق ومغيب الشمس وأنا أراقب الدب وهو يتضاءل، ويتضاءل في المدى البعيد؛ يغدو أصغر، فأصغر، حتى غاب وتلاشى.

وأخرجتُ زفيراً طويلاً، واستنشقتُ الهواء بعمق. واسترخى كل شد وتوتر في جسدي – ومزيد من الضغوط التي لم أكن أدري حتى

أنني كنتُ أحتجزها تلاشت وذابت كـالزبد فوق شريحة توست ساخنة، ولكن.. ماذا لو كان الدب يلتف عائداً حول المحطة التالية؟ ماذا لو دلفتُ لأجده بانتظاري مرتدياً مريلة مقلمة ويقبض على أدوات مائدة عملاقة؟ ماذا لو.. ماذا لو كان الضوء قد ظل مشتعلاً لفترة تتجاوز الثلاث دقائق؟

وأنين وجع وتذمر صدر مني. لعله يجدر بي التوجه للفِراش فحسب، والتعامل مع الأمر في الصباح؛ فبـالواضح لم أكن في حالة عقلية منتجة أو صائبة، ولكن..

ورجع صدى صوت غريس يتردد في رأسي: «*مكافأتكِ البونص ستعتمد على مدى براعتكِ في اتباع الطقوس الروتينية.. الروتينية.. الروتينية..*».

أكان هذا اختباراً؟ هل قامت غريس بـطريقة ما بـتشغيل الضوء عن بعد؟ هل كانت تراقبني عبر الكاميرات، لتقييم مدى امتثالي وطاعتي؟ لم تكن لتغدو بـهذا الجنون، ولكن.. كم كانت الساعة في فلوريدا على أي حال؟ كانت الرابعة ودقيقة واحدة صباحاً هنا، وهذا يعني أن–

وكبحتُ جماح نفسي، لـأركز على المهمة القابعة بين يدي: *كم من الوقت ظل الضوء مشتعلاً؟* وسحبتُ تطبيق "رينج" على هاتفي، وفتحتُ قائمة الكاميرات، ونقرتُ على: «رواق الطابق الأول». وانتقلت الشاشة فجأة لـتعرض رؤية ليلية، بـمنظور عين السمكة

وبـدقة وضوح ممتازة بـشكل مفاجئ. وكنتُ هناك، واقفة عند طرف الرواق في الوقت الفعلي؛ وكان عنقي منحنياً بـزاوية حادة، ووهج شاشتي يجعلني أبدو كـمخلوق "غريملين" صغير ذي شعر مجعد أشعث يلتوي في عمق الظلام. فـقوّمتُ طريقة وقفتي واعتدلتُ.

وتطلعتُ لأعلى وحولي حتى رصدتُ ولمحتُ ذلك الضوء الأزرق الوامض؛ الكاميرا، المستقرة في زاوية السقف حيث يبدأ الرواق.

ومستعينة بـإبهامي، سحبتُ الشريط الزمني للمقطع المصور عائدة بـالزمن إلى الوراء، لـيستقر عند الساعة الثالثة وخمس وخمسين دقيقة صباحاً.

11
سبع ثوانٍ

تركتُ اللقطات المصورة تعمل على تطبيق «رينج». مرّت ثلاثون ثانية جيدة من لقطات الرواق الخالي، حتى دخلت «مايسي» من الماضي إطار الصورة وهي تترنح في سيرها هابطةً الرواق، بالكاد مستيقظة.

وبينما كانت تمضي، تفقدت كل غرفة واحدة تلو الأخرى – ناظرة لأسفل عند شق كل باب. وفي نهاية الرواق، أطلقت إشارة «إبهام للأعلى» صغيرة لم أكن أذكرها سوى بنصف وعي، ثم بدأت طريقها عائدة باتجاه الكاميرا. تمايلت خارج إطار الصورة، ثم.. في الساعة **3:56:35 صباحاً** بالضبط، بعد ما لا يزيد عن ثانية واحدة من خروج «مايسي» السابقة من الرواق، اشتعل ضوء غرفة التخزين تلقائياً من تلقاء نفسه. خط رفيع من بكسلات بيضاء ساطعة تحت الباب.

تحرك إحساس مريض في أحشائي – كأن طفيلياً ما قد تململ في نومه، واصطدم بعمودي الفقري. نظرتُ نحو خزانة التخزين الحقيقية بجواري مباشرة. تراجعتُ بحركة غريزية نحو غرفة المعيشة، وعيناي تومضان عائدتين نحو هاتفي بينما أتحرك. *«إنه*

مجرد *خلل كهربائي آخر في توقيت سيئ*،» قلتُ لنفسي. «*مجرد توقيت غريب فحسب*».

على الشاشة، ظل الرواق خالياً، والضوء تحت باب غرفة التخزين لا يزال يتوهج ساطعاً. سحبتُ الشريط للأمام. ثلاثون ثانية. دقيقة، و..

ظهرت نسختي السابقة فجأة في منتصف الإطار. أعدتُ الشريط للوراء حتى لحظة دخولها: **بعد سبع وعشرين ثانية من الساعة 3:57 صباحاً**. متبقية دقيقة وثمانٍ وخمسون ثانية على تفويض الدقائق الثلاث. كانت تتحرك ببطء غبي ومستفز. يا إلهي، شعرتُ وكأنني **جيما**، أصارع كبح الرغبة في إطلاق وابل من الشتائم والبذاءات نحو الشاشة. «مايسي» السابقة، الغافلة تماماً عن ضوء غرفة التخزين الذي بات صارخاً بوضوح الآن، تفقدت كل غرفة واحدة تلو الأخرى، ثم، متوقفة قبل تفقد الضوء الوحيد الذي كان مشتعلاً، استدارت تلك الغبية الحمقاء السخيفة، وجرت نفسها عائدة لأعلى الرواق، واختفت مجدداً عن الأنظار. كبحتُ صرخة مفعمة بالغضب.

انقضت خمس ثوانٍ حتى انحنت «مايسي» ببطء للخلف داخل الإطار، وأخيراً، رأت ضوء غرفة التخزين.

متبقي سبع وثلاثون ثانية..

أسرعي يا مايسي. أسرعي. انتفضت خارجة من ذهولها، وسارت بـخطوات حازمة هابطة الرواق، وفتحت الباب بـقوة، و.. وقفت هناك لا تفعل شيئاً.

صرخ كل صوت في رأسي في وقت واحد: *أطفئي الضوء اللعين.*

متبقي خمس عشرة ثانية.

بـبطء، وبـبطء شديد، انحنت «مايسي» للأمام، والتقطت كيس القمامة المطوي بـعناية، ثم وضعته على الرف.

متبقي خمس ثوانٍ.

ظلت واقفة هناك، تحدق في الفراغ، حتى.. انفجرت في حركة سريعة، وتخبطت بحثاً عن مفتاح الضوء، و.. *طق.* غرقت غرفة التخزين في الظلام.

سبع ثوانٍ إضافية تجاوزت تفويض الدقائق الثلاث.

12
تدني الأداء

في حال كنتم أغبياء بما يكفي لتفشلوا في هذه المهمة، افتحوا الظرف. سيقدم لكم تعليمات إضافية

***

ثلاث دقائق وسبع ثوانٍ.

ظل الضوء مشتعلاً لثلاث دقائق وسبع ثوانٍ. سبع ثوانٍ تجاوزت الحد المسموح به.

سبع ثوانٍ كاملة.

الأفكار تتردد، الأفكار مجرد ضجيج في الخلفية، الأفكار هي...

ثلاث دقائق وسبع ثوانٍ.

*لقد أفسدتِ الأمر يا **مايسي**. أفسدتِ كل شيء كما تفعلين دائماً.*

ثلاث. دقائق. سبع.

ثوانٍ.

مرة أخرى، التوى ذلك الرعب الغريب في أحشائي، أقوى من ذي قبل. كأنني اقترفت شيئاً بغيضاً أخلاقياً، شيئاً دنيئاً وملوثاً، شيئاً يخالف نظام الطبيعة ذاته. لماذا شعرت بهذا السوء البالغ؟

كان مجرد ضوء.

أجل، لقد عرضت مكافأتي للخطر بسبب زلتي، لكن كما أخبرتني **غريس**: «بالإضافة إلى مكافأة قدرها ثلاثة آلاف دولار، اعتماداً على مدى التزامك بالروتين المتبع».

تركت تلك العبارة مجالاً واسعاً للمناورة. فخطأ بسيط هنا أو هناك لا يلغي أحقيتي بها.

لا، كان الأمر أعمق من مجرد المال، كان صوتاً لنذير شؤم، يهمس لي بأن ربما -ربما فقط- كان **ديفيد كارنسويل** محقاً بالفعل. ربما كان ثمة شر يتجاوز حدود المنطق يقطن في هذا المكان حقاً، وربما كنت أنا الحاجز الوحيد الذي يقف بينه وبين بقية البشرية و...

جززت على أسناني، وطردت تلك السخافات. لقد تمكنت **جيما** مني مجدداً، هذا كل ما في الأمر. لا وجود لأرواح شريرة، ناهيك عن أرواح تبقيها بعيدة أشياء تافهة كمفتاح ضوء. كنت قلقة فقط بشأن المكافأة، هذا كل ما كان يعنيه هذا الشعور: التهديد المألوف للخراب المالي. شبح «مرفوض - رصيد غير كافٍ».

إذا أردت الحفاظ على مكافأتي، كان عليّ فتح تلك الرسالة الغبية واتباع أي تعليمات سخيفة بداخلها.

رائع.

مستسلمة لقَدَري، توجهت نحو الثلاجة، وقفت على أطراف أصابعي، وأنزلت الصينية الخشبية. وضعتها على الطاولة،

وأشعلت ضوءاً قريباً، وبدأت في تصفح ما بداخلها. كانت الصينية تعج بمتفرقات عشوائية: إيصالات قديمة، ومصباح يدوي، وولاعة خضراء زاهية، وسوار **(حياة صحية)**، ومحشورة أسفل منشور لمؤسسة خدمات جنائزية، ثلاثة مظاريف مربوطة بشريط مطاطي أحمر.

رفعت المظاريف وترددت؛ إذ كانت هناك سكين قابلة للطي مطلية بالكروم مستقرة تحتها. عقدت حاجبيّ. مددت يدي وأحضرتهما إلى الضوء. كان المقبض بارداً عند اللمس. عكس الكروم وجهي، مشوهاً وضيقاً كأنني أعصر عبر قشة. مررت إبهامي فوق السطح المعدني الأملس، أتحسس الزر حتى — نقرة — خرج النصل مع صوت طقطقة قوي ومرضٍ. كانت محفورة على جانبها أحرف أولية:



هل هو شيء يخص **كارنسويل؟**

بسكين في يد، ومظاريف في الأخرى، مشيتُ نحو المقعد الجلدي البني، وهويتُ جالسةً عليه، ثم أوقدتُ مصباحاً. وضعتُ الرسائل على طاولة القهوة، جنباً إلى جنب.

«في حالة الضوء» — «في حالة الأرانب» — «في حالة الطوارئ».

رفعتُ المظروف المكتوب عليه «في حالة الضوء». ثم، ببطءٍ جراحٍ دقيق، أدخلتُ النصل في طية المظروف، حذرةً ألا أمزق الورق. بدا لي الخطاب ذا أهمية غريبة في يدي، بل ومقدساً حتى. حركتُ النصل بتمهلٍ وعناية فائقة حتى انفتح المظروف. في الداخل كانت ثمة ورقة مطوية. بسطتها على طاولة القهوة و... كانت فارغة. قلبتها. فارغة...

قربتها أكثر من الضوء ورأيتُ، في منتصف أعلى الصفحة بخط أزرق دقيق:

الردهة

فحصتها مرة أخرى، وتحققتُ من الجانب الآخر. لا شيء.

أهذا كل شيء؟ التفتُّ في مقعدي ونظرتُ عائدةً نحو «الردهة». وضعتُ الورقة والسكين على طاولة القهوة، ونهضتُ من الكرسي، ومشيتُ بخطواتٍ وئيدة. عند العتبة، أطللتُ برأسي من حول الزاوية. كانت الردهة كما كانت دائماً. ركنٌ ضيق يضم مقعد أحذية، وطاولة جانبية، وعلاقة المعاطف الفيكتورية القديمة.

خطوتُ للأمام وتحققتُ من الباب الأمامي — كان موصداً. جيد.

حدقتُ عبر لوح الباب الزجاجي، ومسحتُ الغابة ببصري. كانت مظلمة بشكل خانق. والمصدر الوحيد للضوء، بخلاف القمر، كان

ذلك المصباح في نهاية المنعطف. لم تكن الشاحنة البيضاء موجودة في أي مكان. فركتُ عنقي، أُدلك عقدةً عنيدة تحت أذني. كنتُ على وشك الالتفات، حين...

في الخارج، عند قاعدة الدرج الخرساني، اشتعل ضوء الاستشعار الحركي فجأة. أبيض صارخ، كفلاش كاميرا متجمد في الزمن. منح الوهج الحاد كل نتوءٍ بسيط ظلاً أسود فاحماً: تلال صغيرة في ممر الحصى تلقي بأصابع مدببة نحو الغابة.

بقيتُ معلقة، جسدي بلا حراك، وعيناي تفتشان بذهول عما أطلق ذلك الضوء. لم يكن هناك أي شيء يمكنني رؤيته.

تخيلتُ مخلوقاً من احد كرنفالات عروض المسوخ، مسلوخ الجلد يختبئ خلف الزاوية، يداه مرفوعتان إلى فمه، يقضم أظافره الطويلة، يستعد لاستعادة جلده بترقب شرير مبتهج، حين... قفز أرنب.

مخيب للآمال، بالطبع، لكن في سياق كل شيء — جعلني هذا أكثر توتراً. لم يكن هذا الأرنب أبيض، بل كان مزيجاً مرقطاً من البني والأسود. قفز إلى قاعدة الدرج وانكمش في مكانه، ككرة صغيرة من الفراء. فجأة، انتصبت أذناه للأعلى، ووثب على قائمتيه الخلفيتين. نظر نحو الغابة.

مسحتُ الغابة ببصري، أحاول رؤية ما كان ينظر إليه، لكن لم يكن هناك شيء في الخارج، لا شيء بين أعمدة الأشجار المظلمة، لا شيء أستطيع رؤيته على الأقل.

انطلق الأرنب هارباً، متسارعاً عبر الممر ومثيراً الحصى خلفه.

انطلق بسرعة عبر المنعطف واختفى عن الأنظار.

انطفأ ضوء الاستشعار الحركي فجأة. وعاد الظلام.

مرة أخرى، ترددت كلمات **ديفيد** الغامضة في رأسي: إن فشل طقس ما غالبًا ما يؤدي إلى فشل الطقس التالي.

هل كان ضوء غرفة التخزين هو السبب؟

وبختُ نفسي لأن هذه الفكرة راودتني أصلاً. بالتأكيد، كانت حالة أخرى من التوقيت الغريب، لكن كان هناك الكثير من الأرانب هناك بالخارج. هززتُ رأسي والتفتُّ مغادرةً. *فقط اذهبي للنوم يا* ***مايسي****.*

ربما يجدر بي التحقق من جميع الأقفال أولاً، رغم ذلك. فقط لأكون في أمان.

13
الشعور بالراحة

كما قد تكونوا لاحظتم، هناك الكثير من الأرانب الشاردة هنا. وحتى مع إغلاق جميع أبوابنا، تستمر هذه الجرذان ذات الآذان الطويلة في إيجاد طريقها إلى الداخل. إذا رأيتم واحداً منها في محيط خمسين قدماً تقريباً من المنزل — يجب عليكم قفل جميع الأبواب التي تؤدي إلى الخارج. لسبب ما، لا تسألوني لماذا، يبدو أن ذلك يساعد في إبقائها بعيدة.

***

تحققتُ من الباب المؤدي إلى المرآب أولاً. نعم، لا يزال موصداً. شعور بالارتياح. تحققتُ من باب الفناء بعد ذلك. أجل، لا يزال موصداً أيضاً. ارتياح. لحظة، هل قفلتُ الباب الأمامي؟ نعم، بالطبع فعلت، حرفياً قبل ثلاثين ثانية. أم أن هذه كانت مجرد الطريقة التي أتذكر بها الأمر؟ ربما كانت ذكرياتي تكذب عليّ. أو ربما كان موصداً، وقمتُ أنا -بغبائي- بفتحه.

دببتُ بقدمي نحو **الردهة**، وأطللتُ برأسي من حول الزاوية. حسناً، إنه موصد. لحظة، هل يعني الوضع الأفقي أنه موصد، أم ينبغي

أن يكون عمودياً؟ اقتربتُ واختبرتُ المقبض. موصد. ارتياح. حسناً، جميع الأبواب المؤدية إلى الخارج موصدة. ولكن ماذا عن باب الفناء؟

*يا **مايسي**. لقد قفلتِهِ للتو أيتها الغبية.*

نعم، أعلم ذلك، ولكن... ماذا لو لم أفعل؟

كان الأمر يخرج عن نطاق السيطرة. لم يعد مجرد جنون ارتياب، أو على الأقل ليس جنون ارتياب اختبرته من قبل. شعرتُ كأنني مدمنة، أطارد دفعات صغيرة من الدوبامين في كل مرة أتفحص فيها قفلاً. ارتياح، ارتياح، ارتياح.

علاوة على ذلك، بدأت تلك الأفكار التطفلية والمتكررة تبدو كأنها خيوط زجاجية هشة، تنبت داخل عقلي، وتتداخل مع بعضها. لو تجاهلتها، وتركتُ تلك الأقفال دون تفحص، لتحطمت تلك الخيوط، ولانغرست شظايا زجاجية لا تحصى بشكل دائم داخل رأسي مثل بريق رخيص الثمن. ما الذي كان بحق الجحيم خطأً بي؟

الحرمان من النوم، ذكّرتُ نفسي. إنه مجرد نقص في النوم يا **مايسي**، اخلدي للراحة قليلاً. ستعودين لطبيعتك في الصباح.

ومع ذلك، ربما -ربما فقط- لم أغلق باب الفناء. أطلقتُ أنيناً مكتوماً من الإحباط. حملتني قدماي عائدة عبر غرفة المعيشة، وخلال المطبخ، ووصولاً إلى باب الفناء. موصد. ارتياح.

حسناً. انتهيت. سأتحقق من المرآب، مرة أخيرة، فقط لأكون متأكدة، ثم سأذهب إلى الفراش.

بينما كنتُ أتحرك عائدة عبر غرفة المعيشة، التقط طرف عيني شيئاً ما. توقفتُ في مكاني تماماً. الرسالة. كانت لا تزال مستقرة حيث تركتها، تحت وهج المصباح على طاولة القهوة. لكن الآن، أصبح الجانب الذي كان فارغاً مغطى بالكلمات...

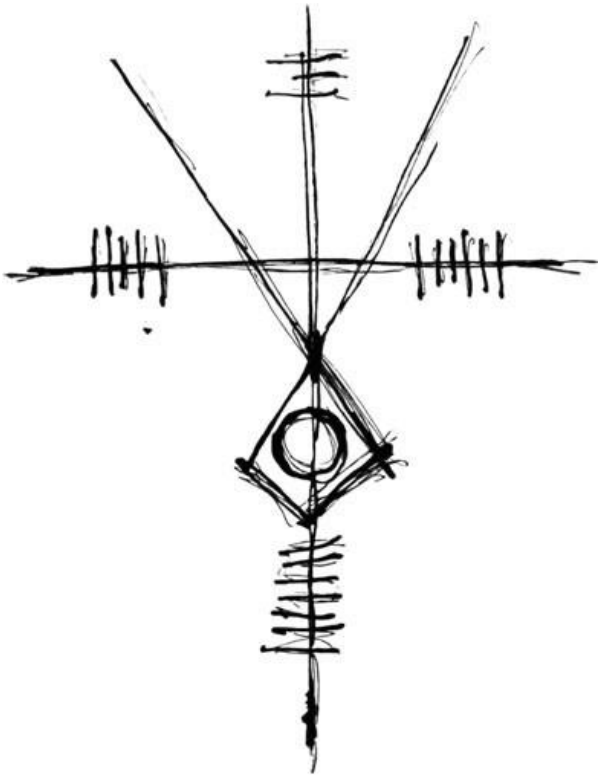
شعرتُ بالدماء تنسحب من وجهي. وشعرتُ بجلدي يبرد.

سرتُ نحوها، ومددتُ يدي نحو الرسالة، ثم توقفتُ فجأة. كيف وصلت الكلمات إلى هناك؟ حبر سري متأخر؟ شيء لا يظهر إلا عند تعرضه للهواء؟ هل كان ذلك أمراً موجوداً أصلاً؟

بحذرٍ، رفعتُ الرسالة، وقلبتها، وبدأتُ في القراءة.

14
في حالت الأضواء

إن كنتم تقرأون هذا، فهذا يعني أنكم قد فشلتم في أداء الطقس الأول.
(إذا كنتم تقرأون هذا دون أن تكونوا قد فشلتم، فتوقفوا عن القراءة الآن. أعيدوا الرسالة إلى المظروف وأغلقوه بإحكام فوراً) .
بسبب فشلكم، ستواجهون انتكاسة متوسطة في حياتكم الشخصية في مرحلة ما خلال الأربع وعشرين ساعة القادمة. لا أستطيع تحديد ماهيتها بالضبط، فهي تختلف من شخص لآخر، لكنها بالتأكيد لن تكون سارة. من الآن فصاعداً، كونوا على حذر، إذ أصبحت الأرانب أكثر عرضة للظهور.
(من المرجح أن يرن الهاتف أيضاً، لذا كونوا متيقظين) .
بخلاف ما سبق، لن تكون هناك أي تعليمات إضافية، ما لم تُقدَّم لكم عبر رسالة أخرى، أو مكالمة هاتفية.



لعل الإله الأخير الصامد

يُرشدنا برفق كي نعود إلى النوم...

15
غادرى **فوراً**

خفضتُ الرسالة وعقدتُ حاجبيّ. حلَّ الارتباك، بل وحتى الانزعاج، محل شعوري بعدم الارتياح. *أهذا كل شيء...؟ سأواجه «انتكاسة متوسطة» في حياتي الشخصية؟* وكما قد تقول **جيما**: *أنا أرتجف رعباً.*

طويتُ الرسالة، وأعدتُها إلى مظروفها، ووضعتها في الصينية. وقفتُ هناك عند طاولة المطبخ، مكتوفة اليدين. *«لعل الإله الأخير الصامد يرشدنا برفق كي نعود إلى النوم»*. أخرجتُ هاتفي وبحثتُ عن العبارة في جوجل. لم يظهر شيء. جربتُ «الإله الأخير الصامد» وحدها بين علامتي تنصيص. حرفياً، صفر من النتائج. *يا للهول.* كان **ديفيد** أكثر جنونًا مما كنت أتصور.

وماذا عن الحبر الذي يظهر كالسحر؟ قاطعتني **جيما**. *وماذا عن الرمز ..*

إنه مجرد رمز غريب يا **جيم**. *لا يثبت شيئاً.*

تابعت **جيما**: *يمكن للشيطان نفسه أن يظهر، وستقنعين نفسكِ بالتلاعب العقلي بأنه مجرد خدعة ضوئية. في أفضل الأحوال، كان* **ديفيد** *زعيماً لطائفة مجنونة. تباً، من المحتمل أنه لا يزال حياً، يعيش داخل الجدران و ..*

بجدية يا ***جيم؟*** *هذا ليس ..*

اخرجي، الآن، بل منذ الأمس! صرخت فوق قطار أفكاري، مغرقةً كل منطق آخر. كل شيء كنت أتناساه، كبيراً كان أم صغيراً، اندفع إلى السطح كحشد من العناكب تتسلق خارج حفرة مظلمة: الضوء الذي اشتعل من تلقاء نفسه في اللحظة ذاتها التي غادرتُ فيها الردهة، الدوافع القهرية لتفقد الأقفال، «سلوك القطط الغريب». كل شيء.

دخلتُ إلى تطبيق **أوبر**.

لا توجد رحلات متاحة في منطقتك في الوقت الحالي.

تحققتُ من جدول حافلات **كوستال كونيكتور** .. الرحلة القادمة لن تكون قبل خمس ساعات. سرتُ ذهاباً وإياباً نحو النافذة، حدقتُ في الممر الطويل المتعرج، وقضمتُ ظفراً. *ربما يمكنني المشي إلى مركز النقل، وانتظار انقضاء الوقت في البرد ..*

يا ***مايسي،*** *توقفي.*

تدخل صوت «العقل» الخاص بي: *أنتِ تصنعين من الحبة قبة. هذا، كل هذا، ليس سوى أوهام رجل عجوز. وإذا غادرتِ الآن، فأنتِ تتخلين عن ستة آلاف دولار..*

يا ***مايسي،*** *لا تستمعي إليها. إنها غبية وهذا المنزل مسكون و .. اخرسا بحق الجحيم، كلتاكما.*

أطلقتُ أنيناً محبطاً — كنتُ بحاجة إلى النوم، ومعرفة كل هذا لاحقاً. تباً، حتى لو كان هذا المنزل ملعوناً بلا شك، فمن المحتمل أن الأجر يستحق كل هذا العناء. تحققتُ من الوقت — 4:23 صباحاً — صعدتُ متثاقلةً نحو الدرج، وتوقفتُ في منتصف الطريق. نظرتُ من فوق كتفي، نحو **الردهة**. *ربما يجدر بي تفقد تلك الأقفال، مرة أخيرة فقط. أجل، مجرد تفقد أخير للأمان.*

ثم سأذهب إلى النوم.

16
أفكار سيئة

بعد جولة أخيرة من تفقد الأقفال .. ارتياح، ارتياح، ارتياح ..
زحفتُ عائدة إلى سريري المريح بشكل مستفز. تقلبتُ على جانبي الأيسر. كان اللحاف الأحمر والأبيض لا يزال مسجى فوق هاتف القرص — شبح صغير مربعات المظهر يطل من فوق حافة المرتبة. تقلبتُ على جانبي الأيمن، أغمضتُ عيني، وحاولتُ الخلود إلى النوم.
تآمرت أصوات المنزل لإبقائي مستيقظة. أنبوب قديم يقرقع في مكان ما في السقف. غصن شجرة بلوط نحيل يخدش النافذة. و... دُ-دُم... حتى **براوني** القط. رغم أنني كنت سأعاني لأنام بغض النظر عن هذه الأصوات. بغض النظر عن كل شيء آخر يحدث.
الأفكار السيئة تأتي دائماً قبل النوم.
أفكار تجعلني أتمنى لو لم أكن قادرة على التفكير على الإطلاق. الندم والمخاوف وما كان يمكن أن يكون. في معظم الليالي، الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها النوم هي إقناع نفسي بأن هذه النسخة مني ستتلاشى من الوجود، وستكون **مايسي** الغد مضطرة لتولي زمام الأمور. **مايسي** نسخة طبق الأصل. مثقلة بكل ذكرياتي، وبكل إخفاقاتي، متروكة لتتعامل مع الفوضى التي تركتها ورائي. يا

للمسكينة. لكن، مثلي تماماً، لن تضطر سوى للتعايش مع الأمر ليوم واحد. الخلود إلى النوم، التلاشي في الليل، ترك مشاكلها لـ **مايسي** الغد، تكرار، تكرار، تكرار.

الأفكار السيئة تأتي قبل النوم. لكن أسوأ الأفكار تأتي في الصباح.

في الصباح كانت هناك دائماً تلك اللحظة، ذلك الحد غير الواضح بين النوم واليقظة، حيث أشم رائحة الوافل والقهوة، وأسمع أبي يغني أغاني قديمة بنغمة خاطئة، و**جيما** تضحك. كل شيء كما ينبغي أن يكون. كنتُ في منزلي، في وطني، وكانت السنوات الثلاث الماضية مجرد كابوس، أوه، حمداً لله، حمداً لله، حمداً لله.

في بعض الصباحات كنت أستلقي هناك، أبقي عيني مغلقتين لأطول فترة ممكنة، متظاهرة بأن كل شيء حقيقي. لكن عاجلاً أم آجلاً، كنت أعود دائماً إلى الواقع، أجد نفسي على سرير نقال متداعٍ، أحدق في شفرات مروحة سقف معطلة، وسيموت أبي مرة أخرى. مات أبي منذ ثلاث سنوات، ومات أحد عشر مئة وسبعاً وعشرين مرة منذ ذلك الحين.

انهضي من السرير، ارتدي ملابس العمل، أحمر، أزرق، اغسلي أسنانك، أحمر، أزرق، اركبي الحافلة، أحمر...

ثم أقضي بقية اليوم في انتظار تكرار النمط نفسه. سيموت أبي مرة أخرى غداً. وفي الصباح التالي لذلك. والذي يليه. لكنها لم تكن مشكلتي. ليس بعد الآن. لقد كان صليباً تحمله **مايسي** الغد...

وهذا الوعد، إلى جانب حبة أو اثنتين من «زوبيكلون» غير الموصوفة طبياً، سيقودني بلطف إلى النوم.

17
الحشرات المفيدة

ظلام. ضوء أحمر. ضوء أزرق. جزازة عشب. شاحنة بيضاء.
ظلام. رائحة كلور نفاذة. سجادة زرقاء مائلة للخضرة. ظلام ..
يتململ **أبي** مستيقظاً، ويدي الصغيرة تقبض على ساعده. يفرك عينيه، يلقي نظرة على الوقت:
2:57 صباحاً.
يشعل مصباحه الجانبي. شعره البني المجعد أشعث، ويرتدي قميصاً قديماً لفرقة «فليتوود ماك». تقف **جيما** خلفي عند المدخل، متمسكة ببطانية «سوبر ماريو». أعانق وسادتي. كم عمري الآن؟ تتحول الوسادة إلى أرنب محشو، بعيون من أزرار خضراء، وفراء خشن (دوك).
أخبر **أبي** أن هناك عنكبوتاً في غرفتنا.
يندفع خارج السرير واقفاً، ويهز شعري. «حسناً يا صغيرتي» يتنهد. «قودي الطريق.»
كان العنكبوت يبني شبكة في زاوية سقف غرفتنا. مباشرة فوق مسند الرأس للسرير العلوي. بأرجل حادة ورفيعة، تتسلق بين الكواكب والنجوم التي تضيء في الظلام. كان مجرد عنكبوت منزلي، لكنه بدا بطريقة ما أكبر من طبق العشاء.

«حسناً» يقول **أبي**، دون أدنى أثر للخوف في صوته. يتجه بخطوات متثاقلة إلى الحمام ويعود بكوب فارغ. يخطو نحو مكتبنا الصغير للفنون ويمسك بقطعة من ورق الإنشاءات أخضر ليموني. صار العنكبوت صغيراً الآن. لم يضطر **أبي** سوى للوقوف على أطراف أصابعه ليصله. يضع الكوب بحذر فوق العنكبوت، ثم يسحب الورقة من تحته. يبدأ في العودة عبر الغرفة.

تسأل **جيما** :

«هل يمكنني الرؤية؟»

يومئ **أبي**. ينحني على ركبته. نتجمع أنا و**جيما** حوله. يتخبط العنكبوت بجنون داخل الكوب، كأنه يحاول تحطيمه. أستطيع سماع أقدامه الصغيرة وهي تطرق زجاج الكوب: *تين-تين-تين*.

يقول **أبي**:

«إنها خائفة منا أكثر مما نحن خائفون منها.»

تقول **جيما** :

«إنها؟»

يومئ **أبي** مجدداً، ويخبرنا أن اسم العنكبوت هو «روز».

يعود للوقوف، ويتجه للطابق السفلي. نتبعه عبر غرفة المعيشة، ونخرج من الباب الأمامي، وإلى الشرفة. يبطئ سيره في الممر الذي يقطع العشب الأمامي. يشتعل ضوء استشعار حركي، ناشراً ظله فوق الساحة، وصولاً إلى الشارع. لا توجد حركة مرور. عادة

ما تكون الطريق مزدحمة، حتى في الليل. يجلس **أبي** القرفصاء. يضع ورقة الإنشاءات والكوب على العشب. يرفع الكوب.

لا تتحرك «روز» العنكبوت. لذا يهز **أبي** الورقة برفق حتى تسرع مبتعدة. يبقى هناك جاثماً، يراقب رحيلها. كان يرتدي الآن سترة المطر، وبنطال جينز بالياً، وحذاء عمل ملطخاً بالعشب.

تبدأ أضواء حمراء وزرقاء بالوميض عبر الساحة، لكن لا توجد سيارات شرطة في الأفق. لا يبدو أن **جيما** و**أبي** يلاحظان ذلك.

تسأل **جيما** :

«ماذا لو عادت "روز" إلى الداخل؟»

يدفع **أبي** ركبتيه ليقف.

«حينها سنخرجها مجدداً.»

أسأل لماذا لم يسحقها وحسب.

يبتسم **أبي** بابتسامة متسلية.

«لأن العناكب هي..»

لجزء من الثانية، يصبح كل شيء مظلماً. وعندما يعود الضوء، تكون **جيما** و**أبي** قد اختفيا. تُركتُ وحدي. واقفة على الشرفة الأمامية لمنزل طفولتي، أقبض على (دوك) بقوة بينما أرتجف في هواء الليل القارس.

ينادي صوت **أبي** من الباب المفتوح خلفي: «يا **مايسي**، ادخلي إلى الداخل، ستصابين بنزلة برد.»

أحاول الالتفات، لكن ساقي لا تتحركان. لا أستطيع سوى تحريك عيني. أحاول النظر خلفي، أحاول رؤية **أبي** مرة أخرى. تجهد عيناي نحو أقصى زواياهما، بألم، محدقة في ظلام ضبابي.

«**مايسي؟**» يكرر **أبي**.

أحاول الكلام، طلب المساعدة، لكن لا يخرج سوى أنين. يزداد الهواء برودة، ويغرز مخالبه في جلدي، حارقاً.

تقترب خطوات **أبي** الثقيلة. تزداد آمالي. ربما سيحملني إلى الداخل، ربما سينقذني. يبطئ سيره حتى يتوقف خلفي مباشرة، يقف هناك للحظة، ثم يطلق شهقة رعب. «يا إلهي... لا، لا، لا...» يتصاعد بخار أنفاسه عالياً فوق رأسي. أستمر في محاولة تدوير عنقي، لأرى ما خلفي، لأصرخ طلباً للمساعدة، لكن..

يصفق **أبي** الباب بقوة .. يدور القفل، وتتراجع خطواته المكتومة بعمق داخل المنزل. وفجأة، عندما ظننت أنه أكثر شيء فظيع سمعته على الإطلاق...

ينساب صوت آخر إلى وعيي .. شهيق متوتر ومتهدج. يرافقه قعقعة حلقية، كأنها علبة طلاء بخاخ فارغة تُرج. تتجه عيناي للأمام. يقف كيان شاهق في وسط ساحتنا الأمامية — شاحب ونحيل — ملامح هيكلية محددة بشكل مرعب في وهج ضوء الاستشعار الحركي الواضح.

إنها امرأة عجوز، لا، ليست عجوزاً، إنها قديمة. هزيلة لدرجة أن جلدها الشاحب يبدو ملتصقاً بعظامها كما لو كان مفرغاً من الهواء. تقف وظهرها نحوي، ذراعاها متدليتان بجانبيها، عارية تماماً، باستثناء...

ملفوف حول رأسها كيس بلاستيكي، أسود ولامع ..

شريط لاصق أحمر ساطع يثبته في مكانه حول عنق ضامر. ومع كل زفير تطلقه، يتوسع الكيس ببطء مثل رئة مكشوفة...

تستنشق، فينكمش الكيس، وينطبق بإحكام حول شكل جمجمتها.

زفير متهدج آخر، يتوسع الكيس...

تستنشق، ينكمش الكيس...

يتدفق الرعب، نقياً وبارداً، إلى أطراف جسدي كمعدن سائل ..

يغلف أوتاري وعظامي، يتصلب، ويبدأ في الانقباض. مجدداً، أحاول الالتفات نحو الباب، أحاول الصراخ لـ **أبي**، لكن لا أستطيع فتح فمي. لا أستطيع الحركة. لا أستطيع حتى رمش عيني.

يزداد تنفس المرأة المتهدج سرعة، وكل شهيق متهدج أقصر من الذي قبله. وتبدأ ذراعاها بالارتفاع، بوصة تلو الأخرى، حتى تصبحا موازيتين للأرض. تقف هناك، بذراعين ممدودتين كأنها رُبطت إلى صليب غير مرئي. مع كل نفس متسارع، يتورم قفصها الصدري البارز ضد جلد عديم الدم. جلد مشدود بقسوة، لدرجة أنه قد ينفجر إلى أشلاء — كغلاف بلاستيكي ممتد فوق لحم مفروم

وتظهر أنابيب مجعدة من لحم رمادي مبيض تحتها. أنابيب مجعدة تبدأ بالنبض في تناغم جنيني: *كو-شلَمب، كو-شلَمب، كو-شلَمب*. يرقات. الآلاف منها، تتلوى وتنتفض، تلتهمها من الداخل إلى الخارج باندفاع متعطش. يستمر تنفسها في التسارع، أسرع فأسرع، حتى تصبح في حالة فرط تنفس و..

صمت.

تتوقف عن الحركة، في منتصف النفس. يتردد صوت غريب ورتيب، طنين منخفض من خلال شفاه مغلقة:

ممممممممممممم

يعلو الصوت أكثر فأكثر دون انقطاع. يزداد رعبِي بالتوازي. تترنح نفسيتي، كأنني على وشك السقوط في حفرة من الإبر الصدئة. وطوال الوقت، يستمر ذلك الصوت المريع في الصعود، أعلى وأعلى ..

حتى يتحول إلى صرخة غلاية شاي، تخدش طبلتي أذني كأظافر حادة. تمتلئ الأجواء برائحة الفودكا والكلور، ثم..

يعود الصمت.

تسقط ذراع المرأة عائدة إلى جانبيها، هامدة. تقف هناك، بكتفين منخفضتين، ثم تنهار كبرج من ورق. يصبح جلدها كيس عظام سائبة على العشب المبلل.

لحظة صمت أخرى.

تتعالى صافرة بعيدة في الظلام، ثم تتلاشى.

تبدأ كومة الجلد السائب بالتحرك، والارتعاش وتكوين الفقاعات، كالماء الذي توشك على الغليان. يبدأ شكل بالارتفاع، والجلد يتدلى فوقه كغطاء رقيق ..

العظام تطقطق في أماكنها، وأطراف جديدة تتشكل تماماً. عشرات الأذرع، وعشرات المفاصل. صرخات وأنين من ألم معذب، تعزف حركتها الملتوية، مئات الأصوات المختلفة، و..

لا تنظري.

أغلق جفني بقوة. ظلام. أستمر في محاولة الحركة، أقبض أصابعي، أجهد أصابع قدمي، و..

خلفي، صوت دوران قفل، يصرصر الباب مفتوحاً، وتعود أطراف جسدي إلى الحياة دفعة واحدة ..

ألتف على عقبي، احاول الهرب للداخل، فقط لأتوقف متثاقلة.

الباب الأمامي لمنزل طفولتي لا يؤدي إلى ردهة مألوفة، بل يؤدي إلى ممر مظلم وضيق، غرف مرقمة على كلا الجانبين. فندق قديم. **فندق هاوثورن**. يضربني شعور «ديجا فو» كعاصفة باردة ..

لقد كنتُ هنا من قبل. متى؟ ولماذا؟

في نهاية الممر يوجد باب أبيض — خط رفيع من ضوء أحمر ينزف من تحته، كاشفاً عن أرضية مغطاة بسجادة زرقاء مائلة

للخضرة ـــ مرقعة، وبالية حتى العظام، كجلد المرفق المصنفر حتى العظم.

شيء ما خلفي يتحرك، خطوات متلعثمة، العشرات منها، *طُب*، *طُب*، *طُب* على العشب.

أركض، أندفع نحو ذلك الباب الأبيض، وأقبض على المقبض. موصد. تسربت الأصوات من الجانب الآخر، ناعمة ولطيفة.

صوت **جيما**، صوتي، محادثة مألوفة:

«إلى أين أنتِ ذاهبة؟» تقول **جيما**.

«إلى مكان صديق» تقول **مايسي**.

«متى ستعودين؟»

«... غداً ـــ»

تصمت الأصوات. أطرق الباب الآن، أصرخ، وأولول طلباً للمساعدة. لكن صرخاتي مكتومة، شفتاي ملتصقتان معاً، والجلد يذوب كشمع الشمعة.

خلفي، تبطئ ضوضاء الخطوات المقتربة إلى إيقاع عادي، قدمان تمشيان بنعومة على السجادة. يزداد الهواء برودة. أستمر في الصراخ، غير قادرة على إصدار صوت. أستمر في الطرق على الباب، غير قادرة على ترك أثر، عندما..

تتباطأ الخطوات حتى تتوقف. يتغير الهواء. تتشنج أوتار عنقي، ويبدأ رأسي بالالتفات، لكنني أجبر نفسي على النظر للأمام مباشرة، والتحديق في الطلاء الأبيض المقشر للباب الموصد.

لا تنظري للخلف.

لا تنظري للخلف أبداً.

صوت فارغ يتنفس في أذني، قريب جداً لدرجة أن زفيراً قارساً يلامس شعري، قريب جداً لدرجة أنني أستطيع شم رائحة العفن من داخل أحشائه ..

كالحليب الفاسد ومياه الصرف الصحي المفتوحة.

يهمس الصوت.

«**مايسي مولينز**»

«أنا أعرفكِ...»

18
انتكاسة طفيفة

استيقظتُ مفزوعةً وقد غطاني عرقٌ بارد. كان الكابوس لا يزال حياً في وجداني؛ لا أزال أستنشق رائحة التعفن، وأشعر بذلك النَّفَس الجليدي، وأسمع ذلك الهمس المروع:

«أنا أعرفكِ...»

اعتدتُ على الأحلام المزعجة؛ بل اللعنة، لم أكن أحلم إلا بالأحلام المزعجة، لكن لم يكن أيٌّ منها كهذا... كان شعوره أكثر واقعية من حياتي في اليقظة.

طنين. طنين. طنين.

اهتز هاتفي فوق خزانة الملابس القريبة. نفضتُ عني أثر الكابوس، محدثةً نفسي: هذا كل ما في الأمر يا **مايسي**، مجرد كابوس آخر. حلم سيئ فقط. لا شيء أكثر.

مددتُ يدي وأملتُ الشاشة:

تذكير ـ عيد ميلاد أبي غداً

ألم أحذف هذا الإشعار في العام الماضي؟

اخترقت أشعة الشمس الذهبية ستائر النافذة ولسعت زاوية عيني. كم من الوقت قضيتُ في النوم؟ تفقدتُ الساعة: الخامسة وخمس وخمسون دقيقة مساءً. يا إلهي.

قرابة ثلاث عشرة ساعة. هذا ما جنيتُه جراء تناول عقار "زوبيكلون" على معدة فارغة في الخامسة صباحاً.

والهاتف لا يزال في يدي، نهضتُ من الفراش وتهتُ في الردهة، بينما كان الكابوس الرهيب يتلاشى برحمة.

طنين. طنين. طنين. ما الأمر الآن؟

مُتصل غير معروف

إما محصل ديون أو مسوق هاتفي. ولأنني كنتُ أشعر بحدةٍ أكثر من المعتاد، ضغطتُ على «قبول» وصحتُ: «تباً لك!»

ساد الصمت. ثم جاء الصوت: «**مايسي**...؟»

كان رجلاً في منتصف العمر، صوتاً عرفتُه لكنني لم أستطع تحديد هويته تماماً.

قال: «أوه... هذا **جريج**، وسيط التأمين الخاص بوالدكِ.»

«أوه... اعتذاري... لقد ظهر رقمك كـ "غير معروف" لذا أنا...»

«لا، لا بأس، لا بأس، لقد اعتدتُ على ذلك.» أطلق ضحكة متوترة. «على أية حال، هل هذا وقت مناسب للحديث؟»

«بالتأكيد...»

تنحنح **جريج**، وهي حركة كان يفعلها دائماً قبل إخباري بالأخبار السيئة. قال:

«لقد... واجهنا بعض التراجع الطفيف في طلب تعويض والدكِ.»

تراجع طفيف...

تابع **جريج**:

«لا يزال الأمر قيد الدراسة، لكن آخر ما سمعناه هو أن شركة التأمين... تتحرك لرفض صرف التعويض لكِ ولأختكِ.»

انتفخ ذلك الضيق المعتاد بين رئتيّ، مجبراً قفصي الصدري على التمدد. أخذتُ نفساً عميقاً.

«ألم يكن من المفترض أن الأمر منتهٍ؟»

«حسناً، إنه...» توقف عن الحديث، ثم غير مساره. «قد تكون هناك أسباب كثيرة لمثل هذا الأمر. يمكننا إرسال طعن، لكن عليّ أن أكون صادقاً يا **مايسي**، فالأمر... لا يبدو مبشراً، و...»

«**جريج**. لماذا يتراجعون؟» ساد الصمت.

«**جريج**؟»

«يقولون إن أدلة جديدة ظهرت تشير إلى أن مطالبة والدكِ قد تكون غير صالحة... على أية حال، كما قلتُ، إنها... أمور معقدة.»

«**جريج**، فقط أخبرني.»

«حسناً، اه...»

«**جريج**.»

تنحنح مرة أخرى.

«إنهم يشيرون إلى أن رحيل والدكِ ربما كان... إنتحاراً. أو على الأقل... إن حالته العقلية موضع تساؤل.»

«منتحر؟ حالة عقلية؟ يا **جريج**، لم يترك حتى رسالة، هو... هو قاد سيارته إلى النهر! منتحراً!؟» تحدثتُ بغضب، لكنه بدا زائفاً. فاحتمالية أن تكون وفاة أبي... كانت دائماً تتربص في مؤخرة عقلي، لكن كما هو الحال مع أشياء كثيرة، كنتُ أدفعها للأسفل وأرفض الاعتراف بها. أبي لم يكن ليتركنا أبداً. ليس باختياره. أبداً. حتى لو اعتقد أن ذلك سيمنحنا مبلغ تأمين كبيراً.

أبي لم يكن ليفعل ذلك.

أبي لم يكن ليفعل ذلك. أبي لم يكن...

قبل أن تسحبني أفكاري إلى دوامة، انفصلتُ عن الواقع - ضغطتُ على «زر الخروج للطوارئ». قُذفتُ من رأسي مثل طيار من مقاتلة مدمرة. راقبتُ كرة اللهب وهي تدور في الهواء من مسافة بعيدة. لم يكن هذا يحدث لي، بل كان يحدث لنسخة كربونية من **مايسي**. سوء حظها، لكنه ليس مشكلتي. كنتُ مجرد متفرجة، أطفو بعيداً بأمان.

قال **جريج**:

«يا **مايسي**، أنا... أستطيع تفهم إحباطكِ، لكن مع إفلاس شركة والدكِ قبل أسابيع فقط من الحادث، وتاريخه مع الاكتئاب، ومحاولته السابقة. الأمر فقط...»

سمعتُ صوتي يسأل :

«محاولة سابقة؟» المزيد من الصمت.

«أوه... أوه، أنا آسف، ظننتُ أنكِ تعرفين، أوه تباً.»

«**جريج**، ما هي المحاولة السابقة؟»

«حقيقةً لا ينبغي أن أقول المزيد.»

«**جريج**.»

توقف **جريج** قليلاً.

«كانت قبل أن ينجبكِ بوقت طويل.» ساد صمت رهيب.

تكلم **جريج** أخيراً :

«... أنا آسف حقاً يا **مايسي**، ظننتُ أنكِ على علم.» لم أستطع الرد.

«**مايسي**؟» طقطق صوته من السماعة، لكنني كنتُ بالكاد أستمع. في الواقع، كنتُ قد أنزلتُ هاتفي منذ حوالي خمس ثوانٍ. ليس بسبب أي شيء أخبرني به **جريج**. لا، لقد توقفتُ عن الاستماع لأنني في نهاية الردهة، متكوراً عند قمة الدرج، رأيتُ أرنباً بنياً.

19
الصيد

إذا رأيتم أرنباً داخل المنزل، ولا سيما إن كان أرنباً أبيض، فعليكم الإمساك به في غضون عشر دقائق من لحظة رؤيته، ثم أطلقوه خارجاً وأحكموا إغلاق الأبواب.
إن أخفقتَم في فعل ذلك، فافتحوا المظروف المكتوب عليه « في حالة الأرانب» للحصول على مزيد من التعليمات.
إياكَم أن تدعوا الأرنب يخرج بعد انقضاء الدقائق العشر. اقرأوا الرسالة أولاً.

***

كانت عينا الأرنب البني زرقاوين كالثلج، شاحبتين لدرجة توحي بالبياض. بينما كنت أحدق فيه، استمر **غريغ** في الحديث على الطرف الآخر من الخط:
«**مايسي؟** هل تسمعينني؟ مرحباً؟»

أنهيت المكالمة؛ فمشاكل التأمين يمكن أن تنتظر، أما الآن، فقد كان لدي ما هو أهم. وضعت هاتفي جانباً، واقتربت منه ببطء، وهمست بصوت خافت:

«مرحباً أيها الصغير.»

أمال الأرنب رأسه ككلب، وكأنه يقيم وضعي.

«نحن بخير» قلتُ محاولةً إقناعه بسلامة نيتي دون جدوى، «لن يؤذيك أحد.»

تراجع الأرنب خطوة عصبية، ونقرت مخالبه الطويلة على الأرضية الخشبية. تجمد في مكانه، وتجمدتُ أنا كذلك. ساد صمت مطبق.

مددتُ يدي ببطء إلى جيبي الخلفي متظاهرةً بإخراج شيء ما، وانحنيتُ لأسفل، وقدمتُ له قبضة مغلقة لا تحتوي على شيء، وأصدرتُ ذلك الصوت النقر بلساني «تك-تك-تك».

«إليك وجبة خفيفة.»

انتصبت أذنا الأرنب باهتمام، ثم قفز بحذرٍ أقرب، وشم الهواء، والتفت ناظراً نحو الدرج.

شجعته:

«هيا يا **دوك**» فقد بدا لي وكأنه أرنب يحمل اسم «دوك».

نقرتُ بلساني مجدداً «تك-تك-تك».

اقترب **دوك** أكثر، وبدا هذه المرة أكثر شجاعة. كانت خطتي تنجح. وبعد بضع شمات أخرى، قفز مقترباً مني. اقترب قليلاً.. هيا، مجرد قفزتين إضافيتين و..

رنَّ الهاتف الدوار فجأة كأنه طلقة بندقية. في حالة من الذعر، قفز **دوك** نازلاً الدرج بحدة، وارتطم بأرضية الردهة، ثم اندفع نحو غرفة المعيشة.

استمر الهاتف في الرنين بصوت مؤلم. *هل هي غريس؟*

في حالة من التشتت، هرعتُ إلى غرفة النوم، وانتزعتُ اللحاف المربع عن الطاولة الجانبية، وقربتُ الهاتف من أذني:

«مرحباً؟»

ساد صمت مطبق على الطرف الآخر. كنتُ على وشك إنهاء المكالمة حين قالت امرأة في منتصف العمر، بصوتٍ لم أعرفه:

«لا.. لا تدعيه يهرب.»

توسلت إليَّ وكأن حياتها تتوقف على ذلك حرفياً:

«أرجوكِ.. لا تدعيه يهرب، لا تدعيه يهرب، لا تدعيه يـ...»

صوت «بيب» حاد.

أصبح الخط صامتاً، ولم يبقَ سوى أزيز منخفض. شعرتُ باضطراب عميق، فأعدتُ سماعة الهاتف إلى قاعدتها... *أمسكي بالأرنب أولاً يا* ***مايسي،*** *واهتمي بكل هذا الهراء لاحقاً.*

انطلقتُ خارج الغرفة، وهرعتُ أسفل الدرج. دفعتُ نفسي عن جدار الردهة، ووثبتُ إلى غرفة المعيشة. التفتُّ يميناً ويساراً؛ لم يكن الأرنب موجوداً. رائع. كم من الوقت تبقى لي؟ نظرتُ إلى هاتفي: 9:11 مساءً. حسناً، ربما لدي حتى 9:20. ضبطتُ منبهاً وأعدتُ هاتفي إلى جيبي.

لو كنتُ أرنباً، أين سأختبئ؟

سقطتُ على ركبتي، وضعتُ رأسي بمحاذاة الأرض، وبدأتُ أزحف، متفحصةً تحت الأرائك والطاولات وكل زاوية يمكنني التفكير بها. لا شيء. لا شيء. لا شيء.

صدر صوت احتكاك سريع من الممر الخلفي. وقفتُ بحدة، وركضتُ عبر المطبخ إلى الممر، متجاوزةً غرفة الجلوس، وقاعة السينما المنزلية، والمكتب، وحمام الجاكوزي، وخزانة التخزين، وصولاً إلى الزاوية الأخيرة.. و..

كان باب القبو مفتوحاً على مصراعيه، كفمٍ غائر من الظلال الحالك، وكان **دوك** يتربع في مركزه تماماً. حركة واحدة خاطئة، وسيقفز هذا الجرذ طويل الأذنين في الظلام. وقفتُ متسمرة في مكاني، والثواني تتسرب كحبات الرمل.

مددتُ يدي مجدداً وتقدمتُ خطوة حذرة، مصدرةً صوت النقر، لكن **دوك** لم ينخدع بالحيلة نفسها ثانيةً؛ إذ استدار وقفز في الظلام.

سارعتُ وأشعلتُ الضوء، فظهر توهج دافئ. ترددتُ قليلاً؛ فهذا القبو لا يشبه القبو المليء بالعفن الذي ذكرته **غريس**. كانت الدرجات من الفينيل الأبيض النظيف، والجدران ذات لون أصفر نقي. هبت نسمة باردة من الأسفل جعلت قشعريرة تسري في جسدي. خطوتُ درجة واحدة للأسفل وتوقفت.

تردد في عقلي تعليق **جيما**: *النزول إلى القبو بمفردكِ؟ حماقة كلاسيكية.*

وجهة نظر منطقية، لكن.. *لا تدعيه يهرب، لا تدعيه يهرب، لا تدعيه يـ...*

نزلتُ للأسفل. عند قاعدة الدرج، لمستُ الجدار وأشعلتُ ضوءاً آخر، فكشف عن قبو عادي؛ مساحة بحجم مرآب مع غرف على الجانبين، أرضية أسمنتية لامعة، وسقف من الجص، وجدران صفراء. لا أثاث، سوى بضعة أرفف فارغة.

في الطرف البعيد، حيث يتلاشى الضوء، كان هناك ممر آخر، وكان **دوك** جالساً عند المدخل، يحدق بي بنظرة خاوية. قبل أن أخطو خطوة واحدة، انطلق مسرعاً، ونقرت مخالبه على الأرضية وهو يتسرب إلى الظلال الموحشة. ومع أنني لم أكن أراه، إلا أنني كنت أسمع نقر قدميه؛ استمر في الجري، واستمر—كم طول هذا الممر؟—حتى عاد الصمت مجدداً.

كان قلبي يخفق بعنف، مشيتُ متفحصةً الوقت. بقيت دقيقتان فقط. توقفتُ عند مدخل الممر وأشعلتُ مفتاح الضوء، و—لا شيء. حاولتُ مجدداً، للأعلى وللأسفل، ولا شيء. نظرتُ إلى السقف؛ لم تكن هناك مصابيح في المقابس. ضيّقتُ عينيّ وأمعنتُ النظر في الهاوية؛ كان الممر يمتد لنصف طول حافلة تقريباً قبل أن يغرق في الظلام. جدران صفراء. لا أبواب...

عاد صوت نقر مخالب **دوك**، لكنه هذه المرة لم يكن يبتعد، بل كان يقترب. انحنيتُ للأمام، وضممتُ يديَّ قرب الأرض كحارس مرمى.

في لمح البصر، اندفع **دوك** من الظلال، وانطلق مسرعاً بجانبي، عبر الأسمنت، وتسلق الدرج، واختفى عن الأنظار. حدقتُ في الدرج وكنتُ على وشك اللحاق به، حين..

دينغ. دينغ. دينغ.

رنَّ منبه هاتفي. عشر دقائق.

سقط عليَّ ثقل الفشل المألوف كعباءة مبتلة. تقدمتُ للأمام، لكن فكرة ملحة همست في أذني: *ألقي نظرة خلف كتفكِ يا* ***مايسي مولينز***.

تباطأتُ، والتفتُّ إلى الممر المظلم. حدقتُ بتركيز، وقد تكيفت عيناي مع الظلام، وبدأتُ أرى ظلاً خافتاً لغرضٍ ما. رغم الظلال والمسافة، عرفتُ تماماً ما هو: جهاز التلفاز من فيديو **ديفيد**، جالساً فوق جهاز تسجيل وتشغيل شرائط الفيديو في قلب الممر. بدا شريراً

بشكل غريب وهو يلوح في الظلام. نعم، كان مجرد جماد، لكنه بدا حياً؛ كأنه قد ينمو له ثماني أرجل مفصلية حادة، ثم يندفع نحوي ككائنٍ مفترس.

استدرتُ بسرعة، وعدتُ مسرعةً إلى الأعلى، واقتحمتُ الطابق الرئيسي وأغلقتُ الباب خلفي بقوة. لا مزيد من القبو. مشيتُ في الممر، وانعطفتُ إلى المطبخ، و..

كادت قدماي تطآن **دوك**.

كان يجلس هناك، بجوار طاولة المطبخ، دون أي اكتراث. لم يكن حتى يخدش الأرض. بالطبع توقف عن الجري بعد انقضاء الوقت. نظرتُ إلى الصينية الخشبية المستقرة فوق الثلاجة. *تباً*. وضعتُ الصينية على الطاولة، وسحبتُ المظروف المكتوب عليه « في حالة الأرانب »، ومزقته. كانت الرسالة فارغة تماماً، باستثناء كلمة واحدة:

المدفأة

انتصب شعر رقبتي. نظرتُ عبر الغرفة نحو الزاوية البعيدة، حيث كانت تقبع مدفأة الحطب، وتلال من الرماد الأبيض مكدسة خلف بابها الزجاجي.

رفعتُ الرسالة تجاه ضوء الشمس، فظهرت آثار باهتة لكلمات أخرى محفورة على سطحها؛ خدعة حبر خفي أخرى. انتظرُت، وسرعان ما أصبحت الرسالة بأكملها واضحة.

20
في حالة الأرانب

إذا كنتم تقرأوا هذا، فهذا يعني أنكم فشلتم في الإمساك بالأرنب في غضون الدقائق العشر. نأمل، في هذه المرحلة، أنكم لم تدعوا الأرنب يخرج. إذا فعلتم ذلك، فاذهبوا للخارج فوراً، وأمسكوا به، وأدخلوه، وتابعوا القراءة.

لتصحيح فشلكم، يجب تقديم تضحية. يجب أن تحرقوا الأرنب حياً. صدقوني، أنا أعلم، لكن هذا المخلوق ليس حقيقياً. إنه تجسيد للشر الذي يقطن في هذا العقار. لذا، أرجوكم أن تحرقوه بينما هو لا يزال حياً. إن صراخ أرنب يحتضر، حقيقياً كان أم لا، قد يكون مزعجاً جداً. وشبيه بالبشر..

(يوجد قفص سلكي في خزانة التخزين، وأوصي بوضع الأرنب بداخله أثناء إشعال النار) .

عواقب رفض القيام بذلك على هذا النحو:

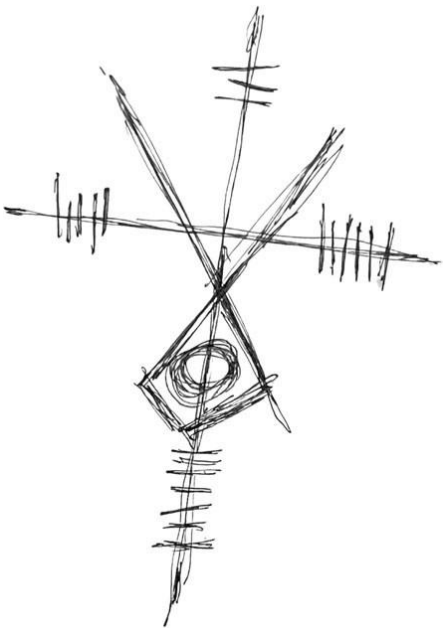
- سوف تعانوا من انكسارًا مدمرًا في حياتكم الشخصية.
- احتمالية وصول زائر عند الباب ستزداد بمقدار عشرة اضعاف.

تذكروا: الزوار سيكون لديهم دائماً عيون زرقاء باردة، وسوف يقرعون الجرس ثلاث مرات عند الباب الأمامي.

• من الآن فصاعداً، لم يعد بإمكانكم إخراج الأرانب إلى الخارج؛ عليكم حرق كل واحد منها في غضون خمس دقائق من رؤيته.

من أجل سلامتكم الشخصية، وسلامة البشرية بشكل عام، احرقوا هذه المخلوقات دون تساؤلات. إنه ثمن صغير لدفعه.

أمامكم وقت حتى تدق الساعة للساعة التالية لتتخذوا قراركم.



نحن ندافع حتى عن أولئك الذين يلطخون سمعتكم.

21
إنهاء العمل

أخفضتُ الرسالة وأنا أشعر بالغثيان والارتباك. لم يكن هناك أدنى احتمال في أن أحرق أرنباً حياً؛ فهذا أمر غير قابل للنقاش، بل إنه مثير للاشمئزاز لمجرد التفكير فيه، ولكن مجدداً... ماذا لو كان هذا حقيقياً؟

لا، هذا مستحيل. إنها مجرد هذيان عقل معتل، و..

قالت **جيما**: وماذا عن الإنكسار المدمر؟ وماذا عن مكالمة "لا تدعيه يهرب"؟ وماذا عن..

اخرسي! هذا ليس حقيقياً. هذا ليس حقيقياً. وحتى لو كان كذلك، فأنا لن أحرق أرنباً حياً.

ردت **جيما**: حسناً، وماذا عن تلك الانتكاسة المدمرة؟ إذا كان فقدان مبلغ التأمين الخاص بوالدي "متوسطاً"، فما الذي قد يبدو عليه "المدمر" بحق الجحيم؟

وقعت عيناي على إطار صورة قريب حيث كانت أشعة الشمس تنعكس عليه. كان الغسق يتسلل إلى الغابة، والظلال تتجمع حول الشجيرات كمدٍ صاعد ببطء. نظرتُ إلى الوقت: 9:56. أربع دقائق لاتخاذ القرار. هل يمكنني إشعال نار بتلك السرعة؟ نظرتُ إلى

مدفأة الحطب—بجانبها كومة من الصحف القديمة وسلة خوص مليئة بالحطب وأعواد الإشعال.

خربش-خربش-خربش.

كان الأرنب يخدش باب الفناء، محاولاً يائساً الخروج.

«**دوك؟**»

استدار عند سماع صوتي؛ كانت أذناه مسطحتين، وعيناه الزرقاوان الشاحبتان مليئتان بنظرة تقول: أنتِ تفكرين في الأمر، أليس كذلك؟ أنتِ تفكرين فعلاً في حرقي حية. أيتها الوحش.

نظرتُ إلى المدفأة مجدداً، ثم عدتُ إلى الأرنب. اقتربتُ منه خطوة بعد خطوة، وبينما كنتُ أقترب، انكمش **دوك** ضد الباب مذعوراً. بعد بضع خطوات أخرى، تباطأتُ وتوقفتُ فوقه. مددتُ يدي وفتحتُ قفل باب الفناء، وترددتُ طويلاً قبل أن أدفعه وأطرد **دوك** للخارج.

اندفع نازلاً درج الخشب، وعبر العشب الكثيف، ثم اختفى في غابة تزداد ظلمة. وقفتُ هناك أراقبه وهو يرحل، وأطلقتُ زفرة طويلة من الارتياح—لقد اتخذتُ القرار الصائب. حان الوقت لأحزم أمتعتي وأرحل من..

لا تدعيه يهرب.

ارتجفت عيني اليسرى، وبدأ قلبي ينبض—نبضاً مرعباً كقرع طبول من أعمق مستويات الجحيم. بدأت أحشائي تشعر بالحكة،

وضغط ثقل ساحق على كتفي، وكأنني ارتكبتُ للتو أكبر خطأ في حياتي كلها. وكأن هذه اللحظة ستطاردني حتى آخر نَفَس. طنت أعصابي بالرهبة، و..

كفى.

لقد انتهيت. أغلقتُ باب الفناء، وهرعتُ داخل المنزل.

احزمي أغراضكِ وارحلي من هنا.

من الغريب الاهتمام بالممتلكات الجامدة في أوقات الكوارث الوشيكة. هناك سبب يدفعهم لتلقينك ذلك في الطائرات: اترك أمتعتك خلفك. عدد صادم من الناس يحترقون أحياء لأن عقولهم المذعورة أخبرتهم ألا ينسوا حقائبهم المحمولة. حسناً، كنتُ أنا تلك الغبية المذعورة، أهرع للأعلى لأحضر حقيبة **بيكاشو** القديمة المتهالكة، بدلاً من الفرار للخارج كما كان ينبغي لي. وإن كان لي عذر، فأنا كنت بحاجة ماسة لسيجارة.

انطلقتُ للأعلى، ثلاث درجات في كل قفزة. اقتحمتُ غرفة الضيوف و..

أين حقيبتي؟ كنتُ قد تركتها بجوار الطاولة الجانبية. أعرف أنني تركتها هناك.. تباً، حان وقت الرحيل. كنتُ أعود إلى الممر، حينها، أسفل الدرج، في الردهة بالأسفل، ترددت أصداء ثلاث طرقات جوفاء على الباب الأمامي.

22
الزائر

إذا ظهر أي شخص بعيون زرقاء باردة عند الباب الأمامي بين الساعة الخامسة مساءً والخامسة صباحاً، فلا تتحدثوا إليه ـــ ولا تدعوه يراكم ، والأهم من ذلك كله، لا تسمحوا له بالدخول.
عليكم الاختباء ، اختبؤا وادعُوا ألا تكونوا قد نسيتم إغلاق أي من الأبواب. لا تقلق بشأن إغلاق النوافذ ؛ فالزوار لن يتسلقوا حتى من نافذة مفتوحة، فهم يستخدمون الأبواب فقط. وعادةً لن يحاولوا اقتحام المكان بالقوة.

***

تشكلت عقدة باردة في حلقي، واستقرت هناك كقطعة ثلج تأبى الذوبان. نظرتُ إلى الأسفل عبر الدرج نحو الردهة؛ لم أستطع رؤية الباب الأمامي، لكن صورة ظلية ضبابية من الخارج تسللت فوق الخشب الصلب وانعكست على الجدار؛ ظل غامض لا يتحرك.
طرق.. طرق.. طرق.
لا تدعيهم يروكِ. اختبئي.

تسللتُ عائدة إلى غرفة الضيوف، وأغلقتُ الباب بهدوء قدر المستطاع، ثم أوصدته. كان قفلاً بسيطاً من التي تُغلق بـ«ضغطة على المقبض»، لكنني ظننت أنه أفضل من لا شيء. ضغطتُ بظهري ضد الباب، وقلبي يخفق. كانت خياراتي محدودة:

- الاختباء في الخزانة.
- الاختباء تحت السرير.
- الزحف خارج النافذة، والقفز لمسافة طابقين على صخور خشنة ومنحدرة.

ربما كنت أبالغ في ردة فعلي؟ ماذا لو كان مجرد عامل توصيل يريد مني التوقيع على شيء ما؟ أخرجتُ هاتفي، وفتحتُ تطبيق "Ring" وبحثتُ عن كاميرا الباب الأمامي، لكن.. لم يكن هناك اتصال. ضغطتُ على "الردهة"، استغرق تحميل البث المباشر بضع ثوانٍ للتحميل.

كانت زاوية الرؤية مرتفعة تظهر داخل الردهة، حيث وقفت شخصية ترتدي معطف مطر أصفر وبنطال جينز أزرق على عتبة الباب بالخارج. كانت تحدق عبر الزجاج، واضعة يديها حول وجهها الذي يبدو صورته غير واضحة، مع خصلات من الشعر الأحمر تنسدل من قلنسوتها. **لوسي**.. شعور حذر بالارتياح غمرني؛ نعم، كانت غريبة الأطوار قليلاً، لكن عندما التقيت بها في نقطة المشاهدة، لم تبدُ خطيرة.

«**مايسي؟**» نادت بصوت متعب وخافت. «هل أنتِ هناك؟».

طرقت مجدداً، هذه المرة براحة يدها.

دوي.. دوي.. دوي.

كان البث المباشر متأخراً قليلاً، لذا سمعتُ الدوي في الأسفل قبل ثانية أو اثنتين من طرقتها في الفيديو. تبدد ارتياحي وحل محله الشك: ما لون عينيها؟ ضيّقت عينيّ للنظر إلى الهاتف، لكن الصورة كانت مشوشة جداً. حاولتُ التذكر حين التقيت بها في نقطة المشاهدة، لكن ذكرياتي تعثرت ببعضها كالأغبياء: كانت عيناها خضراوين—لا، كانتا بنيتين داكنتين—في الواقع، ربما كانتا عسليتين، أو ربما بنيتين فاتحتين؟.

تابعت **لوسي**:

«**مايسي**، إذا كنتِ هناك، أنا فقط.. أنا.. أنا آسفة لإزعاجك، لكن.. أنا فقط.. أحتاج للتحدث مع شخص ما..». كان هناك حزن عميق في صوتها الصغير؛ أسى مكتوم يغلف كل كلمة. تراجعت عن الباب وعانقت نفسها بقوة، فركت ذراعيها، وارتجفت.

فقط ابقي مختبئة. لا تتفاعلي.

«شخص ما.. كان في نقطة المشاهدة الليلة الماضية ولم أستطع.. لم أستطع إنقاذه. حاولت، لكن..». مدت يدها لتطرق مجدداً، ثم ترددت، عانقت نفسها لمرة ثانية، واستدارت لتمشي ببطء نازلةً الدرج الخرساني. في الأسفل، نظرت خلف كتفها نحو المنزل؛ حتى

في الضبابية المشوشة، استطعت استشعار ثقل الذنب في وقفتها. سارت بخطوات ثقيلة نحو المرآب، واختفت عن الأنظار.

مررتُ بإصبعي عبر الشاشة لأعود لقائمة الكاميرات، وضغطت على "المرآب - خارجي". ظهرت زاوية رؤية واسعة (عين السمكة) للممر، حيث تتوج الغابة المظلمة أعلى الإطار. تحركت **لوسي** ببطء في الأسفل، وهي لا تزال تعانق نفسها، سارت في خط مستقيم، لكن تشوه العدسة جعل الأمر يبدو وكأنها تمشي على حافة منحنية لكوكب مصغر.

توقفت مباشرة أسفل الكاميرا، وأسندت ظهرها إلى باب المرآب، وانزلقت للأسفل بوصة تلو الأخرى حتى جلست على الحصى المبتل. جلست هناك، وذراعاها ملتفتان حول ساقيها، وذقنها مستقر على ركبتيها، تحدق في الغابة عبر الممر. ظللتُ أرقبها من هاتفي، متوقعةً أن تبدأ **لوسي** بالبكاء، أو ربما تنهض لتطرق الباب مجدداً، لكنها ظلت جالسة تحدق في الغابة. تصاعدت وخزة ذنب في صدري...

لا تتحدثي إليهم. لا تدعيهم يروكِ.

جلست **لوسي** هناك حتى تلاشت آخر خيوط ضوء الشمس في الغابة وأصبح السماء مظلمة. ثم، ومع استمرار ضغط ظهرها على باب المرآب، وقفت ببطء، ونفضت الغبار عن بنطالها الجينز الأزرق،

وتجولت عبر الممر. انطلق ضوء الحركة، ليرمي بظلها باتجاه خط الأشجار كمثلث مشوه.

كانت الغابة مصبوبة في ضوء بشع، متشنجة كأنياب ذئب مسعور. استمرت **لوسي** في المشي حتى تسللت عبر فجوة بين جذوع الأشجار؛ تلاشى أصفر معطفها في السواد، كسفينة تغرق في مياه عكرة. فكرت في اللحاق بها، لأرى إن كانت بخير، لكن...

أغلقتُ تطبيق "Ring" وفتحتُ تطبيق "أوبر". كنتُ فقط بحاجة لحزم أشيائي والرحيل من هنا؛ الآن، قبل الأمس.

23
المصابيح الأمامية

لم أعثر أبداً على حقيبة الظهر الخاصة بي، فاعتبرتها قرباناً لأرواح المنزل، مع زوج سماعات **السيلفو** وآخر سيجاراتي. ربطتُ حذائي الرياضي في الردهة بسرعة وبإهمال؛ فقد أصبح المال مجرد فكرة ثانوية الآن. كانت **جيما** محقة، على الأقل جزئياً: هناك شيء ما، بل أشياء كثيرة، خاطئة تماماً في هذا المكان.

سحبتُ السترة الخاصة بوالدي من علاقة المعاطف، وهرعت إلى الباب الأمامي. كانت سيارتي التي طلبتها لا تزال على بعد عشرين دقيقة، لكنني رفضت الانتظار داخل المنزل. خرجتُ إلى الشرفة، وأغلقت الباب، ورميتُ المفتاح تحت ممسحة الترحيب، وبدأتُ النزول على الدرج الخرساني.

لامست قدمي اليسرى الحصى، وفجأة..

رنَّ.. رنَّ.. رنَّ...

التفتُّ ناظرةً للأعلى عبر الدرج. استمر الهاتف الدوار في الرنين بالداخل—مكتوماً وملحاً. حاولت الاستمرار في الحركة، لكن قدميّ ظلتا مُسمرتين في مكانهما. صرخت كل عظمة في جسدي،

وتوسلت إليَّ لأعود للأعلى، وأفتح الباب، وأجيب على الهاتف. *فقط اتبعي الطقوس يا* ***مايسي،*** *كل شيء سيكون بخير إذا اتبعتِ..*

صككتُ على أسناني، استدرتُ على عقبي، وهرولتُ مبتعدةً عبر الممر. بدا وكأن المنزل يشدني من الخلف، وكأنني مربوطة به بحبل غير مرئي. قطعتُ ذلك الحبل وزدتُ من سرعتي.

بينما كنت أعبر أمام المرآب، انطلق ضوء الحركة. ألقيت نظرة على المكان الذي كانت تجلس فيه **لوسي**؛ كانت آثار أقدامها لا تزال مرئية بوضوح في الحصى، متجهة نحو الغابة المظلمة. نعم، يا للمسكينة، لكن لم يكن هناك أي احتمال لأن ألاحقها في جوف الليل. لم أكن أعرف حتى إن كانت هي حقاً...

في منتصف الطريق، كنت لا أزال أسمع رنين الهاتف؛ خافتاً، لكنه كان ملحاً. كرضيع متروك يصرخ طلباً للمساعدة: *أجيبيني. أجيبيني. أجيبيني.* مع كل خطوة بعيداً، كان الصوت يضعف ويتلاشى في الليل.

وقفتُ تحت مصباح الشارع الوحيد في المنعطف. ارتجفت أطرافي، ورفرفت فراشات هستيرية في معدتي. *لا يمكنك الاستسلام يا* ***مايسي.*** *لديك مسؤوليات، ولديك أخت تحتاج لإعالتها. وماذا لو لاحقتك* ***غريس*** *للمطالبة بالثلاثة آلاف؟..*

أخرجتُ هاتفي، وبأيدٍ مرتعشة طلبتُ رقم **غريس**.

ثلاث رنات، ثم:

«الشخص الذي تحاول الوصول إليه غير متاح. يرجى ترك رسالة بعد النغمة.»

بيب.

«مـ.. مرحباً السيدة **كارنسويل**، أنا.. أه..» لم أعرف ماذا أقول..

هل أخبرها أن رسالة زوجك أرعبتني؟ أن منزلك ملعون؟

«أنا.. أه.. للأسف لن أتمكن من الاستمرار في مراقبة المنزل. كانت هناك.. أه.. حالة طوارئ عائلية. لقد.. لقد أغلقت الأبواب وتركت المفتاح تحت الممسحة. أنا آسفة حقاً.» *أرجوكِ دعيني أحتفظ بالثلاثة آلاف.* «حسناً.. أه.. أتمنى أن تكوني بخير.»

أنهيت المكالمة.

لم أقف هناك سوى عشر ثوانٍ قبل أن أكمل طريقي—كانت سيارة "أوبر" ستتجاوزني على أي حال. لم أكن أحب البقاء قريبة جداً من المنزل؛ كنت أشعر به من خلال الأشجار في الخلف، يراقبني. تخيلت الباب الأمامي ينفتح بصرير، وأذرع لا نهائية تتلوى مثل الديدان الشريطية، وتمتد عبر الممر لتطبق على كاحلي، وتسحبني عائدةً عبر الحصى المبتل، وسط التواء وصراخ.

بينما كنت أسير على الطريق المظلم، كان كل ضجيج من الغابة يثير رعباً وحشياً. غصن مكسور استدعى وجه مهرج مبتسم بشفاه حمراء كالدماء، وأسنان ثلمة تفسح المجال لجذور مسودة. نسمة

هواء عابرة: كائن عنكبوتي مسخ بعيون زرقاء باهتة وجلد بشري مغطى بشعر رقيق وزجاجي. نفضتُ عني تلك الأوهام ومشيتُ بسرعة لدرجة أنني كنت أركض تقريباً. في الأمام، امتد شريط خافت من الضوء فوق الأشجار واستقر على الأسفلت. هل كانت سيارتي؟ تحققت من التطبيق، و... لا توجد شبكة.

مصابيح أمامية، عينان بلون أبيض مائل للزرقة، طافتا حول المنعطف البعيد، وزحفتا نحوي بإيقاع غير متسرع. أصبح الطريق عموداً فقرياً، والأشجار على كلا الجانبين قفصاً صدرياً شاهقاً، في اكتساح جنوني من الضوء المستقصي والظلال الهيكلية. أصبحت المصابيح الأمامية المبهرة هي الشيء الوحيد الموجود في الهاوية السوداء. تحركت المركبة ببطء مخيف، كقرش أبيض كبير في مياه مفتوحة.

نظرت للخلف—لم يعد مصباح الشارع البرتقالي سوى نقطة خافتة. واجهت المصابيح الأمامية ورفعت يدي لأحمي عينيّ من الوهج الطاغي. بينما اقتربت السيارة، دويّ طنين نافذة كهربائية تُفتح. ومن مكبرات الصوت في الداخل، ألقى مقدم "بودكاست" مألوف حكمته: «لا، لا، هذا هو الأمر يا رجل. تحتاج إلى أن *تريد* أن تكون ذا قيمة عالية. المشكلة هي أنك لا *تريد* ذلك بما يكفي.»

كانت المرة الأولى والوحيدة التي يجعلني فيها سماع ذلك الصوت أتنهد بارتياح.

24
إجازة مرضية

تسلقّتُ المقعد الخلفي لسيارة **هوندا سيفيك**، وأغلقت الباب بقوة.
«**مايسي**، صحيح؟» عدّل السائق قبعته الرياضية ونظر إلى هاتفه.
«متجهة إلى **سالم**؟»
«أجل.» ألقيتُ نظرة على الغابات المحيطة.
أخرج السائق علبة علك وبدأ بفك غلاف قطعة منها.
«هل يمكننا..» تحركتُ في مقعدي. «هل يمكننا المغادرة من هنا؟»
وضع العلكة في فمه وبدأ يمضغ كبقرة. نظر إليّ ببطء في المرآة الخلفية، وحك لحيته الخفيفة، ثم أجاب أخيراً:
«بالتأكيد، يا رئيسة.» وداس على دواسة الوقود.
بطلي.
انطلقنا مسرعين نتجاوز قصور **بروكس فيو** العملاقة، ومركز **ويندفول** للنقل، ومحطة الحافلات الوحيدة. مع كل ميل نبتعد فيه عن المنزل، كانت موجات الارتياح تغمرني كاستحمام ساخن في يوم بارد، وتطهرني من توتري كجوقة من الملائكة. حتى البودكاست، وحقيقة أنني تركت خلفي ستة—أو ربما تسعة—آلاف دولار، لم تكن كافية لتعكير مزاجي. واصلنا الانعطاف عبر طرق

الجبل، هابطين نحو وادي **ويلاميت**، حيث كان وهج **سالم** البرتقالي يتفتح في ليل بعيد و..

لا تدعيه يهرب...

ومضت فكرة مظلمة في رأسي. لا.. كلمة «فكرة» لم تكن دقيقة. كانت أقرب إلى رؤية، حية جداً لدرجة أنني كدت أسمعها وأراها، وكأنني سُحبت خارج هذه السيارة إلى مكان آخر تماماً: منحدرات صخرية وأشجار شوكران تعصف بها الرياح، سماء زرقاء شاحبة، و... تنزف من أفق بعيد—ومضة من ضوء أحمر قاني.

خفق قلبي في صدري، وكل نبضة كانت تهدر: *خطر. خطر. خطر.*

بدأت أذناي ترنان، بطنين متصاعد ارتفع أكثر فأكثر دون توقف: مممممممممممممممم

انتابتني «رؤية» أخرى: شوارع المدينة تكتسي باللون الأحمر، وصرخات لا تحصى من الحزن والبؤس. كل هذا يحدث بسببي. كل روح على وجه الأرض تعلم أن فشلي هو سبب معاناتهم.

لم يزدد طنين أذنيّ إلا حدة. مرت بي صور أخرى، تحفر في دماغي كأنها نقش على الجرانيت:

جلد متعفن يُنتزع من العظم.

أيدٍ بأظافر قذرة وطويلة تغرس في دماغ مكشوف—خب، خب، خب—صوت ضحك تحول إلى بكاء، ثم إلى توسلات يائسة من أجل الرحمة.

هاوية سحيقة تعج بأناس عراة—جميعهم يصرخون، ويزحفون فوق بعضهم ككتلة متلوية من اليرقات.

أفسحت صور الرعب المجال لصورة أخيرة. شيء أسوأ بكثير من أي شيء سبق:

جسد **جيما** الهامد. كانت مستلقية على الأسمنت، تواجه السماء، متيبسة—أكثر جموداً من دمية خزفية. نظارتها المستديرة عكست الضوء الأحمر، وحجبت عينيها العسليتين عن الأنظار. خيط رفيع من اللون القرمزي يتسرّب من أذنها، وتكونت بركة من الدماء حول قاعدة جمجمتها، متوسعة في كل الاتجاهات.

انكسار مدمر. انكسار مدمر. انكسار مدمر..

«يا.. هل أنتِ بخير؟» صوت السائق أعادني فجأة إلى سيارة **هوندا سيفيك**. كان يحدق بي في المرآة الخلفية، وبحكم عبوس وجهه، كان يحاول لفت انتباهي منذ فترة. التفت عائداً للطريق.

«من الأفضل ألا تتقيئي في سيارتي، يا فتاة. لقد نظفتها للتو.»

أدركتُ أنني كنت أقبض على معدتي وأرتجف.

«فقط.. فقط توقف بجانب الطريق..»

«لا يُصدق،» تذمر. أشار بالانعطاف إلى جانب الطريق، وتوقف بصرير، وتصاعدت أعمدة الغبار في ضوء المصابيح الأمامية. تحسستُ المقبض، وترنحت خارجاً، وقذفت ما في جوفي على جانب الطريق. لم أستطع التقاط أنفاسي أكثر من مرتين أو ثلاث

قبل أن أتقيأ مجدداً. بقعة مقززة من عصارة المعدة تغلغلت في التربة الصلبة عند قدمي.

خرج السائق ونظر إليّ، وبدا في عينيه تلميح من الشفقة.

قال:

«فقط.. أفرغي ما في جوفك، لا تترددي.»

مد يده إلى السيارة وفتح الكونسول المركزي، ثم تراجع حاملاً علبة سجائر في يد ومناديل مبللة في اليد الأخرى. ناولني المناديل.

«حين تنتهين.»

حشرتها في سترتي، وأشرتُ له بإبهامي بإعياء، ثم تقيأت مجدداً. المزيد من عصارة المعدة. أدار السائق قبعته للأمام واستند إلى السيارة، وأخرج ولاعة، وأشعل سيجارة، وأخذ نَفَساً عميقاً. ظلت نوبات الغثيان تصيبني حتى هدأت معدتي أخيراً. بصقت مرة، ومرتين، ثم وقفت منتصبة، ونظفتُ حنجرتي.

قال السائق :

«شكراً»

«ماذا؟»

أشار بسيجارته نحو بقعة القيء.

«لأنكِ لم تفعلي ذلك داخل سيارتي.»

«بالتأكيد.» نظفتُ جوانب فمي بمنديل مبلل. كانت يداي ترتجفان.

سأل :

«هل أنتِ متأكدة أنكِ بخير؟»

«أجـ.. أجل.» هززت يديّ ودفعتهما في جيبي، وأجبرتهما على التوقف عن الارتجاف.

أخذ السائق نَفَساً أخيراً، وألقى السيجارة على الأرض وداستها قدماه.

«جاهزة للانطلاق؟»

«أجل.»

عدنا إلى السيارة. أدار المفاتيح، وانعطف إلى الطريق. طنّت الإطارات على الرصيف، وتلاشت الغابات المظلمة، وبدا وهج **سالم** البعيد أقرب فأقرب، و..

قلت دون تفكير:

«أحتاج للعودة»

«ماذا؟» رمش بعينيه ناظراً إليّ في المرآة.

«سأدفع لك ثمن الرحلة كاملة، أنا فقط.. أحتاج للعودة.»

درسني لثوانٍ قليلة، ثم ضغط على إشارة الانعطاف.

«أنتِ الرئيسة.»

قدنا في صمت، مارّين مرة أخرى بمحطة الحافلات الوحيدة، ومركز **ويندفول** للنقل، وقصور **بروكس فيو**. كان السائق يشعر

بوضوح أن هناك شيئاً خاطئاً، وقرر ألا يشغل البودكاست. كان هناك إنسان في مكان ما بداخل ذلك الرجل.

مع كل ميل نقترب فيه من المنزل، كان ذلك الشعور المقزز بالهلاك يتضاءل. تراجعت رؤى الموت والرعب الدخيلة إلى عقلي الباطن، إلى ذكرياتي. ما زلت أشعر بأنني بحال سيئة، لكنه كان شعوراً ألفته جيداً. شعور يمكنني التعامل معه.

بالطبع، كان آخر شيء أرغب في فعله هو العودة إلى ذلك المنزل، لكن ما أريده لم يكن له أي وزن. كان لزاماً عليّ العودة إلى **5037 بروكس فيو هايتس**. لم يكن على المحك أقل من بقاء البشرية جمعاء.

25
تسجيل الوصول

ربما فقدتُ عقلي، لكنني الآن أؤمن—رغم بقاء ذرة صغيرة جداً من الشك—بأن **ديفيد** كان محقاً. حياتي، وحياة **جيما**، وكل حياة على وجه الأرض تعتمد على تلك الطقوس. هذا الاعتقاد—مهما بدا سخيفاً أو متصنعاً—قد غرز أنيابه في نفسيتي ورفض التخلي عنها. حاولتُ قدر جهدي، لكنني لم أستطع تبرير هذا الكشف المشؤوم أو نفيه. لم أكن أدعو سوى ألا أكون قد أفسدت الأمور لدرجة لا يمكن إصلاحها.

أوقف السائق السيارة تحت وهج مصباح الشارع الخافت.

قال:

«أقراص 'غريفول' وبعض الأملاح المعدنية، والنوم. الكثير من النوم.»

«شكراً» تمتمتُ وأنا أنظر نحو الممر المرصوف بالحصى. صررتُ أسناني، وفتحتُ الباب على مصراعيه، وخرجتُ إلى الليل البارد. التفتُ إلى الوراء، وبدأتُ أغلقُ الباب، لكنني توقفتُ في منتصف الطريق

قلت:

«مهلاً»

نظر السائق إليّ رافعاً حاجباً واحداً.

«هل يمكنني الحصول على سيجارة؟»

فتح الكونسول المركزي، ومد يده، وألقى إليّ سيجارة. بحث في حامل الأكواب، واستخرج ولاعة، وألقاها لي أيضاً.

قال:

«يمكنك الاحتفاظ بها»

كانت ولاعة بلاستيكية صغيرة قذرة تحمل عبارة ***«عش حراً أو مت وأنت تحاول»*** محاطة بجمجمة ذات مظهر غاضب. رددتُ بكلمة «شكراً» مقتضبة.

حين أغلقتُ الباب، لم يضع أي وقت وانطلق مبتعداً، متوجهاً إلى عميله التالي. تضاءلت أضواء السيارة الحمراء في الليل، تاركة إياي في الطريق المسدود مرة أخرى. استدرتُ، وأشعلتُ السيجارة، وأخذتُ نَفَساً طويلاً، وصعدتُ الممر.

بدا المنزل المظلم يتسلل إلى الرؤية. الآن، لم تزدد هيئته العادية إلا إثارة للقلق، كشجيرة ذابلة في صف من سياج مُهذب بإتقان. أخذتُ نَفَساً آخر؛ سرت حرارة كيميائية في أطرافي، ثم تلاشت بسرعة. *أنتِ بخير. كل شيء بخير.* أجبرتُ نفسي على المضي قدماً: *عليكِ*

*فعل هذا يا **مايسي**، لم يعد لديكِ خيار. قدم يمنى للأمام. قدم يسرى. يمنى. يسرى.*

هزّ هاتفي—اتصال من **جيما**. كدتُ أضغط على "رفض"، لكنها على الأرجح ستستدعي الحرس الوطني إذا لم أرد. توقفتُ عن المشي، أخذتُ نفساً عميقاً، أخرجته ببطء، وضغطت على "قبول"..

قالت :

«يا فتاة، هل تصلك مكالماتي أصلاً؟»

«آسفة، آسفة، فقط.. خدمة سيئة مجدداً.» حاولتُ قدر استطاعتي أن أبدو هادئة. لم أرغب في إقلاق **جيما** أكثر—قد تأتي إلى هنا بنفسها وتتورط في هذا.

تنهدت :

«يا إلهي يا **مايسي**. على الأقل حاولي إرسال رسالة نصية أو شيء ما. لقد كنتُ على وشك التعرض لنوبة هلع منذ ساعتين تقريباً.»

«أجل، خطأي.. كل شيء على ما يرام هنا، لا جديد لأبلغ عنه..»

«تعدينني أنكِ بخير؟»

«أجل، فقط.. متعبة.» ارتجف صوتي قليلاً، فقد بدأت أعصابي تغلبني. أخذتُ نَفَساً آخر من السيجارة، ثم زفرت.

تنحنحت **جيما** :

«هل أنتِ.. هل ستكونين بخير غداً؟»

«ماذا؟»

«أنتِ تعرفين.. كونه يوم ذكرى وفاة والدي..»

«أجل، يا **جيم**، سأكون بخير..»

«أنا.. يمكنني القدوم ليوم كامل إذا أردتِ. لن أقضي الليل هناك، لكن.. إذا أردتِ رفقة خلال النهار، يمكنني المجيء.»

دلّكتُ نقطة متشنجة في رقبتي، تشنجت الأوتار وأرسلت ألماً خفيفاً إلى كتفي.

قلت:

«سأكون بخير، هل ستكونين أنتِ كذلك؟»

«أجل.. سألعب ألعاب الفيديو قبل مقابلتي على أي حال، لذا.. الأمر ليس مهماً.» صمتت **جيما** للحظة. «تعرفين أنني هنا دائماً للاستماع، أليس كذلك؟ كأن تحتاجي للتنفيس أو أي شيء.»

«أجل طبعاً، شكراً يا **جيم**.. وبالمثل. أنا، أه، يجب أن أذهب، لكننا سنتواصل مجدداً غداً، حسناً؟»

«حسناً..»

هممتُ بإنهاء المكالمة، لكنها قالت: «**مايسي؟**»

«أجل؟»

«أحبكِ..»

«أحبكِ أيضاً يا أختي..»

قبل أن تتمكن **جيما** من سؤالي عن أي شيء آخر، أنهيتُ المكالمة وواصلتُ صعود الممر. تسلل صوت مألوف إلى الليل البارد..

صوت الهاتف الدوار. تسربت صرخاته المكتومة من المنزل كأنها غاز سام. هل كان يرن طوال هذا الوقت؟ جعلتني هذه الفكرة أشعر بالقشعريرة. جعلت جلدي يرتجف ويتشنج. جعلتني أرغب في الالتفات والهروب عائداً أسفل الممر، لكن..

انكسار مدمر..

كان عليّ الرد على ذلك الهاتف. كل روح على وجه الأرض تعتمد عليّ.

بينما اقتربتُ من المرآب، انطلق ضوء الحركة. عبرتُ فوق آثار أقدام **لوسي** وصعدت الدرج الخرساني. ترددت عند الشرفة. انعكست صورتي في اللوح الزجاجي للباب الأمامي. كانت السيجارة متدلية بخمول بين شفتيّ المطبقتين، كنقطة برتقالية في وجه مظلم محاط بكتلة متشابكة من الشعر البني المجعد. لم أعد أرتجف؛ فقد كان جسدي منهكاً جداً لدرجة أنه لم يعد يدرك حجم خوفي.

كانت الردهة مظلمة، والهاتف لا يزال يرن في الداخل. بصقت السيجارة وهرستها بقدمي على الخرسانة.

أزحتُ ممسحة الترحيب بطرف إصبعي، التقطتُ المفتاح، فتحتُ الباب، قبضتُ على المقبض، وسحبته ليفتح. وقفتُ هناك، أحدق في الظلام الدامس—كان إطار الباب كفم مفتوح لوحشٍ غائر. وفي أحشائه، كان الهاتف يصرخ، وكل رنة كانت تجعلني أكاد أنكمش.

كنتُ أشعر بالصوت في عظامي، وأشعر به يطن في جمجمتي.
أخذتُ نفساً عميقاً آخر، أخرجته، ثم خطوتُ إلى الداخل.

الجزء الثالث

المخاطر المهنية

إمشي

كنتُ في الماضي أعشق جزّ العشب.

كنتُ أضع سماعات الأذن، وأستمع إلى الكتب الصوتية وموسيقى «ديث كور» طوال اليوم—لأعزل نفسي عن العالم. كنتُ أحب الرائحة الزكية للعشب المقصوص حديثاً، وأحبُّ التواجد في الهواء الطلق، وأحبُّ ذلك التكرار المريح صفًا تلو الآخر. أما الآن، فلا أكاد أجرؤ على النظر إلى آلة جز العشب.

ليس تقصيراً في المحاولة، على أية حال.

بعد وفاة **أبي** بفترة وجيزة، لجأتُ إلى «شركة منافسة»: شركة **دون رايت لوز المحدودة**. وهي مؤسسة تجارية كبرى توسعت قادمةً من **بورتلاند**.

استقلتُ من العمل في الشهر الأول.

لم أقدم إشعاراً بالاستقالة، بل توقفتُ عن الحضور ببساطة وحظرتُ رقمهم. كان ذلك جزئياً لأنني شعرتُ بأنني خائنة، ولكن في المقام الأول لأنني في اللحظة التي لمستُ فيها آلة الجز، وسحبتُ ذلك الحبل، وشعرتُ بطنين المحرك تحت راحتيّ—كنتُ أجد نفسي عائدة إلى أوائل مراهقتي، حين كنتُ أجزُّ العشب في عطلات نهاية الأسبوع لصالح شركة **مولينز موينغ**. في مرات قليلة، كنتُ حتى أرى **أبي** مجدداً، بطرف عيني، وهو يهذب سياجاً أو يرتشف القهوة

من ترمس ضخم. ثم ألتفتُ لأرى أنه لم يكن **أبي** على الإطلاق، بل كان مجرد غريب—وفي نصف المرات بالكاد كان يشبهه.

جعلني هذا أفكر في أمرٍ تعلمتُه على قناة «ديسكفري»: «متلازمة الطرف الوهمي». وهي حالة يستمر فيها الأشخاص الذين فقدوا طرفاً في الشعور بأحاسيسه—العظام، الجلد، وحتى الألم. لكنهم عندما ينظرون للأسفل، يتذكرون أنه لا يوجد شيء، فتتلاشى تلك الأحاسيس. أتصور أن فقدان شخص ما قد يشبه ذلك. فالدماغ يعتاد جداً على وجود شخص ما لدرجة أنه يخبرك بأنه لا يزال هنا، حتى عندما يرحل ولا يعود أبداً.

متلازمة الشخص الوهمي.

في كل مرة يحدث لي ذلك، في كل مرة أظن فيها أنني رأيتُ **أبي** أو سمعتُ صوته، ثم ألتفتُ لأرى غريباً—جزء مني يرغب في الانهيار أرضاً، والانفجار في نوبة بكاء... لكنني لا أستطيع أبداً. أقف هناك فقط، متبلدة. أحمر. أزرق. أحمر. أزرق. لا شيء. لا شيء. لا شيء.

في السنوات التي تلت رحيل **أبي**، لم أبكِ قط، ولا مرة، حتى في الجنازة.

أنا لست شخصًا صلبًا، بل أبعد ما يكون عن ذلك. بكيتُ كثيراً عندما كنتُ أصغر سناً، ولم أشعر يوماً بالسوء حيال ذلك. يا إلهي، كنتُ أذرف الدموع عند مشاهدة الأفلام العاطفية. كان **أبي** يقول لي دائماً

إنه لا بأس بالبكاء: «إنها طريقة جيدة للتخلص من الأشياء السيئة.»
لكن بعد وفاته، كان الأمر كما لو أن ذلك الجزء مني توقف عن العمل. دخل في حالة «خروج عن الخدمة».

مهما حاولتُ التخلص من الأشياء السيئة، لم أستطع ذرف دمعة واحدة. كنتُ أستعرض الصور القديمة على هاتفي، صوراً لي، ولـ **أبي**، ولـ **جيما**، لنا جميعاً معاً. كنتُ أقلبها، تاركةً الذكريات تداهمني كأرض منهارة. أقول لنفسي إنه لا بأس بالانهيار، بالسقوط على ركبتيّ والنحيب والشهيق والبكاء كبطلة في الأفلام، لكن... لم أستطع أبداً، كنت أشعر بـ... لا شيء.

مع ذلك، كنتُ أواصل المحاولة، أنظر إلى صورة تلو الأخرى، وذكرى تلو الأخرى. أحياناً كنتُ أسمع صوت **أبي**، ثابتاً ومطمئناً: *لا بأس بالبكاء يا **مايسي**، لا عيب في ذلك. لا بأس..*

لا شيء. لا شيء. لا شيء. فقط ذلك الضيق الدائم بين رئتيّ. التواء لولبي يشتد، ويشتد، ويشتد، حتى يمزق جلدي، وينتزعني من الذكرى، ويلقي بي في مقعد السائق لشاحنة بيضاء صغيرة، في هبوط حر لا وزن لي فيه، وماء مظلم يرتطم بالزجاج الأمامي، محطماً إياه.

ثم أعود لأشعر بلا شيء.

ثم أشعر بالفشل لأنني لا أشعر بشيء.

ربما كنتُ أحزن بطريقة خاطئة. أحزن بشكل سيء. مجرد شيء آخر لم تكن **مايسي** قادرة على فعله بشكل صحيح.

لقد نقلتُ صور **أبي** منذ زمن طويل إلى مجلد مخفي. لم أنظر إليها منذ أكثر من عام. لا أملك القوة لحذفها، رغم أنني أريد ذلك.

لو كان **أبي** لا يزال موجوداً، لربما أخبرني أنه لا بأس أيضاً بعدم البكاء. وأخبرني أنه لا بأس بأن أشعر بأي شيء أشعر به، حتى لو كان ذلك الشعور هو «لا شيء» على الإطلاق. أخبرني أنه لا بأس بالمشي تحت المطر. كانت تلك حكمة أخرى من حِكمه، «امشِ تحت المطر.» عندما يبدأ الهطول فجأة من حيث لا تدري، وتكون عرضة للبلل في كل الأحوال، لا تتسابق بحثاً عن مأوى. فقط امشِ. ركِّز على ما يمكنك التحكم فيه. تقبَّل حقيقة أنك ستبتل، واشعر بأي شيء تشعر به. ركِّز على نَفَسٍ واحد في كل مرة. شهيق من الأنف، وزفير من الفم.

امشِ تحت المطر يا **مايسي**، فقط امشِ تحت المطر.

أظنها كانت نصيحة جيدة، لكن أحياناً، عندما يسقط المطر بغزارة تهدد بارتفاعه ليتجاوز عنقي، وتسحبني إلى الأعماق وتغرقني، لا يكون أمامي خيار سوى الركض...

1
تعليمات إضافية

رنّ.. رنّ.. رنّ.

وقفتُ عند مدخل الردهة، وظلي يمتد عبر الأرضية الخشبية الصلبة، ووجهت عينيّ نحو الهاتف الأبيض اللامع، المستقر في مكانه أسفل صورة **ويندفول إنليت**. أغلقتُ الباب خلفي بصوت خافت، ثم أدرتُ القفل.

رنّ.. رنّ.. رنّ.

مضغتُ شفتي وتقدمتُ للأمام، ولففتُ يدي حول الهاتف، وانتظرتُ لثانية، واثنتين، وثلاث، ثم—

رنّ.. رنّ..

قرّبته من أذني.

انبعث من السماعة أزيز هواء لاهث، حاد ومجهد، كأنه نَفَس أول بعد عقود من الغرق. انفجرت في رأسي صورة غريبة: غرفة بلا نوافذ، هاتف أحمر على أرضية أسمنتية. شخص جالس منحنٍ في الزاوية، نتوءات عموده الفقري بارزة ضد الجلد المشدود لظهرٍ هزيل. جلد شاحب جداً، يكاد يكون شفافاً، جلد لم يرَ الشمس قط.

أياً كان هذا الشخص، فقد كان يختنق لساعات، أو عقود، أو قرون، بانتظار أن أجيب أنا—**مايسي مولينز**—على ذلك الهاتف.

فكرة مستحيلة، بلا ذرة دليل واحدة، لكنني عرفتُ أنها حقيقية تماماً مثل تلك الرؤى السابقة. حاولت مجدداً:

«مرحباً؟»

المزيد من التنفس، أبطأ وأعمق، ثم:

«مـ.. **مايسي؟**»

كان صوت شاب، صوت آخر لم أتعرف عليه. مجهد وضعيف. أحبال صوتية لم تُستخدم منذ زمن طويل جداً. بطريقة ما شعرتُ بأنه بعيد بشكل مستحيل عن هنا، في أعماق الأرض، أو ربما في عالم آخر تماماً. فكرة أخرى غير مترابطة، لكن..

«مـ.. **مايسي مولينز؟**»

فتحتُ فمي، ولم يخرج سوى صوت تشقق خافت. ابتلعتُ ريقي وقلت:

«نـ.. نعم، معكِ..»

«أوه، شكراً لله، شكراً لله..» كان الارتياح في صوته ساحقاً، كأنه نجا للتو من مصير أسوأ بكثير من الموت. «أنا.. نحن ظننا أنكِ غادرتِ..»

تسارعت التساؤلات في ذهني، كثيرة لدرجة لا تُحصى.

سألت: «من أنت؟»

«أنا.. أنا غير مسموح لي بقول ذلك—»

من جهته، تردد في المسافة صراخ حاد، يشبه صوت أرجوحة دوارة عملاقة تدور في الريح. تنحنح الغريب، عائداً لصلب الموضوع:

«**مايسي**، يجب أن تستمعي إليّ.» تحدث بتصميم موزون لكنه سريع، وكل مقطع لفظي كان مشبعاً بأهمية جسيمة: «يجب أن تكتبي ما سأقوله. ويجب أن تتبعي كل كلمة. هل معكِ قلم وورقة؟»

في الخلفية، بدأ شيء ما في النقر: *تيك، تيك، تيك*. ساعة؟

«**مايسي**» صرخ بحدة.

انتفضتُ:

«نـ.. نعم؟»

«أحضري قلماً وورقة. الآن.»

قضي تصميمه على كل تساؤلاتي الأخرى.

«ثانية واحدة..»

في حالة من الهياج، فتحتُ درج الطاولة الجانبية، ووجدتُ دفتراً مغلفاً بالجلد. فتحته بحدة، لكن جميع صفحاته كانت ممزقة. وضعتُ الهاتف وأسرعتُ إلى المطبخ. أنزلتُ الصينية الخشبية عن الثلاجة، وألقيتها على طاولت المطبخ، وبدأتُ النبش فيها. عملات معدنية، إيصالات، مصباح يدوي، سوار **حياة صحية**، و.. قلم حبر. قبضتُ على القلم وإيصال مجعد، وأسرعت عائدة للردهة. حشرتُ الهاتف

بين ترقوتي وأذني، ثم بسطتُ الإيصال على جانب الطاولة. حملتُ القلم بيدي المرتجفة، مستعدة.

«هـ.. هيا..»

«أحتاج منكِ أن..»

تكرر ذلك الصوت الحاد مجدداً، هذه المرة أقرب وأعلى. صرخة غلاية شاي، تشبه جوقة من البشر، جميعهم يصرخون في انسجام. جميعهم يصرخون بنفس النبرة والإيقاع. انتظر حتى تلاشى ذلك الضجيج المرعب، ثم أكمل بنبرة خافتة:

«أحتاج.. أحتاج منكِ أن تستمعي لي بتركيز شديد، حسناً؟» كان صوته يرتجف خوفاً متصاعداً. خوف تسرب من الهاتف وأصابني بالعدوى.

«أنا أستمع.»

على الرغم من أنني لم أكن أعرف من يكون، إلا أنه تحدث بإلحاح يائس جعلني لا أستطيع إلا أن أتمسك بكل كلمة. أكمل:

«ما لون الأرنب؟»

«بني.»

أصدر صوتاً مرتعشاً، زفرة عصبية؟ أم تنهيدة ارتياح؟

«هل.. هل لا يزال في المنزل؟»

ترددت.

«**مايسي**.»

«لا..»

«كيف هرب؟»

«أنا.. أه، أخرجته..»

«حسناً، حسناً، لا بأس» قال بنبرة مضطربة كانت تعني بوضوح أن الأمر ليس كذلك. «من طرق الباب؟»

«امرأة، أه، **لوسي**..»

«ماذا قالت؟»

«أرادت التحدث، قالت إن شـ.. شخصاً ما قفز عند نقطة المشاهدة.» شتم الغريب تحت أنفاسه. من جهته، تكررت جوقة الصرخات، أعلى وأقرب. خفض صوته:

«يجب أن تتبعي آثار أقدامها.»

«مـ.. ماذا؟»

«عندما تدق الساعة منتصف الليل، يجب أن تتبعي تلك الآثار إلى الغابة.»

احتمال التجول في ظلام الليل الدامس، متبعةً آثار أقدام تخص الله وحده يعلم ما، وتؤدي إلى الله وحده يعلم أين—كان ذلك أقل جاذبية حتى من حرق أرنب حياً.

«لن أفعل، مستحيل أن..»

صرخ بحدة :

«**مايسي**.. هل وافقتِ أم لم توافقي على تولي مهمة حارسة هذا المنزل؟»

«مـ.. ماذا؟»

«فقط أجيبي على السؤال.»

فكرتُ في اليوم السابق، اللحظة التي عبرتُ فيها حدود العقار، وخطوتُ على الممر: *بمجرد أن تطأ قدماكِ هذا العقار بنية أن تكوني حارسته، لا يمكنكِ الاستقالة ببساطة.*

أومأتُ برأسي إيماءة خاملة، ثم أدركتُ أنه لا يستطيع رؤيتي.

«أنا.. فعلت.»

«جيد.» قالها وكأنه يعرف الإجابة مسبقاً. «إذن افعلي ما أقول. أنتِ على بعد خيط واحد من إطلاق العنان لشيء أسوأ بكثير من أهوال الجحيم التي لا يمكن تخيلها. هل تفهمين؟ عند الساعة الثانية عشرة صباحاً—تتبعي تلك الآثار إلى الغابة.»

كتبتُ:

عند 12ص اتبعي الآثار

تابع الغريب :

«أينما قادتك هذه الطريق، سيكون هناك أحدهم بانتظارك في النهاية. يجب أن تهدئي من روعهم.»

كتبتُ:

هدئي من روعهم

«لا تدعيهم يغادرون العقار أثناء وجودكِ معهم—بأي ثمن. ولا تدعيهم يفقدون السيطرة. إذا بدأوا بالبكاء بلا توقف أو، الأسوأ، بالتفوه بهراء غامض، اركضي. اركضي عائدة للمنزل قبل أن يسبقوكِ إليه. ثم أغلقي الأبواب، و..»

«هل يمكنك التمهل؟ أنا..»

«حتى لو سبقوكِ للمنزل، لا تغادري، ادخلي للداخل، أغلقي الأبواب حتى لا يدخل المزيد منهم، انتظري أحداً ليتصل.»

بالكاد قادرة على استيعاب هذا الجنون، كتبتُ بخط مضطرب:

لا يغادرون العقار—إذا بكوا أو تفوهوا بهراء—اركضي للمنزل—أغلقي الأبواب—انتظري الاتصال

قال:

«**مايسي**، أرجوكِ، أنا أعيش في مكان فشل فيه شخص مثلكِ و.. إذا تحولت الشمس إلى اللون الأحمر، أنتِ..»

سكت. من جهته، تردد صدى خطوات ضخمة، مكتومة بسبب باب مغلق، أو ربما جدار رقيق. في البداية، ظننت أنها تخص شيئاً هائلاً، لكنني أنصتُّ جيداً. كانت خطوات العشرات، جميعهم يسيرون في توافق شبه مثالي. حتى عندما كانوا يتعثرون، كانت الخطوات متزامنة، وكأن أجهزتهم العصبية مربوطة ببعضها البعض. جوقة من عقل خلية واحد. إيقاع طبول كابوسي، يقترب، ويقترب...

بدأ الرجل يهمس لنفسه، بصلاة غريبة ويائسة:

«لأننا رأينا أعمالك ونحتنا أوعيتك. لأننا ندافع حتى عمن يلقون القذارة على اسمك. لأننا..»

صرخت أصوات كثيرة في وقت واحد، صرخة بشعة ومشوهة..

نقر.

انتهت المكالمة.

وقفتُ هناك ممسكة بالهاتف، أحدق ببلادة في انعكاسي الحائر في صورة **ويندفول إنليت**. كان عقلي على وشك الدوران، ليحاول تبرير كل ما سمعته للتو، لكن..

اتبعي الطقوس.

وضعتُ الهاتف جانباً، عبرتُ الردهة، وتوقفتُ عند الباب. حدقتُ عبر اللوح الزجاجي. قادت آثار أقدام **لوسي** عبر ممر الحصى، إلى الغابة المظلمة، متلاشية بين أعمدة الجذوع. أغمضتُ عينيّ وفركت صدغاي، بحركات دائرية بطيئة لم تزد الصداع إلا سوءاً. فتحتُ عينيّ، أحدق مجدداً في تلك الآثار على الحصى. عندما تدق الساعة منتصف الليل، لن يكون أمامي خيار سوى اللحاق بها.

2
آثار أقدام

كنتُ أجوب الطابق الرئيسي ذهاباً وإياباً، متفقدةً الوقت مراراً:

11:58

مرّت الدقائق ثقيلة كأنها ساعات. خدشتُ عنقي حتى ظهرت علامات حمراء، وقضمتُ أظافري حتى الجلد. كان عليّ أن أظل متحركة. أسير نحو النافذة، أحدق في الغابة، أمشي نحو باب الفناء، أتفقد القفل، أطوف في المطبخ، أتفقد الوقت، أسير نحو الردهة، أتفقد القفل. أكرر الدورة. لو توقفتُ طويلاً، ربما ستلحق بي أفكاري وتهاجمني كفيلق من النمل القارص—لتلتهم ما تبقى من عقلي. كان عليّ أن أظل متحركة.

11:59

كانت هناك لحظات وجيزة يمكنني فيها رؤية الوضع من منظور «عقلاني»، والابتعاد خطوة عن كل هذا. أن أصرخ في نفسي لأغادر المنزل، أن أتصل بالسلطات، أن أحجز لنفسي مكاناً في أقرب مصحة نفسية. أن أفعل أي شيء غير ما كنت أفعله، لكن.. لم يكن لأي من ذلك أهمية. لو فشلتُ الليلة، ستشرق شمس حمراء في الصباح و..

كانت هذه حقيقة أكثر وضوحاً من الوجود نفسه، وأكثر حتمية من الجاذبية. إن لم أواصل طقوس **ديفيد**ـــإن لم أتبع تلك الآثار عند منتصف الليلـــفسيكون مصير **جيما**، ومصيري، ومصير كل روح على كوكب الأرض، هو الهلاك في بؤس لا يمكن تخيله.

أخرجتُ الإيصال المجعد، وأعدتُ قراءته للمرة المائة:

عند 12ص اتبعي الآثارـــهدئي من روعهمـــلا يغادرون العقارـــإذا بكوا أو تفوهوا بهراءـــاركضي للمنزلـــأغلقي الأبوابـــانتظري الاتصال

دستُه في جيبي و..

12:00

اندفعتُ إلى الردهة، ارتديتُ معطفي، وربطتُ حذائي. فتحتُ الباب الأمامي. كان المطر يهطل، رذاذ يتساقط فيحول الدرج الخرساني إلى لون رمادي معدني. انتزعتُ معطف المطر الأخضر الزيتوني عن العلاقةـــكان كبيراً قليلاً على مقاسي، أقرب إلى عباءة منه إلى معطف.

بدت الغابة أكثر ظلمة الآن، والظلال بين الجذوع كضباب لا يمكن اختراقه. أسرعتُ عائدة للداخل، التقطتُ المصباح اليدوي من الصينية الخشبية، ثم عدتُ إلى الشرفة. أشعلتُ المصباحـــامتد شعاعه عبر الممر وضرب خط الأشجار، دائرة من التوهج الأبيض كشفت عن تلك الأعمدة المرعبة من الأسنان الخشبية.

اتبعي الطقوس.

رفعتُ قلنسوتي، وخطوتُ خارجاً إلى الشرفة، وأغلقتُ الباب. بدأتُ النزول على الدرج الخرساني. كانت عاصفة تقترب، شممتُ رائحتها في الهواء، تلك اللسعة القلوية التي تكاد تتذوقها. أسرعتُ عبر الممر. نقر المطر بنقرات جوفاء ضد قلنسوة المعطف. توقفتُ عند حافة الغابة—حدود مضطربة من الطين المبتل، وجذور متعرجة، وحصى متناثر. الأرض الحرام بين الحضارة والبرية. وجهتُ ضوئي نحو البرية. رفضت الغابة هذا الاقتحام، ولم تسمح للشعاع سوى بـثلاثين قدماً قبل أن تبتلعه في الظلال والأغصان. صوبتُ نحو المسار الترابي. كانت آثار أقدام **لوسي** قد تحولت إلى انخفاضات خافتة. سيغسلها المطر كلها قريباً..

بزز.. بزز.. بزز..

أخرجتُ هاتفي:

تذكير—عيد ميلاد أبي اليوم

داهمتني ذكريات **أبي**، ابتسامته، ضحكته، و..

اتبعي الطقوس.

دسستُ هاتفي في جيبي، كبحتُ مشاعري، وألقيتُ نظرة أخيرة على المنزل—مربعات من الضوء محاطة بسوادٍ متحرك. كانت القطة **بروني** تجلس فوق نافذة غرفة المعيشة، ظلاً داكناً، أذناها منتصبتان، وذيلها يتأرجح. خطط المطر الزجاج، ونثر الظلال فوق

العشب الموحل في الأسفل. التفتُ نحو الغابة، وسرتُ بخطوات ثقيلة في المسار.

فقط اتبعي الطقوس، وسيكون كل شيء على ما يرام.

تحت غطاء الأشجار، كان الظلام مستهلكاً لكل شيء، وكأن العالم خارج شعاع مصباح قد كفَّ عن الوجود. لكن المطر كان أكثر نعومة، وتحولت خطواتي من أصوات ارتطام رطبة إلى وقع جاف ثم عادت رطبة مجدداً. على جانبي المسار، بدت الأشجار وكأنها تتصارع على المساحة، جذور تختنق، وأغصان تطعن—كل شيء متجمد في صراع يائس على النفوذ.

تشكلت وجوه في الظلال، أشباح عابرة ولدها وهج المصباح..

خدع ضوئية مخيفة أجبرتني على إبقاء عينيّ على المسار.

دون سابق إنذار، توقف المطر، وحل محله صمت مطبق. تضخمت أصغر الأصوات: تكسر الأغصان، تساقط أكواز الصنوبر. واصلتُ التركيز على آثار الأقدام، رأسي لأسفل، والقلنسوة مرفوعة. في غياب المطر، بدأت الغابة تدب فيها الحياة تدريجياً..

صرير الصراصير، نقيق الضفادع، وحتى صياح بومة عرضي.

انعطف المسار بحدة يساراً، لكن آثار الأقدام استمرت مباشرة نحو الغابة.

تباطأتُ، ماسحةً الأشجار بنظري—شجر بتولا أبيض يرتفع في السواد كأعمدة تحمل سماءً غير مرئية. قادتني الآثار عبر سجادة رمادية من الأوراق الميتة. واصلتُ التقدم، خارج المسار المعتاد. سارت **لوسي** في خط مستقيم، ولم تنحرف إلا لتجنب جذع شجرة أو صخرة عرضية. سرعان ما أفسح شجر البتولا الطريق لسنديان معقوف، ملتوٍ وبلا أوراق. كانت الصراصير قد خنقت كل ضجيج آخر، طنين لا ينتهي جعل من الصعب التفكير. *استمري في التحرك يا* ***مايسي****. استمري في التحرك.*

«أنا أعرفكِ» تردد صوت، وساد صمت الموت في الغابة إثره. استدرتُ بحدة لأواجه سنديانة معقوفة، على مرمى حجر مني. تردد صدى الصوت خافتاً في الظلام الرطب. كان يبدو كصوت طفل.. أو ربما شخص بالغ رفع صوته عمداً إلى حدة صراخ طفولية. وقفتُ متصلبة، والدم الساخن يندفع إلى صدغي. جاء الصوت من مكان ما خلف تلك السنديانة المعقوفة. كان الجذع مغطى بعُقد منتفخة. عُقد تشبه أكياساً متمزقة، متشققة ومنتفخة، تنزف دموعاً من عصارة جفت منذ زمن طويل. و.. عند قدم الجذع، ملقاة فوق كومة متشابكة من الجذور: حقيبتي. كانت تجلس هناك، كطعم لصياد. تتحداني أن أقترب. تتحداني أن أنحني، ألتقطها، وأخفض حذري.

استمري في التحرك. اتبعي آثار الأقدام.

اتخذتُ خطوة حذرة للخلف، عندما..

انزلقت واحدة من تلك العُقد المنتفخة بعيداً عن الرؤية.

تحول الدم الساخن في صدغي إلى جليد بارد، وبدت الأرض وكأنها تميل. كان هناك شيء يختلس النظر من خلف تلك الشجرة، يراقبني.

قبل أن أعرف ذلك، وجدتُ نفسي أستدير، وأركض في الاتجاه المعاكس. كانت أطرافي قد تحركت دون إذن من دماغي—لكنها لم تكن تجعلني أتراجع عن هذه الغابة البغيضة—بل كانت ساقاي تجبرانني على التعمق أكثر. مسح شعاع مصباحي أرضية الغابة، ليلتقط أثر **لوسي** مجدداً. في أي ظرف آخر، رؤية ما رأيته للتو كانت ستجعلني أركض صارخةً عائدة للمنزل، لكن الآن، تلك الحاجة القهرية لتنفيذ الطقوس، والتماس الراحة، كانت تتجاوز كل غرائزي الأخرى، بما فيها البقاء. لم يكن الأمر يتعلق بإنقاذ البشرية بقدر ما كان يتعلق بحك حكة لا تشبع. ومع ذلك، واصلتُ الالتفات للخلف، متأهبة لرؤية شخصية شاحبة ذات رأس منتفخ تطاردني عن كثب، لكن لم يكن هناك شيء..

*فقط اتبعي الطقوس يا **مايسي**. اتبعي الطقوس وسيكون كل شيء على ما يرام. اتبعي الطقوس.* تكرر الشعار مجدداً ومجدداً، دافع يستهلك كل شيء، كأن شفرة حلاقة صدئة علقت بين سنيّ الأماميتين. لم يكن أمامي خيار سوى محاولة التخلص منها بلساني:

اتبعي الطقوس، اتبعي الطقوس، اتبعي الطقوس..

3
الباكية

تفرقت أشجار السنديان المعقوفة لتشكل ساحة دائرية. تجمدتُ في مكاني، وألقيتُ نظرة سريعة أخرى خلف كتفي—لم أقابل سوى الظلام الموحش والصمت الأجوف. عدتُ أدراجي نحو الساحة؛ كانت واسعة بما يكفي لاستيعاب قصر، والأرضية مغطاة بالمزيد من الأوراق الميتة وإبر الصنوبر. كانت هناك تلال صغيرة على الأرض، عشرات منها في المجموع. أكوام من التراب متباعدة بانتظام. صورة جعلتني أفكر في قبور بلا شواهد، وجثث مدفونة..

ركّزي يا ***مايسي****. اتبعي الطقوس.*

حركتُ ضوئي في كل اتجاه، باحثةً، لكن أثر الأقدام قد برد.

«تباً.»

دفعتُ نفسي للأمام، أطارد أي علامة تدل على **لوسي**—غصن مكسور، أثر حذاء في الأوراق، أي شيء. استقر شعور غثيان بالرهبة في عظامي، جاعلاً إياي أشعر مجدداً بالحقارة والتدنس، كما لو أن تقصيري كان موجهاً ضد نظام الواقع نفسه. تصعيد لتلك المشاعر التي انتابتني بعد الفشل في إطفاء الضوء في الوقت المناسب، وبعد رفض حرق الأرنب. بدأ المطر يهطل مرة أخرى، يقرع بنمط منخفض ضد الأرض..

«**زي؟!**»

ارتفع رأسي فجأة. تردد صدى الصوت في أرجاء الساحة—صوت جديد ولكنه مألوف.

«**زي؟!**» نادت مجدداً. «أين أنتِ؟!»

مسح ضوئي سنديانة ساقطة، واخترق ستارة من الظلال. قادني منحدر موحل نحو جمهور من أشجار الصنوبر الأبيض، تقف بانتباه في السواد. كان أثر الأقدام يتلوى بينها. نظرتُ خلف كتفي مجدداً. قفز شعاع مصباحي من جذع إلى جذع، ولم يكن هناك أي مطارد في الأفق. لكن بقعة متوهجة كانت تحوم بين الأشجار البعيدة—هل هو المنزل؟

«**زي!**»

التفتُ نحو الصوت. *هدئي من روعها.*

هبت عاصفة من الأشجار في الخلف، دافعة إياي للأمام. كشف وميض برق عن الغطاء النباتي في الأعلى. ضرب المطر وجهي، ودوى رعد بعيد. تسلقتُ فوق السنديانة الساقطة. خدشت أشواك العليق معطفي كأنها تحاول تحذيري مما يكمن في الأمام. تخلصتُ منها وواصلت الصعود على المنحدر الموحل. حين بلغت القمة، وقع ضوئي على شخص يقف على بعد عشرين قدماً تقريباً، يرتدي جينز أزرق ومعطف مطر أصفر. استدار الشخص نحوي، رافعاً يداً ليحمي عينيه من وهج المصباح.

سألت: «**زي؟** هل أنتِ؟»

خففتُ الضوء—فأنزلت يدها. شعر أحمر، وخدود مغطاة بالنمش. كانت **لوسي**، تماماً كما توقعت، لكن.. تغير لون عينيها الآن. لون أزرق شاحب، بارد لدرجة أنه كاد يكون أبيض. لم أكن أستطيع تذكر لون عينيها عندما التقينا في نقطة المراقبة، لكنهما بالتأكيد لم تكونا زرقاوين.. أو على الأقل ليس بهذا اللون من الأزرق.

قالت:

«أبحث عن صديقتي» لم يكن هناك أي اعتراف في تعبيرها القلق—بالنسبة لهذه «**لوسي**»، كنتُ غريبة تماماً. «هي بطولي تقريباً،» تابعت، وصوتها يرتجف. «شعر داكن، سترة زرقاء. اسمها **برينا**، لكنها تدعى **زي**، كنت فقط.. كنا، كنت فقط..» تعثرت في كلامها، وفجأة أصبحت على وشك البكاء.

هدئي من روعها.

«مهلاً، مهلاً.» اقتربتُ أكثر. «أنا.. أنا متأكدة أنها ليست بعيدة. هل يمكنني مساعدتك في العثور عليها؟»

قطع وميض برق آخر الظلام. استقامت **لوسي**، استنشقت بقوة، وتمالكت نفسها. دوى الرعد. التقت نظراتنا، وتلك العيون الزرقاء الباردة بشكل غير طبيعي جعلت قشعريرة تسري في جسدي. كبحتُ قلقي:

«أنا هنا للمساعدة، حسناً؟»

«حسناً..»

فتحتُ فمي، دون أدنى فكرة عما يجب أن أقوله تالياً. كان أمراً يتجاوز الغرابة، محاولة تهدئة شخص آخر، بينما كنتُ أنا من على حافة الجنون. وظللت ألقي نظرات خلف كتفي، متوقعة رؤية شخصية شاحبة تختلس النظر من خلف شجرة. عانقت **لوسي** نفسها، وتزايد التوجس تحت عينيها الزرقاوين الجليديتين. قلقها لم يؤدِّ إلا لتغذية قلقي أنا. حلقة مفرغة.

قلتُ أخيراً :

«أين رأيتِ صديقتكِ آخر مرة؟ عادةً.. هذا مكان جيد للبدء..»

أشارت **لوسي** إلى الغابة خلفها.

«من تلك الناحية، قرب نقطة المراقبة.»

استدارت ببطء، وبدأت تسير بخطوات ثقيلة.

بقيتُ ساكنة، ماسحةً الظلام الذي تتجه نحوه. صنع المطر أنهاراً صغيرة في الأرض. قطع مسطحة من الأوراق الميتة تتحرك وتتشقق مثل جلد مقشر. أرسلت الرياح موجات من الهمس المحتج عبر الأشجار، وكشف وميض برق عن ذلك الحبل الشاحب النحيف، على بعد لا يزيد عن مئة قدم، يتأرجح مع الريح بإيقاع أرجوحة ملعب. خفق قلبي كالمطرقة..

اتبعي الطقوس: لا تدعيهم يغادرون العقار أثناء وجودك معهم، بأي وسيلة ضرورية.

ناديتُ :

«انتظري» بصوت بدا أكثر إلحاحاً مما كنت أقصد.

نظرت **لوسي** للخلف، كانت قد قطعت عشرين خطوة فقط، لكن ذلك كان ربع المسافة. انتظرت مني أن أقول شيئاً. وقفتُ وفمي مفتوح، أبحث عن كلمات، حتى قلت: «هل تغني صديقتكِ؟» لم تكن لدي أدنى فكرة إلى أين سأصل بهذا.

«نعم هي تغني..»

«أجل، أنا.. في وقت سابق سمعتُ شخصاً يغني» كذبتُ. «من هذه الناحية.» بدأتُ بالمشي، وأشرتُ لـ **لوسي** لتتبعني، لكنها ظلت ثابتة في مكانها. أبطأتُ، والتفتُ، ورفعتُ حاجباً، متصنعة حيرة بريئة. هبت عاصفة قوية أزاحت قلنسوة **لوسي** للخلف ومرت عبر الأشجار في الخلف، كأن الطبيعة نفسها تريدها أن تغادر العقار. أعادت سحب قلنسوتها للأعلى ودرستني، حيث تصلب تعبيرها الحذر إلى نظرة حجرية.

«هل تحاولين خداعي؟»

رمشتُ:

«أحاول أن.. أحاول المساعدة..»

«**زي** لا تغني في الخارج أبداً.»

«أعرف ما سمعته، أنا..»

هتفت **لوسي**:

«توقفي» بصوت مليء برنين مفاجئ. «فقط..» عاد صوتها إلى نبرة واهنة، متعبة ومهزومة. «أرجوكِ توقفي..» فركت أنفها بجانب يدها واستنشقت، وابتلعت غصة في حلقها. «أنتِ.. أنتِ مثل الأخيرة.. أنا.. أريد فقط العثور على صديقتي. إنه خطئي أنها—أنا فقط، أحتاج فقط أن أخبرها كم هي، كم هي..» أخذت **لوسي** نفساً بطيئاً ومتقطعاً، الصوت العالمي لـ «أنا على وشك الانهيار بالبكاء»، و..

صرخت مجدداً:

«انتظري» نظرت إليّ، مستنشقة، ولا تزال على وشك البكاء.

اعترفتُ:

«أنتِ محقة، كنتُ أكذب.» بدا أن ذلك جذب انتباهها. تابعت: «لكنني كنت أكذب لأ.. أحميكِ، لأحمينا كلتينا.» استنشقت مجدداً، لا تزال متشككة، لكنها مستعدة لسماعي.

«**لوسي**» اتخذتُ خطوة حذرة للأمام.

«كيف عرفتِ اسمي..»

«أنا خائفة ومرتبكة مثلك تماماً، حسناً؟ لكن إذا لم نستطع البقاء هادئتين، فلن نجد صديقتك أبداً و..»

من مكان ما في الظلام خلف ذلك الحبل الشاحب النحيف، بدأ صوت يغني. أغنية غير مألوفة بلغة لم أكن أعرفها. كان صوتاً جميلاً،

بطيئاً وحزيناً، ناعماً ومتناغماً—نوع الصوت الذي، في أي سياق آخر، كنتُ قد أغمض عينيّ وأتركه يغمرني، لكن هنا، الآن، كان مثل قطعتين من ورق الصنفرة تلتويان ضد طبلة أذني.

التفتت **لوسي** للخلف. «**زي؟!**» انطلقت نحو خط العقار ووضعت يديها حول فمها. «**زي!!**»

هدئي من روعها.

«**لوسي**، لا.» لحقتُ بها، وقلبي الخافق يهدد بالقفز من حلقي. «توقفي.»

واصلت الحركة، وصرخت مجدداً: «**زي!!؟**» استمر الغناء بلا هوادة. زادت **لوسي** من سرعتها. اندفعتُ للأمام وأمسكتها من مرفقها—أفلتت مني، دون حتى أن تنظر للخلف.

«**لوسي**، إنها ليست **زي**.» واصلتُ المتابعة، مستعدة تماماً لطرحها أرضاً. «**زي** لا تغني في الخارج، أليس كذلك؟ هذه ليست هي.»

كان خط العقار على بعد ثلاثين قدماً فقط، **لوسي** تركض الآن بنصف سرعتها، عشرون خطوة، عشر خطوات، خمس، و..

سحبتُ الهواء من أعمق زوايا رئتيّ، وصرخت: «**لوسي**.»

توقفت بحدة، على بعد خطوة واحدة من خط العقار. استدارت لتواجهني.

حتى الغناء توقف. صككتُ على أسناني، وخفضتُ صوتي إلى نبرة جادة ومميتة:

«إذا تجاوزتِ ذلك الحبل، فلن تريها أبداً مجدداً. هل تفهمين؟ لن تري **زي** أبداً وسيكون ذلك خطأكِ أنتِ.»

تهشم وجه **لوسي** الشاحب بصدمة مذهولة، «أنا.. أنا.. ماذا..» كانت على وشك البدء بالبكاء مجدداً.

تباً. لقد تماديت. تراجعت:

«لكن إذا.. إذا جئتِ معي، يمكننا إنقاذها، حسناً؟»

«أنا لا، أنا لا، أنا..»

«**لوسي!**» نادى صوت من الظلال خلف ذلك الحبل الشاحب النحيف. «أين أنتِ؟!»

نظرت **لوسي** خلف كتفها. «هذه **زي**..» لكن كان هناك تلميح من الشك المرتجف في كلماتها الآن.

قلت:

«إنها ليست كذلك، ليست **زي**، فقط.. فقط تعالي معي..»

«**لوسي!**» نادى الصوت مجدداً. «ساعديني!!»

«إنها ليست هي..»

بينما كان الصوت يستمر في الصراخ طلباً للمساعدة، كنتُ أستمر في قول أي شيء يخطر ببالي لأستدرج **لوسي** بعيداً. أغمضت عينيها بشدة، محاصرة في شد وجذب لفظي. قبضت يديها في قبضتين، ورفعتهما إلى جانبي رأسها. ترنحت—كشجرة مقطوعة

تقرر إلى أين تسقط. صمتٌ. وصمت الصوت كذلك. سقطت **لوسي** مباشرة على ركبتيها.

«كل هذا خطئي.. كل هذا..» بدأت تضرب نفسها، تلطم صدغيها بضربات مكتومة. النقيض التام للهدوء.

اندفعتُ أقرب، وأنا أهذي:

«لا، لا، **لوسي**، لا بأس، ليس خطأكِ..»

دفعتني بقوة. ترنحتُ للخلف، تعثرت بصخرة، وسقطتُ مباشرة على عصعصي—اندفعت صدمة من الألم الحاد على طول عمودي الفقري. انزلق المصباح من يدي، ليتدحرج ويتوقف في الوحل. امتدت دائرة توهجه الأبيض عبر أرضية الغابة، مسلطةً ظل **لوسي** على رقعة وحشية من اللبلاب السام وأشواك العليق. أخذت نفساً آخر طويلاً ومتقطعاً، ثم.. انفجرت في نوبة بكاء لاهث. تنفس ثقيل وفوضوي، يبدو حيوانياً أكثر منه بشرياً. جلستُ هناك على عصعصي المؤلم، مصدومة—لم أرَ حزناً كهذا من قبل. مع كل صرخة شهيق، كان جسد **لوسي** بالكامل يرتجف، والدموع تنزلق من عينيها، وتتدفق على خديها المغطيين بالنمش. تصاعدت العاصفة مع حزنها، وأصبحت الرياح أقوى، وأعلى، و..

في لحظة، وكأن مُخرجاً غير مرئي وغير مسموع قد صرخ «توقف»، توقفت العاصفة، توقفت **لوسي** عن البكاء، وتغير وجهها

فجأة إلى حياد كامل وتام. نظرت إليّ، عيناها الزرقاوان الشاحبتان بلا رمش، فارغتان. ثم، بصوت بالكاد يتجاوز الهمس قالت:

«**مايسي مولينز**، أنا أعرفكِ.»

4
الهروب

غلّف عقلي بردٌ زاحف، اعتصرني بقوة، وطرد سحابة سامة من الرعب النتن. قفزت **لوسي** على قدميها، وانطلقت بجانبي كالسهم، ثم تلاشت أسفل المنحدر الموحل. وفي اللحظة التالية، وجدتُ نفسي أشق طريقي عبر الأشجار بسرعة لم أعهدها في حياتي قط. في الظلام المتلبد، كان الوميض الأصفر لمعطف **لوسي** هو دليلي الوحيد. لقد تركتُ المصباح اليدوي خلفي، لكن ذلك لم يعد مهماً الآن. بدا أن الأدرينالين الذي يضخ في عروقي، بارداً وكهربائياً، يجعل الظلال أكثر سطوعاً. وبين الأشجار البعيدة، لاح ذلك النجم الخافت:

5037 بروكس فيو هايتس.

اتبعي الطقوس: عودي إلى المنزل قبلهم.

عودي إلى المنزل.

ترددت العبارة مع كل نبضة قلب متسارعة، ومع كل وقع قدم:

عودي إلى المنزل. عودي إلى المنزل.

حفيف الأغصان كان يتعالى على جانبيّ. ظهرت أشكال، صفراء وضبابية. المزيد من «الزوار». عشرات، بل مئات. جميعهم يرتدون معاطف مطر صفراء. وجميعهم يركضون نحو المنزل.

تجاهلتُ الرعب المتصاعد في معدتي، والألم النابض في عصعصي، وحرقة الألم في رئتيّ. ركضتُ أسرع.

عودي إلى المنزل.

لطمت الأغصان جلدي، تاركة وراءها جروحاً لاذعة. انحنيتُ وتفاديتُها بخفة لم أمارسها منذ دوري كرة القدم للشباب. كنتُ في كامل تركيزي. كانت تلك أعمق دوافعي منذ.. كرة القدم للشباب.

عيناكِ على الجائزة يا ***مايسي.***

حملتني ساقاي فوق الجذور والصخور. كانت الأشجار هي الفريق الخصم، وتحركتُ بينها بيسر. لقد تركتُ الزوار الآخرين خلفي في الغبار، لكن **لوسي** لا تزال في المقدمة. لن يدوم ذلك طويلاً.

ثلاثون قدماً. عشرون. عشرة.

في الأمام، بدا المنزل يلوح أكثر فأكثر، ذلك النجم الخافت بدأ يكتسب ملامح ملموسة: نوافذ مستطيلة، سقف مدبب، و.. الباب. الباب الأمامي الذي كنتُ متأكدة أنني أغلقته كان الآن مفتوحاً على مصراعيه.

اندفعت **لوسي** خارج الغابة، وتعثرت بجذر معقوف، وسقطت على ممر الحصى. تدافعت لتنهض. كنتُ ألاحقها مباشرة، والحصى يتطاير من عقبيها، ليرتد على ذقني. *ادخلي قبلها. أغلقي الأبواب.* جندتُ كل وتر، وكل مشبك عصبي، وكل ليف عضلي، لكن ساقيّ رفضتا ببساطة التحرك بسرعة أكبر، و..

انطلق ضوء الحركة بينما كنا نقصف الممر ونتجه مباشرة نحو الشرفة الأمامية. قرقعت خطواتنا على الحصى، *طاخ، طاخ، طاخ*. قفزتُ للأمام، ولففتُ ذراعيّ حول خصر **لوسي**، وطرحتها أرضاً. حلقنا في الهواء، لحظة غريبة بلا وزن انتهت بصوت *طقطقة* مقزز. كان وجه **لوسي** قد ارتطم بالزاوية الحادة لدرجة خرسانية. لكنها لم تئن حتى. بل راحت تزحف، بصمت مروع، تسحب نفسها للأعلى خطوة بخطوة، وتجرني معها بينما كنت أتمسك بساقيها من الخلف، لاهثة ومنهكة.

وبينما كانت لا تزال تزحف، نظرت إليّ، وكان وجهها غارقاً في ضوء الحركة القاسي. حيث كان يجب أن يكون أنفها، كان هناك جرح غائر ومغور، أحمر داكن، تتخلله البياض الناصع للعظم المكسور والغضاريف التالفة. تسرب الدم من الجرح، وسال على ذقنها ورقبتها. ومع ذلك، ظلت عيناها الزرقاوان الباردتان فارغتين تماماً، متبلدتين.

انتزعت ساقها من قبضتي، رفعتها للأعلى، ثم أنزلتها بقوة. اصطدم الكعب الموحل لحذاء رحلاتها بعينيّ بصوت *خبطة* جوفاء. لم أشعر حتى بالارتطام. ارتخت قبضتي، وتهاويتُ للخلف، فقرقع الحصى تحت ظهري. ثم، سمعتُ صوت خطوات. خطوات تركض صاعدةً الدرج الخرساني، داخل المنزل.

تضاءلت رؤيتي، وتحول كل شيء إلى ظلام ساحق.

5
السجن

كان الوجود فراغاً ضبابياً، ومزيجاً غامضاً من المثيرات غير المترابطة. ظلام، رائحة كلور نفاذة، سجادة زرقاء مائلة للخضرة. ظلام، بلاستيك أسود لامع، ضوء أحمر، ضوء أزرق، ضوء أحمر، ضوء أزرق، أرنب محشو بفرو خشن، ضوء أحمر، ضوء أزرق، بلاستيك أسود لامع، ضوء أحمر، ضوء أزرق، ظلام.

عادت الحقيقة في خمس مراحل. كانت الأولى هي التذوق؛ المذاق المعدني للدم على لساني، كأنني أمضغ حفنة من العملات النحاسية المتسخة، مع لمسة مالحة من المخاط واللعاب الجاف الذي يكسو حلقي من الخلف.

جاء اللمس في المرحلة الثانية؛ آلاف النتوءات الصغيرة التي تنغرس في ظهري—حصى؟—ثم ألم نابض بين عينيّ، ولسعات جروح تكسو جلدي.

جاء البصر في المرحلة الثالثة؛ حيث بدأ الفراغ الضبابي يعيد تشكيل نفسه في محيط مألوف على نحو غامض. درجات خرسانية، ألواح بلون الزيتون الأخضر، وسماء داكنة مرصعة بالنجوم كأنها ثقوب دبابيس في غطاء أسود.

ثم جاء الشم؛ رائحة أجساد وعرق، الرائحة الترابية للخرسانة بعد هطول المطر، وعبق حلو ومر لأشجار متعفنة ومحيط **الباسيفيك** صحيح، كنتُ على الساحل. لماذا؟

تصلبتُ أمام الألم، والتفتُ إلى جانبي. انطلق ضوء الحركة فجأة. كانت هناك فوضى ملطخة من الطين تصعد الدرجات الخرسانية؛ آثار أقدام، آثار أيدٍ، وكلها تتجه نحو الشرفة الأمامية. ضيقتُ عينيّ، كانت هناك أيضاً نقاط من الدم متناثرة وسط ذلك الطين الفوضوي. أخيراً جاء السمع؛ الطنين الكهربائي لضوء الحركة، ونسيم بطيء يتسلل عبر الغابات المحيطة.

دفعتُ نفسي لأجلس وأخذتُ نفساً عميقاً، ثم زفرتُه. احترقت رئتاي بلسعة خشنة. هل كنتُ أركض؟ تحركتُ فوق الحصى، بينما كان ألم خفيف ينبض في عصعصي. استندتُ على يديّ وركبتيّ، ضغطتُ للأسفل على الدرجة الأولى ونهضتُ بغير ثبات.

شعرتُ كأنني عجل مولود حديثاً يتعلم المشي. كدتُ أسقط على الدرجة الثانية، لكنني استعدت توازني متمسكةً بالجدار. بدأتُ أنفض الطين الجاف عن بنطالي. في ذهولي شبه الواعي، ظننتُ أن عليّ أن أبدو بمظهر لائق—ربما كنتُ على وشك إجراء مقابلة عمل: *تماسكي يا **مايسي**. لا تفسدي الأمر، لا تفسدي كل شيء كما تفعلين دائماً..*

عادت كل الذكريات دفعة واحدة. كنتُ أرعى منزلاً لرجل ميت. لا، ليس مجرد رعاية منزل—بل تطبيق طقوس. منع شمس حمراء من الشروق في الصباح، حماية **جيما**، حماية البشرية، و..

توقفت أفكاري المتسارعة بعنف، وقد أصابني الذعر عند رؤية مشهد مروع في الغابات المحيطة. اتسعت عيناي. ناس.. زوار. عشرات بل مئات؛ رجال ونساء وحتى أطفال. جميعهم يرتدون معاطف مطر صفراء، وكلهم يقفون في سكون تام، وجوههم فارغة وبلا تعبير. شكلوا محيطاً واسعاً يمتد عبر ممر الحصى ويبدو أنه يلتف حول المنزل بأكمله. كانت الرسالة، سريالية ومشؤومة، واضحة بشكل مرعب:

لا يمكنك المغادرة.

6
المتسلل

إذا سبقوكم إلى المنزل، فلا تغادروا، بل ادخلوا للداخل، وأغلقوا الأبواب حتى لا يتمكن المزيد منهم من الدخول، وانتظروا أحداً ليتصل.

***

صعدتُ الدرج ببطء. كانت كل خطوة ترسل موجات من الألم المزعج عبر ساقيّ وصولاً إلى عمودي الفقري. تباطأتُ عند الشرفة؛ كان الباب الأمامي لا يزال مفتوحاً على مصراعيه، وأثر أقدام الطين يقود عبر الردهة، ليختفي داخل غرفة المعيشة. كانت هناك لطخة حمراء على طول الجدار الخشبي—أثر يد متخبط. ومضت صورة في رأسي: أنف **لوسي** المشوه، والدم يتدفق على ذقنها ورقبتها. عيناها الزرقاوان الباردتان بلا رمش تحت وهج ضوء الحركة. تشنجت كتفاي.

أخذتُ نفساً عميقاً آخر مرتجفاً، وزفرتُه. خطوتُ إلى الداخل، سحبتُ الباب وأغلقته، ثم أدرتُ القفل. بظهري الملتصق بالجدار، تقدمتُ بوصةً بوصة، متأهبةً لرؤية ذلك المعطف الأصفر يزحف

إلى مجال رؤيتي، وتلك العيون الزرقاء الباردة، لكن.. كانت آثار الأقدام تقود عبر المطبخ، وتنحرف نحو الردهة الخلفية.

أغلقي الأبواب حتى لا يدخل المزيد منهم...

بقيت عيناي مثبتتين على الردهة المظلمة، وتحركتُ في قوس عبر غرفة المعيشة. تفقدتُ باب الفناء: كان مقفلاً.

وقفتُ هناك، وعيناي لا تزالان مركزتين على الردهة المظلمة وآثار الأقدام الموحلة. ماذا الآن؟ بحثتُ في جيوبي عن الإيصال المجعد، لكنني لم أجده. لا بد أنه سقط أثناء الركض. قلبتُ في ذهني المشوش ذكريات ضبابية:

اتبعي الآثار عند منتصف الليل.

لقد فعلتُ ذلك.

هدئي من روعهم؟

فشلتُ في ذلك.

عودي للمنزل قبلهم؟

فشلتُ في ذلك أيضاً.

أغلقي الأبواب.

تم.

انتظري الاتصال.

اتجهت عيناي نحو الردهة، نحو الهاتف الدوار. ربما اتصلوا بالفعل؟ كم قضيت من الوقت—*نقر*.

في مكان ما في ظلال الردهة المظلمة، انغلق باب بهدوء. ساد الصمت. انتقلت نظراتي بسرعة إلى الصينية الخشبية فوق منضدة المطبخ. أمسكت بالسكين القابل للطي المطلي بالكروم، وضغطتُ بإبهامي على زر التحرير—خرج النصل بصوت نقر ثقيل ومرضٍ.

رنّ.. رنّ.. رنّ...

كدتُ أقفز من مكاني. نظرتُ إلى الردهة. خطوة بخطوة، تراجعتُ نحو الهاتف الذي يرن، موجهةً السكين نحو الردهة المظلمة. توقفتُ ببطء، وقرّبت السماعة من أذني..

«السيدة **مولينز**.»

فتحتُ فمي لأرد، لكن..

«من المهم أن تبقي هادئة.» كان صوت طفل، في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره، يتحدث بهدوء وحياد يشبهان أسلوب محصل الديون. «لا تغادري المنزل. لا تدعي معدل ضربات قلبك يتجاوز المئة وخمسين نبضة في الدقيقة.»

مجرد سماع ذلك جعل نبض قلبي يقفز درجة. أبطأتُ تنفسي، وضعتُ إصبعين على نبضي، نظرتُ إلى ساعة قريبة وحاولت العد..

قال الطفل : «أين الزائر؟»

«مـ.. في مكان ما.. في المنزل؟»

«أي غرفة؟»

«أنا، لا أعرف..»

«اكتشفي في أي غرفة، وعودي لتخبريني.»

وضعتُ الهاتف ووجهه للأعلى على الطاولة الجانبية، توقفتُ عن عد نبضي، وركزتُ بدلاً من ذلك على إبطاء تنفسي.

رفعتُ السكين، وسرتُ بمحاذاة آثار الأقدام الموحلة، عبر غرفة المعيشة، والمطبخ، وصولاً إلى مدخل الردهة الخلفية. تجرأتُ على إلقاء نظرة خاطفة حول الزاوية. بدت الردهة كفراغ في فضاء عميق، مضاء فقط بوشاح رقيق من ضوء دافئ يتسلل من تحت شق باب المكتب المغلق. قادت الآثار الموحلة فوق السجاد الأبيض، وانزلقت تحت ذلك الباب. أسرعتُ عائدة إلى الهاتف.

«إنها.. إنها في المكتب.»

قال الطفل:

«طالما تتبعين التعليمات التي سأعطيكِ إياها، فلن يغادر الزائر تلك الغرفة. هل هذا واضح؟»

«نعم.»

«يجب ألا أضطر لقول هذا، لكن لا تفتحي باب المكتب. ولا تضيعي وقتك في محاولة تحصين الباب، إذا أراد الزائر الخروج، سيجد طريقة. إذا بدأت في الحديث، لا تستجيبي. لا تحملي أي نوع من الأسلحة، لن يؤدي ذلك إلا إلى تصعيد الأمور.»

أسقطتُ السكين.

تابع الطفل التحدث بهدوء ومباشرة:

«إذا لم تكوني قد فعلتِ ذلك بالفعل، فأغلقي جميع الأبواب التي تؤدي إلى الخارج. سأفترض أنكِ تكتبين هذا. لن أكرر كلامي.»

قبضتُ على القلم، وبدأتُ أكتب بجنون على ذراعي. حبر أزرق فوق كدمات ملطخة وجروح حمراء:

لا تغادري المنزل—حافظي على الهدوء—لا تفتحي باب المكتب—إذا اتبعتِ الطقوس يبقون في الداخل—لا تحملي سلاحاً—أغلقي الأبواب

تابع الطفل :

«عندما تنتهي هذه المكالمة، سيكون أمامك ثلاث دقائق لتشغيل جميع أضواء الطابق الرئيسي والطابق الثاني. تأكدي من بقائها مضاءة، حتى خلال ساعة السحر. إذا سقطت أي إطارات صور، أعيدي تعليقها فوراً، لا تدعي صورة تظل ساقطة لأكثر من دقيقة واحدة. لا تدعي ضوءاً يبقى مطفأً لأكثر من دقيقة..»

بصعوبة في المواكبة، واصلتُ الكتابة بجنون على ذراعي:

الأضواء مضاءة، الصور معلقة—حد الدقيقة الواحدة

قال الطفل :

«طالما حافظتِ على هذه الطقوس حتى شروق الشمس، سيغادر الزائر، ولن تشرق شمس حمراء، وسيُعفى عنكِ من الانكسار

المدمر المستحق لرفضك حرق الأرنب. لكن إذا فشلتِ، ستزداد الأمور سوءاً.. توقعي مكالمة أخرى.»

نقر.

7

معدل ضربات القلب **في الدقيقة**

أعدتُ قراءة الخربشات التي تكاد لا تُقرأ على ذراعي:

لا تغادري المنزل—حافظي على الهدوء—لا تفتحي باب المكتب—إذا اتبعتِ الطقوس يبقون في الداخل—لا تحملي سلاحاً—أغلقي الأبواب—الأضواء مضاءة، الصور معلقة—حد الدقيقة الواحدة—اتبعي التعليمات بدقة

تصارع قلبي في صدري لمجرد محاولة استيعاب كل ذلك. ركّزي يا **مايسي**. *كل ما عليكِ فعله هو اتباع الطقوس: أبقي الأضواء مضاءة والصور معلقة. اتبعي الطقوس.* وضعتُ إصبعين على نبضي، واندفعتُ إلى الطابق العلوي، طفتُ في كل غرفة وبنقرات متتالية—نقر، نقر، نقر—أشعلتُ كل مفتاح ضوء. حتى وسط هذه الفوضى، كانت كل نقرة صغيرة تمنحني جرعة من الدوبامين الصافي: نقرة: ارتياح. نقرة: ارتياح. نقرة: ارتياح.

أسرعتُ للأسفل، أشعلتُ ضوء الردهة. ثم أضواء غرفة المعيشة: نقرة، نقرة، نقرة.

المطبخ: نقرة، ثم صوت «بيب» لإضاءة موقد الطهي.

بدأ نبضي يقرع إيقاعاً جنونياً ضد أطراف أصابعي. توقفتُ. *تنفسي يا* ***مايسي****، شهيق من الأنف، زفير من الفم.* نظرتُ إلى الساعة، حاولتُ العد مجدداً، عندما..

تعلقت عيناي بالصينية الخشبية على منضدة المطبخ. نبشتُ فيها حتى وجدتُ سوار **(حياة صحية)**. وضعته على معصمي، وشددت الحزام—اشتغلت شاشة زرقاء. عشرة بالمئة فقط من البطارية متبقية. عبثتُ بالأزرار حتى ظهر:

122 نبضة في الدقيقة

مجدداً، أبطأتُ تنفسي.

119 نبضة في الدقيقة

عبرتُ المطبخ، كانت خطواتي بطيئة لكنها ذات إيقاع ثابت. تجمدتُ عند مدخل الردهة، وتجرأتُ على إلقاء نظرة خاطفة أخرى حول الزاوية. كان كل ضوء مطفأً، باستثناء ذلك الوشاح الرقيق من الضوء الدافئ الذي يتسلل من تحت باب المكتب المغلق، كاشفاً عن آثار الأقدام الموحلة على السجاد. كان الهدوء مطبقاً. كنتُ لأفضل أن يكون «الزائر» يتمشى أو يهذي. هذا الصمت جعلني أتخيلها واقفة في ثبات تام، تنتظر مني أن أتسلل بجانبها لتقفز وتخطفني مثل عنكبوت في فخ.

جززتُ على أسناني، ثم أرخيتها، ثم جززتُ عليها مجدداً—شعرتُ وكأنني أستعد للغوص في ماء جليدي. *تباً*. اندفعتُ للأمام. تجاوزتُ المكتب، وانحنيتُ داخل كل غرفة—نقر، نقر، نقر.

بدأتُ أدندن لنفسي، أي أغنية خطرت ببالي: «عيد ميلاد سعيد»، موسيقى فيلم «العودة إلى المستقبل»، أغنية «سعيد» لـ **فاريل**. يا إلهي، كم اشتقت لسماعات أذني. في نهاية الردهة، مددتُ يدي لمفتاح ضوء غرفة التخزين، و..

انبعث صرير خافت خلفي. نظرتُ خلف كتفي. عند قاعدة باب المكتب، ذلك الخط الأبيض الرقيق كان مقاطعاً الآن بعمودين من الظل الأسود. ساكنان تماماً. شعرتُ بغصة ترتفع في حلقي..

لا تنظري.

أشعلتُ ضوء غرفة التخزين وانطلقتُ مبتعدةً بسرعة.

فقط ركزي على تنفسك. اتبعي الطقوس.

اقتحمتُ المطبخ. كان كل ضوء لا يزال مضاءً، لكن.. بجانب المدفأة، ملقىً على وجهه فوق سجادة زرقاء، كان إطار صورة ساقطاً. مشيتُ بخطوات حازمة، التقطتُه، وأعدتُ تعليقه على الجدار. صورة قديمة لـ **ديفيد** و**غريس**..

تـتـتـتـتـتـينك...

في انعكاس الصورة، انطفأ ضوء الردهة فجأة. استدرتُ على عقبي، أسرعتُ، وأعدتُ إشعاله. كان المفتاح البلاستيكي بارداً عند

اللمس، كأن أحدهم وضع كيساً من الثلج عليه. في زاوية عيني، انطفأ ضوء في الطابق الثاني. شققتُ طريقي للأعلى، درجتين في كل مرة. ضوء الحمام. مددتُ يدي، أشعلته، و..

خبطة!

سقطت صورة أخرى، هذه المرة في نهاية الردهة، ووجهها لأعلى فوق الخشب. خذي نفسًا. أخرجي النفس. *ابقي هادئة.* مشيتُ بخطوات وئيدة، أعدتُ تعليقها..

تـتـتـتـتـتـينك...

تلعثم ضوء غرفة الضيوف وانطفأ. خطوتُ نحوه، انحنيتُ، وأشعلته مجدداً. كان بارداً أيضاً، تماماً مثل مفتاح الردهة. انبعثت خبطة محطمة من الأسفل—تمرد قلبي ضد قفصي الصدري، وتسارع الإيقاع. تفقدتُ السوار:

132 نبضة في الدقيقة

أبطئي تنفسك، شهيق من الأنف، زفير من الفم.

نزلتُ السلالم بخطوات سريعة. كان إطار صورة ملقىً قرب الباب الأمامي، محاطاً بشظايا زجاج مكسور. واصلتُ التحرك، بأسرع ما يمكن دون أن أدفع معدل ضربات قلبي إلى الجنون. طحنتُ الشظايا تحت حذائي الرياضي. انحنيتُ، وأعدتُ تعليق الصورة. انطفأ مصباح في غرفة المعيشة.

اردد اغنية امشي تحت المطر.

مشيتُ بخطوات سريعة إلى غرفة المعيشة، وأعدتُ إشعال المصباح. حسناً. قمتُ بمسح بصري بحثاً عن المزيد من الصور الساقطة، وتفقدت كل ضوء. كل شيء جيد. انتقلتُ إلى الردهة الخلفية و.. في النهاية البعيدة، كان ضوء غرفة التخزين مطفأً.

تعلقت عيناي بالمكتب، ذلك العمودان من الظل لا يزالان مرئيين تحت شق الباب المغلق. لم يتحرك الزائر ولو لمليمتر واحد.. صرفتُ نظري، وسرتُ للأمام، خطوة بعد أخرى. أشعلتُ ضوء غرفة التخزين مجدداً، وبدأتُ النزول في الردهة، عندما..

تردد صوت ارتطام خفيف على باب غرفة المكتب. تجمدت في مكاني وتخيلت «**لوسي**» واقفة على الجانب الآخر، متكئةً وجبهتها ملتصقة بالباب، وذراعاها متدليتان. أنفها جرح دامٍ، يقطر، يقطر، يقطر.

تسرب صوت صغير وهادئ—نطق بكلمة واحدة فقط:

«أنا..»

واصلتُ التحرك، غير راغبة في سماع أي شيء آخر قد يقوله.

اردد اغنية امشي تحت المطر.

تفقدتُ المطبخ، غرفة المعيشة، الردهة. كانت كل الأضواء مضاءة، وكل الصور معلقة. ذهبتُ للطابق الثاني: كل الأضواء مضاءة، كل الصور معلقة. عدتُ أدراجي، وسرتُ بثقل لأسفل السلالم. كانت

الردهة كما تركتها—شظايا الزجاج المكسور مبعثرة عبر الأرضية، والسكين القابل الطي على الطاولة الجانبية.

دخلتُ غرفة المعيشة، ثم المطبخ. كانت كل الأضواء مضاءة، وكل الصور معلقة. انجرفتُ للأمام وألقيتُ نظرة على الردهة. كان كل ضوء مضاءً.. باستثناء واحد: غرفة التخزين في النهاية تماماً. انصبّ تركيزي على باب المكتب. ذانك العمودان من الظل. تباً للجحيم. جززتُ على أسناني، وأجبرتُ نفسي على المضي قدماً.

غطيتُ أذنيّ. *امشي تحت المطر يا* ***مايسي، امشي تحت المطر.***

بكتفي الملتصق بالجدار، مشيتُ للأمام، تاركةً أوسع مساحة ممكنة بيني وبين المكتب. عند غرفة التخزين، خفضتُ يدي، مددتها لمفتاح الضوء، أشعلته، و..

«مـ-**مايسي؟**»

تجمدت يدي في منتصف طريقها وهي تعود إلى أذني.

«**مايسي؟**» كرر الزائر. كان صوت **جيما**، تقليداً متقناً لدرجة أنني كدتُ أشك في أنها هي حقاً، لكن..

«**مايسي؟** أين أنا؟» بدت **جيما** خائفة، لا، ليست **جيما**، بدا الزائر خائفاً—خوف متصاعد يرتجف تحت كل مقطع لفظي. «**مايسي**، أنا لا، كيف، لا أعرف كيف وصلتُ إلى هنا.. لا أستطيع تذكر كيف.. أنا..»

خرجتُ من ذهولي، كنتُ على وشك تغطية أذنيّ مجدداً، لمواصلة طريقي في الردهة، عندما—بدأ مقبض الباب يهتز. قبل أن أدرك ذلك، انطلقتُ وأمسكته بكلتا يديّ. كان الاهتزاز ضعيفاً، لكنني تمسكتُ بقوة، حتى تحولت مفاصل أصابعي للون الشاحب.

قالت:

«**مايسي**، ما اللعنة؟ ماذا تفعلين؟» ازداد الاهتزاز قوة. تمسكتُ بقوة أكبر. نعم، الطفل على الهاتف قال إن الزائر لن يغادر الغرفة، لكن..

بينما استمر الزائر في محاولة الخروج، استمررتُ في التمسك بالمقبض.

قالت:

«أنا خائفة، أنا لا.. لا أستطيع تذكر كيف وصلت إلى هنا.. أعتقد، أنا..» أصبح تنفسها سريعاً وسطحياً. الصوت المحموم لأيدٍ تربت على جيوبها، لكن مقبض الباب استمر في الاهتزاز.

«أنا.. ليس معي جهاز الاستنشاق الخاص بي، **ميسي**، أنا.. أنا..» أخذت نفساً لاهثاً. «**مايسي**، ساعديني، أنا..»

تلاشت كلماتها، وسيطر عليها فرط التنفس بدافع الذعر. لكن مقبض الباب ظل يهتز. أغمضتُ عينيّ، وبدأتُ أدندن—لم يفلح ذلك في حجب الأصوات المرعبة على الجانب الآخر: تحولت الأنفاس

المتقطعة إلى شهيق طويل وواهن مثل تمزق قماش. تبعته خبطة ثقيلة، زجاج يتحطم، أقدام تركل، أزيز حاد يشبه عواء كلب خائف.

141 نبضة في الدقيقة

هذا ليس حقيقياً يا ***مايسي****. إنه ليس حقيقياً. ليست* ***جيما****.* غير قادرة على التفكير بوضوح، أبقيت يديّ مشتبكتين على المقبض، منتظرة حتى تلاشت سيمفونية الكابوس أخيراً إلى..

صمت.

توقف مقبض الباب عن الحركة.

هدوء مطبق على الجانب الآخر. عندما ابتعدتُ وتعثرتُ نحو المطبخ، شعرتُ بذراعيّ أكثر ضعفاً، وبجسدي أبطأ. وأصبحت أفكاري تتطلب جهداً أكبر، مثل دبس السكر يمر عبر مصفاة دقيقة..

تخيلتُ جسد الزائر ملقىً على وجهه فوق أرضية المكتب، نسخة مطابقة لأختي، باستثناء العينين. عرفتُ أنها لا تملك عينين عسليتين مثل **جيما**، مثل **أبي**. لا، كان لها عينان زرقاوان باردتان، شاحبتان لدرجة أنهما كادتا تكونان بيضاويين. تحدقان ببلادة في السقف من خلال نظارات كبيرة مستديرة. بلا رمش. بلا حياة.

ثم خطرت لي صورة أخرى: كاريكاتير مشوه لـ **جيما**، جالسة على سطح مكتب الدراسة، وهي تكتم ضحكات ساخرة. رأسها مشوه، أطرافها طويلة جداً، يداها مطبقتان فوق فم مبتسم مليء بصفوف

لا تنتهي من الأسنان البيضاء. حيث كان يجب أن تكون أذناها، كان هناك فتحتان داكنتان، وباطنهما مغطى بقرح مفتوحة.

أخيراً استعدتُ رشدي وطردتُ تلك الصورة المقززة. *إنها تحاول فقط تشتيت انتباهك، وسحبك بعيداً عن الطقوس.* عدتُ للتركيز على المهمة.

اتبعي الطقوس.

الأضواء مضاءة.

الصور معلقة.

اتبعي الطقوس.

8
ضميني بقوة

مرّت ثلاث ساعات تقريباً دون أن يصدر عن المكتب أدنى صوت. كنتُ قد توقفتُ منذ زمن عن تغطية أذنيّ بالكامل. بعد أن أُجبرتُ على سماع محاكاة دقيقة جداً لأختي الصغيرة وهي تموت بنوبة ربو، أيقنتُ أن الأمور لا يمكن أن تسوء أكثر من ذلك. كانت أفكاري مخدرة وبعيدة. *هذا لا يحدث لكِ يا* ***مايسي****، هذه مجرد نسخة كربونية مسكينة منكِ.*

امشي تحت المطر.

كانت الساعة 4:15 صباحاً—ساعتان فقط تفصلانني عن الشروق. بحلول هذا الوقت، أصبحت عملية «تعليق الصور وإشعال الأضواء» علماً أتقنه. عرفتُ وتيرة الحركة الدقيقة التي يمكنني الحفاظ عليها دون أن يتجاوز نبض قلبي 150 نبضة. حتى أنني اكتشفتُ نمطاً: الصورة الساقطة في الردهة كانت دائماً يتبعها انطفاء ضوء في المطبخ، ثم ضوء غرفة التخزين، ثم صورة أخرى ساقطة في الأعلى. لم يحد هذا النمط عن مساره ولو لمرة واحدة في الساعات الثلاث الماضية.

بدا الأمر وكأن «الزائر» قد لعب ورقة «الأخت الميتة المزيفة» كأفضل ما لديه، ولأنني لم أنخدع بها، فقد استسلم. قلّة المجهود هذه

كانت أمراً أتعاطف معه بصراحة. ومع ذلك، ولكي أكون مطمئنة، أرسلتُ رسالة لـ **جيما** لأتأكد أنها بخير، تتنفس، وليست محبوسة في المكتب.

مايسي: مرحباً؟

جيما: لا ترسلي لي كلمة واحدة فقط، هذا مرعب.

مايسي: آسفة. فقط أردتُ قول مرحباً!

جيما: حسناً.

كانت أختي حية وبخير.

ظللتُ أجوب المنزل، أعمل بنظام التشغيل التلقائي، أحصل على المزيد من جرعات الارتياح الصغيرة مع كل صورة أعيد تعليقها، ومع كل ضوء أشعله. ورغم كل شيء، بدأ جزء مني يجد نوعاً من الغاية الغريبة في كل هذا. نعم، كنتُ لا أزال بائسة، لكنني كنتُ أحمي العالم من معاناة لا توصف. كنتُ أحمي **جيما**. أخيراً، أفعل شيئاً يستحق العناء.

حوالي الساعة 4:37 صباحاً، تسرب صوت مألوف من المكتب. كنتُ قد أشعلتُ ضوء غرفة التخزين للتو، وكنتُ عائدة إلى الردهة عندما..

مجدداً، ارتطم شيء بباب المكتب. لكن هذه المرة، كان الصوت خافتاً وهادئاً جداً لدرجة أنني تساءلتُ إن كنتُ قد تخيلته. واصلتُ

طريقي، صعدتُ للأعلى، و.. لم تنطفئ أي أضواء. قمتُ بجولة تفقدية: لا أضواء مطفأة، ولا صور ساقطة. انحراف عن النمط.

خبطة...

في الأسفل، تكرر ذلك الصوت الأجوف، وكان أعلى. *لا بأس يا* ***مايسي،*** *مهما كان ما يلقيه هذا الشيء عليكِ، لا بأس، فقط تجاهليه.*

بقبضتين مغلقتين، نزلتُ بخطوات ثقيلة إلى الردهة. لا صور ساقطة. لا أضواء مطفأة. الأمر نفسه في غرفة المعيشة. والمطبخ. نظرتُ إلى تلك الردهة، التي كانت أغمق بدرجة مما يجب—الآن أستطيع معرفة ما إذا كان ضوء غرفة التخزين مطفأً دون رؤيته مباشرة. انعطفتُ نحو الردهة.

امشي تحت المطر.

بينما كنتُ أتحرك، لم أستطع منع نفسي من إلقاء نظرة خاطفة على قاعدة باب المكتب. فقط ذلك الخط الأبيض النحيف، لا أعمدة ظلال. أشعلتُ ضوء غرفة التخزين، وأسرعتُ عائدةً..

129 نبضة في الدقيقة

دخلتُ المطبخ بسرعة و..

مجدداً، تسرب صوت **جيما** الصغير من المكتب، واضحاً كوضوح البلور بطريقة ما، كأنه ينتقل عبر فتحات تهوية غير موجودة. نطق بكلمتين فقط: «أنا أعرف...»

تـتـتـتـتـتـينك...

نظرتُ خلف كتفي—كانت الردهة تكاد تكون دامسة الظلام الآن... تراجعتُ للوراء، ونظرتُ إلى الداخل. كان كل ضوء مطفأً، باستثناء ذلك الخط النحيف تحت باب المكتب. *اتبعي الطقوس.* تحركتُ للأمام، أشعلتُ الأضواء مجدداً بينما كنتُ أمضي. أنهيتُ الأمر عند غرفة التخزين، وعدتُ للمطبخ: لا صور ساقطة، لا أضواء مطفأة. غرفة المعيشة: لا صور ساقطة، لا أضواء مطفأة. الردهة: نظيفة.

الطابق العلوي: نظيف.

خطوتُ عائدة إلى الطابق الرئيسي و..

تـتـتـتـتـتـيك...

مجدداً، تحولت تلك الردهة الخلفية إلى ما هو أغمق من الظلام الدامس—انطفأت كل أضوائها تقريباً في وقت واحد. انتفخت الغصة في صدري. كان الزائر يريدني في تلك الردهة. زفرتُ، ومضيتُ قدماً. كان ضوء المكتب لا يزال مضاءً، ذلك الخط الأبيض الدائم، لكنه مجدداً، كان مقاطعاً بعمودين مألوفين من الظل الأسود.

واصلتُ التقدم..

تسرب صوت **جيما** المزيف: «أنا أعرفكِ...»

أجل، فهمتُ، أنتِ تعرفينني، هذه هي المرة الخامسة التي أسمعها.
أشعلتُ الأضواء مجدداً، واحداً تلو الآخر. وصلتُ لغرفة التخزين و..
«أنا أعرف أنكِ حاولتِ..»
لا تستجيبي. الأفكار أصوات. أشعلتُ ضوء غرفة التخزين، وسرتُ عائدةً في الردهة، و..
«أنا أعرف أنكِ حاولتِ المغادرة...»
آسفة لأنني لم أكن غبية بما يكفي لأقع في فخ نوبة ربوك المزيفة.
قطعتُ خطوتين داخل المطبخ و..
تـتـتـتـتـتـتينك...
مجدداً، أظلمت الردهة خلفي. استدرتُ، وبدأتُ العودة. «أنا أعرف أنكِ حاولتِ تركي،» تابع الزائر بصوت **جيما**. «قبل سنتين...»
عقدتُ حاجبيّ، وأشعلتُ الضوء الأول. قبل سنتين؟ عما تتحدث؟
أشعلتُ الضوء التالي.
لم تنتهِ **جيما**—أو الزائر—بعد:
«أنا.. كذبتُ على نفسي بشأن ذلك لفترة طويلة.» توقفت، لا ليست هي، بل هو. «لكن، في أعماقي، أعرف أنكِ حاولتِ تركي...»
أشعلتُ ضوء الحمام.

حاولت تركك؟ قبل سنتين؟ في ارتباكي المحروم من النوم، كدتُ أقول: *عن ماذا تتحدثين بحق الجحيم؟* لكنني أوقفتُ نفسي قبل أن تصل الكلمات إلى حنجرتي. *لا تستجيبي.*

أشعلتُ الضوء التالي.

إنها تقول فقط أي شيء لتشتيت انتباهك. لا تستجيبي. لا تستجيبي أبداً. إنها تحاول فقط الدخول إلى رأسك. تحاول رفع معدل ضربات قلبك. تفقدتُ السوار:

132 نبضة في الدقيقة

أشعلتُ ضوء غرفة التخزين، مشيتُ بحزم في الردهة، وخرجتُ إلى المطبخ..

«أنا أعرف أنكِ حاولتِ تركي.» تردد صوت **جيما** من الأعلى، وبدا مجدداً وكأنه ينتقل عبر فتحات لا وجود لها. «أنا أعرف أنكِ ذهبتِ إلى فندق **هاوثورن** ...»

فندق **هاوثورن**.

سرى برد قارس في جسدي. موجة مرتعشة من الذنب بدأت من قاعدة جمجمتي، لتنتشر للخارج، كحجر يسقط على سطح بركة متجمدة.

فندق **هاوثورن**...

لم تكن **جيما** تعرف شيئاً عن إقامتي في فندق **هاوثورن**. لم أخبر أحداً في حياتي. لقد دفنتُ الأمر بعيداً في أعماق نفسي لدرجة أنني

نسيتُه أحياناً. لا توجد طريقة يمكن لـ **جيما** أن تعرف بها، و.. *هذه ليست* ***جيما*** *حتى يا غبية. إنها تتلاعب بكِ، تحاول إيذاءكِ، تحاول سحبكِ بعيداً عن الطقوس، و..*

أسرعتُ للردهة، غطيتُ أذنيّ مجدداً، لكن ذلك لم يفعل شيئاً لحجب صوت الزائر. كنتُ أكاد أسمعه في أفكاري الآن، أشعر به يطن في أسناني:

«أنا أعرف أنكِ حاولتِ تركي.» كنتُ في الردهة تماماً، لكن الصوت كان لا يزال واضحاً كوضوح الشمس. يتحدث بهدوء ونعومة. ومع ذلك كان هناك تلميح لغضب متنامٍ يغلي تحت كل مقطع لفظي. « في تلك الليلة، قبل سنتين، عندما سألتكِ إلى أين أنتِ ذاهبة وقلتِ فقط 'منزل صديقة'، بدوتِ... بدا صوتكِ مذنباً. لطالما كنتِ كاذبة فظيعة..»

هذا مجرد هراء يا ***مايسي،*** *فقط تجاهليها، كله هراء لعين.* نظرتُ حول الردهة. لا أضواء لأشعلها. لا صور لأعلقها..

بدأتُ صعود السلالم، لكنني لم أستطع الهروب من ذلك الصوت. لم تكن حتى تصرخ؛ كانت لا تزال تتحدث بهدوء وثبات، ومع ذلك، أينما ذهبت، كان يبدو دائماً أنها تقف في الغرفة المجاورة فقط. سددتُ أذنيّ، دندنتُ لنفسي، لم يكن هناك شيء يمكنني فعله لإغراقه.

لم يكن أمامي خيار سوى الاستماع:

«وعندما أخبرتني أنكِ ستعودين في اليوم التالي، عندما استدرتِ لتخرجي من الباب، بدا الأمر وكأن... بدا وكأنكِ وجدتِ السلام أخيراً، كأن ذلك الضيق الدائم بين رئتيكِ قد زال أخيراً...» سكت الزائر مجدداً. بحثتُ عن صور لأعلقها، أضواء لأشعلها، أي شيء لأشتت به انتباهي، لكن لم يكن هناك شيء... نزلتُ مجدداً إلى الطابق الرئيسي، كانت كل خطوة مليئة بذعر متنامٍ. تباطأتُ في غرفة المعيشة ونظرتُ نحو تلك الردهة. كانت مظلمة، كل الأضواء مطفأة باستثناء المكتب.

انجرفتُ للأمام، وصوت **جيما** يتسرب من السواد الحالك في الأمام: «أنا أعرف أنكِ حاولتِ تركي يا **مايسي**. اتصلتُ بكِ في تلك الليلة، هل تتذكرين حتى؟ أم كنتِ مخمورة جداً؟»

برزت المزيد من الذكريات القديمة، تطفو على السطح مثل أسماك ميتة. دفعتها للأسفل، لتعود أقوى بمرتين. كان ذلك بعد عام تقريباً من رحيل **أبي**... بعد فترة وجيزة من طردي من وظيفة أخرى. كنتُ مستلقية في السرير لأيام، أحدق في مروحة السقف المكسورة، أشاهد العناكب تغزل خيوطها وتمتص الحياة من الذباب الميت.

أحمر. أزرق. أحمر. أزرق.

تلك العقدة التي لا تفارق رئتيّ قد تلاشت لتصبح لا معنى لها، ذلك البؤس الفارغ الذي أخبرني أن العالم قد يكون مكاناً أفضل بعدم وجود **مايسي مولينز**. كنتُ مخدرة تجاه ذلك الصوت. لم أستمع

لذلك الصوت قط. لم أستطع أبداً. كان عليّ الاعتناء بـ **جيما**. كان عليّ أن أكون موجودة لأجل أختي الصغيرة، لكن...

كان هناك مستوى أعمق تحت كل ذلك الفراغ، وكل تلك البؤس. صخرة أساسية تحت الأرض على بعد آلاف الأميال تحت الخوف من الكارثة، وتحت الأصوات القاسية التي كانت تحثني على إنهاء كل شيء. مستوى انحدرتُ إليه قبل عامين.

بينما كنتُ أحدق في مروحة السقف المكسورة، أسقط أعمق وأعمق في حفرة قد لا أخرج منها أبداً، التقطني هذا المستوى، ووسّد سقوطي الحر مثل بطانية ناعمة من القبول المسالم. بدا أن جوقة من الأصوات الدافئة تدوي. مهدئة. لطيفة. أصوات تحدثت بنفس النبرة المطمئنة لوالدي، ثابتة ومهدئة. أصوات لفت ذراعيها حولي، وأمسكتني بقوة وهمست: *أنتِ تعلمين أنكِ لستِ مضطرة للاستمرار في القتال يا* ***مايسي****. لستِ مضطرة للاستمرار في التأرجح. يمكنكِ فقط ترك كل شيء. اسمحي لنفسكِ بالسقوط. هذا لا بأس به أيضاً...*

تابعت **جيما**، الزائر:

«اتصلتُ لأسأل إن كنتِ بخير، قلتِ إن كل شيء جيد، قلتِ إنكِ فقط متعبة، و... كنتُ غبية بما يكفي لأصدق ذلك.»

143 نبضة في الدقيقة

تعثرتُ في الردهة. كان تنفسي يأتي على شكل رشفات سطحية. تخبطتُ بحثاً عن مفتاح الضوء الأول، أشعلته، وبدأتُ نحو التالي.

بدا أن المنزل بأكمله يغرق في الأرض بينما كانت المزيد من الذكريات المروعة تعود باندفاع، ذكريات كانت تستقر دائماً تحت سطح كل شيء. كأن الواقع نفسه لم يكن سوى بطانية رقيقة ملقاة فوق جرح طعن ملتهب. ذكريات تظاهرتُ بأنها ليست حقيقية. ذكريات تظاهرتُ بأنها ليست لي. كانت ذكريات **مايسي** في الانعكاسات، **مايسي** التي تغرق للأبد في البرك والمستنقعات. ذكريات **مايسي** الكربونية. لم أكن لأترك **جيما** أبداً، كان عليّ الاعتناء بأختي الصغيرة، كان عليّ أن أكون موجودة لـــ

«أنا أعرف أنكِ حاولتِ تركي يا **مايسي**، تماماً كما خرجت أمي، تماماً كما قاد أبي سيارته إلى نهر لعين.» نبرة **جيما**، نبرة الزائر، بدأت تتغير، تتحدث عبر أسنان مصكوكة، تتحدث بقسوة حاقدة ـــ غضب كاره ومرير، كراهية لـ **مايسي مولينز** كادت تعادل كراهيتي لنفسي.

«أنا أعرف أنكِ حاولتِ تركي، لكنكِ لم تستطيعي حتى فعل ذلك بشكل صحيح. ظننتِ أن زجاجة من الحبوب المنومة ولتراً من الفودكا ستكون كافية. تكورتِ مع دميتكِ المحشوة من الطفولة، وربطتِ كيساً بلاستيكياً فوق رأسكِ، وأغمي عليكِ على سرير بحجم كبير في فندق **هاوثورن**، داعيةً أن ينفد هواؤكِ في منتصف الليل، داعيةً أن تتلاشي من الوجود، لكنكِ أفسدتِ الأمر، أفسدتِ الأمر، تماماً كما تفسدين كل شيء..»

تجاهليها يا ***مايسي،*** *أنتِ لستِ نفس الشخص الآن. فقط تجاهليها..*

«استيقظتِ، تتخبطين وتئنّين، مغطاة بالمرارة والقيء واللعاب..

لم تكوني قد أخذتِ ما يكفي من الحبوب وتمزق الكيس في خضم تخبطك. أفسدتِ الأمر..»

أشعلتُ ضوء غرفة التخزين، وعدتُ في الردهة. *فقط ركزي، تفحصي غرفة المعيشة تالياً، اتبعي الطقوس، اتبعي الـــ*

«وما زلتِ تقولين لنفسكِ إن السبب الوحيد لعدم محاولتكِ فعلها مجدداً هو حاجتكِ للاعتناء بأختكِ الص-صغيرة.» تغير الصوت قليلاً، ارتجف، كأن صوتين تحدثا في وقت واحد. «لكننا نعرف السبب الحقيقي...»

انعطفتُ نحو المطبخ؛ كانت كل الأضواء مضاءة، وكل الصور معلقة. لم يكن هناك شيء لأفعله سوى تتبع طريقي عبر المنزل والاستماع، الاستماع ومحاولة عدم الصراخ رداً، أو سرد قائمة من الأعذار، أسباب لما فعلتُه قبل سنتين، رغم معرفتي التامة بالتأثير الذي سيكون له على **جيما**، و..

«السبب الحقيقي لعدم محاولتكِ مجدداً هو أنكِ خائفة جداً.» تغير الصوت مجدداً. الآن كان صوتي الخاص. مليئاً بكراهية لـ **مايسي مولينز** لا تضاهيها كراهية أي روح على وجه الأرض. أي روح باستثناء روحي. «أنتِ خائفة جداً من الفشل،» تابع. «خائفة جداً من الاستيقاظ نصف ميتة دماغياً في المستشفى، تُطعمين بالملعقة

حتى تتعفني في التراب وتدركي أنكِ، تماماً مثل العمة **بات**، تماماً مثل **أبي**، لم تكوني يوماً سوى طعام للديدان، طعام للديدان، طعام للديدان..»

148 نبضة في الدقيقة

كنتُ بحاجة لإبطاء قلبي. ترنحتُ عند منضدة المطبخ، وانزلقتُ للأسفل نحو الأرضية، يداي تغطيان أذنيّ، وعيناي مغمضتان بإحكام..

«أنتِ نفايات بشرية مطلقة يا **مايسي مولينز**،» صرخ صوتي الخاص من الردهة. «لم يكن مقدراً لكِ الوجود في هذا العالم. في أي عالم. ستفعلين للجميع معروفاً لو حاولتِ فقط المغادرة، فقط مرة أخرى، و..»

151 نبضة في الدقيقة

دفعة واحدة: سقط كل إطار صورة على الأرض بصوت *طقطقة* مدوٍ. تحطمت كل لمبة ضوء بعاصفة من الزجاج.

ظلام.

و... أخيراً، صمت صوت الزائر.

جلستُ هناك في الظلام، وظهري مضغوط إلى منضدة المطبخ، محاطة بلمعان محطم لانتصار آخر من الفشل. مخالب أصابعي حفرت في شعري المتشابك، حفرت بقوة لدرجة أن الجذور اقتلعت مع لدغات إبرية. ثم، ولأول مرة منذ ما يقرب من نصف عقد، بدأتُ

أقاوم الدموع. أحمر. أزرق. ضربتُ جانب رأسي بقبضة مغلقة. «غبية حمقاء.» أحمر. أزرق. *يجب أن تشعلي الأضواء مجدداً، تستبدلي اللمبات، تعيدي تعليق الصور.* أحمر. أزرق. *تماسكي يا* ***مايسي،*** *لديكِ مسؤوليات، لا يمكنكِ الانهيار، يجب أن تستمري في الحركة، يجب أن تحمي* ***جيما،*** *اتبعي الطقوس..*

حاولتُ الوقوف، لكن أطرافي لم تتحرك. أحمر. أزرق. أحمر. أزرق. أحمر..

تجمعت الدموع في عينيّ، انحدرت على وجهي، تسربت إلى الجروح وأحرقت—لكن هذه لم تكن دموع حزن، هذه لم تكن دموع أسى—جززتُ على أسناني، عضتُ شفتي حتى انفجر الدم على لساني—كانت هذه دموع غضب. كراهية وغضب مرير. كراهية للمنزل، للزوار، للعالم اللعين بأسره—لكن قبل كل شيء... كراهية لنفسي. كراهية لحقيقة أنني، قبل عامين فقط، استسلمتُ. كراهية لحقيقة أنني لا أزال أفكر في الاستسلام كل يوم منذ ذلك الحين. لم أستطع حتى الاعتناء بنفسي، ناهيك عن **جيما،** و..

شددتُ قبضتي وضربتُ جانب رأسي للمرة الثانية: «غبية حمقاء.» لم ألحظ الألم الخافت تقريباً. ضربتُ نفسي مجدداً، بقوة أكبر: «غبية حمقاء.» مجدداً: «غبية حمقاء.» استمررتُ في ضرب نفسي حتى ارتخت قبضتي وتحول الألم إلى تخدير. جلستُ هناك، انعكاسي الكئيب يحدق بي في شظايا الزجاج المكسور المتناثرة.

نظرتُ بعيداً. أخذتُ نفساً. شهيق من الأنف، زفير من الفم. شهيق من الأنف، زفير من الفم.

ثم... عبر المطبخ، حول الزاوية، في مكان ما داخل ظلال تلك الردهة المظلمة: نقرة خفيفة، تبعها صرير خافت لباب يفتح.

الجزء الرابع

الواجبات والالتزامات

اعتدتُ في الماضي أن أسبق الجميع بكسر قلوبهم قبل أن يتسنى لهم كسر قلبي. آلية دفاعية لا أكثر. كنتُ أعلم أن هذا الفعل خطأ، ومع ذلك كنتُ أُقدِم عليه. ولا يمكنني حتى تعليق هذه الخطيئة على مشجب الحزن، فقد كنتُ أمارسها قبل رحيل **أبي** بزمن طويل.

على أقل تقدير، كنتُ أنتظر دومًا حتى أرى نذير النهاية يلوح في الأفق. كان الناس يقعون في حبي سريعًا، ثم يفقدون هذا الشغف أسرع. تكرر هذا النمط مرات عديدة حتى فقدتُ عدّها. يا للمأساة. مسكينة **مايسي**.

أما في الوقت الحاضر، فقد تعودتُ ألا أواعد أحدًا، وبهذه الطريقة لا ينكسر قلب أحد. مكسب للجميع.

آخر مرة باغتني فيها أحدهم، وكسر قلبي قبل أن أسبقه، كانت في سنتي الدراسية الأخيرة. **أفري بيكيت**. كانوا رائعين. يعزفون على الطبول، ويضعون قرطًا في حاجز الأنف، ويشاركونني ذوقي نفسه في الأفلام. لكن بعد أقل من أربعة أشهر من ارتباطنا الجاد، أخبروني بأنهم «لا يكرهونني»، لكنهم ببساطة «لا يرون أن الأمور ستنتهي على خير».

مقبول بما يكفي.

بعد المدرسة في ذلك اليوم، وجدتني **جيما** وأنا أندب حظي في الفناء الخلفي، جالسة على أرجوحتنا الصغيرة، أحدق في السياج. سألتني إن كنتُ بخير.

في العادة كنتُ سأكتفي بالقول إنني متعبة، لكنني قلتُ:

«لقد انفصلوا عني».

كانت **جيما** تُنقب في حفنة من بذور دوار الشمس، تنتقي تلك التي بلا قشور. قالت:

«هذا لأنكِ غريبة الأطوار».

قطبتُ حاجبيّ.

تابعت **جيما**: «أنتِ تشبهى فرقة موسيقية غامضة من الغرب الأوسط تمزج بين الإيمو والجاز والـ ميتال كور والكانتري. غريبة. أنتِ لستِ ذوق الجميع. في الواقع، لستِ حتى ذوق معظم الناس..».

«يا إلهي يا **جيم**، شكرًا..».

«لكن لا بأس، لستِ مضطرة لأن تكوني كذلك. ذات يوم ستجدي شخصًا ما، وستكوني أنتِ ذوقه المفضل. سيكون ذلك الشخص أكبر معجب في العالم بهذا النوع الموسيقي الغريب الذي تمثليه. سيحفظ ألبوماتكِ كلها عن ظهر قلب، حتى تلك التسجيلات الحية. وسيخبر جميع أصدقائه أنه كان يحبكِ قبل أن تشتهري».

هززتُ رأسي. كان تشبيهًا سخيفًا، لكنه... كان الشيء الوحيد الذي قيل لي بعد انفصال، وجعلني أشعر بتحسن ولو بنسبة ضئيلة. نصائح الأشقاء. كانت **جيما** دائمًا أفضل مني في ذلك.

1
لا أرَى شراً

طالما واظبتِ على إقامة هذه الطقوس حتى بزوغ الفجر، سيرحل **الزائر**، ولن تشرق شمس حمراء، وستنجين من الإنكسار المدمر المستحق عقابًا على رفضكِ حرق الأرنب. أما إذا أخفقتِ، فإن الأمور ستؤول إلى ما هو أسوأ؛ فتوقعي اتصالًا آخر.

***

عبر المطبخ، وحول الزاوية، في مكان ما بين ظلال الردهة المظلمة: نقرة خافتة، تلتها صرير خفيض لباب يُفتح.

بدّد هذا الصوت كراهيتي لنفسي، واستبدلها بتركيز خالص ومُرعب؛ وعيٌ حاد أبقى عينيّ مسمرتين على مدخل الردهة. رحتُ أبحث عن أي أثر للحركة في تلك الظلال الخاوية. أرهفتُ سمعي، مستعدة لترقب صوت خطى ثقيلة تخرج من غرفة المكتب، لكن لم يكن ثمة سوى الصمت.

الصمت، ووقع دقات ساعة قريبة: تيك، تيك، تيك.

تخيلتُ شخصية مشوهة تتسلل في الردهة بحركات مبالغ فيها كأنها كابوس من كوابيس الرسوم المتحركة. تملكتني غريزة البقاء؛

نهضتُ فجأة واتجهتُ نحو البهو، وحذائي الرياضي يهرس بقايا المصابيح المهشمة وإطارات الصور المحطمة تحت قدمي. لم أكن لأنتظر حتى يلتف **الزائر** حول تلك الزاوية. يجب أن أخرج من هنا. دفعتُ باب المنزل الأمامي لأفتحه، مستعدة للفرار، لكن..

كان بقية **الزوار** لا يزالون يقفون حراسًا في محيطهم الفضفاض. عيونٌ فارغة. وجوهٌ خاوية. ربما كان بإمكاني المخاطرة، والاندفاع عبر ثغرة ضعيفة في صفوفهم، و..

اتبعي الطقوس يا **مايسي**. ابقِ في المنزل، واتبعي الطقوس.

تراجعتُ إلى الوراء، وأغلقتُ الباب، واستدرتُ على عقبي، وصعدتُ إلى الطابق العلوي. كانت الأضواء هناك مهشمة هي الأخرى، أشبه بكنة من البريق النجمي المتناثر فوق الخشب الصلب..

رنّ الهاتف...

اندفعتُ إلى غرفة الضيوف، ورفعتُ الهاتف الأبيض اللامع إلى أذني، و..

«لا تنظري إلى **الزائر**». كان هذا الصوت يعود لرجل عجوز، رتيبًا، وخاليًا تمامًا من أي مشاعر، ومع ذلك كان مألوفًا بشكل غريب. «من الآن وحتى بزوغ الفجر، إذا نظرتِ مباشرة إلى **الزائر** لأكثر من ثلاث ثوانٍ، ستنسين كيف تتنفسين». توقف قليلاً. تحدث صوت مكتوم في الخلفية، بنبرة جاشة عميقة—مضطربة وغير

مفهومة. وعندما توقف عن الكلام، تابع العجوز حديثه، وكأنه ينقل ما قاله الصوت المكتوم: «لا تدعي **الزائر** يمسك بكِ. هو يتحرك ببطء، لكن لا يمكنكِ مغادرة المنزل. معدل ضربات قلبكِ لم يعد ذا أهمية، ويمكنكِ استخدام أي شيء متاح لديكِ للدفاع عن نفسكِ».

صمت العجوز مجددًا. تحدث الصوت العميق المضطرب للمرة الثانية. ومرة أخرى، انتظر العجوز حتى ينتهي، ثم نقل رسالته: «**الزائر** يمكنه سماع أفكاركِ، لذا حاولي التفكير في أشياء هادئة. ذكريات لطيفة».

للمرة الأخيرة، تحدث الصوت المضطرب في الخلفية، ثم ساد الهدوء. قال العجوز: «تجنبي **الزائر** حتى بزوغ الفجر، أو واجهيه بالقوة. إذا نجوتِ، ستُعفين من الأنكسار المدمر ولن تشرق شمس حمراء عند الفجر. لا تتوقعي مثل هذه الرأفة في المستقبل».

نقرة.

انتهت المكالمة.

وضعتُ الهاتف جانبًا. الاختباء أو القتال. كان كلا الخيارين أقل من مثالي. تراجعتُ إلى الردهة، وأمعنتُ النظر أسفل الدرج، ووقفتُ ساكنة تمامًا. أرهفتُ أذنيّ مجددًا، محاولة استراق السمع لأي أثر للحياة في الأسفل، حينها..

ترددت أصداء خطوات بطيئة—خافتة وثقيلة، ثامب... ثامب... ثامب... كل وقعة منها يبرزها طنين الزجاج المهشم. بدأ **الزائر**

يتجول في المطبخ، أو ربما غرفة المعيشة. اتخذتُ خطوة لا إرادية للخلف، فداس كعب حذائي على إطار صورة ملقى على الأرض. تباً. تجمدتُ في مكاني. وتجمدت الخطوات أيضًا... ثم بدأت تتحرك نحو الدرج.

ثامب... ثامب... ثامب...

كان قلبي يخفق بعنف، ورأسي يدور. وقعت عيناي على حوض الاستحمام، منعكسًا في مرآة الحمام. خطوتُ خطوة واسعة فوق الزجاج المحطم، ومددتُ يدي، وفتحتُ صنبور الماء لأقصى قوة—داعية الله أن يغطي صوتُ الماء على وقع خطواتي. اندفعتُ عائدة إلى الردهة وفتحتُ باب غرفة النوم الرئيسية قليلًا كإلهاء آخر. تسللتُ إلى الخزانة في نهاية الردهة، وأغلقتها، ونظرتُ عبر الفتحات.

كانت رؤيتي للردهة الخارجية لا تتعدى شقًا ضيقًا: جدران عارية يغطيها ضوء القمر الخافت، وبخار الحمام يتصاعد من الداخل. صعدت تلك الخطوات الثقيلة إلى الدرج—بطيئة ولكنها وشيكة. وفقط حين ظهر ظل قمة رأس منتفخ—أغمضتُ عينيّ وأطبقتُ يدي على فمي.

لا تنظري.

كانت الخطوات تضرب، وتضرب، وتضرب بثبات أسفل الردهة، محدثة طقطقة ضد الزجاج المهشم. ثقيلة، ومجرورة. تألمتُ عند

فكرة الأقدام العارية التي تضغط فوق الزجاج المكسور، وشظايا مسننة تنغرس في باطن القدم الشاحب، تاركة خلفها أثرًا من الدم.

توقف **الزائر**.

انبعث صرير صدئ، وصمت صوت الماء. تشنجت عيناي وانفتحتا—في مرآة الحمام وقف شكل داكن وأعوج، طويل جدًا لدرجة أن عنقه كان منحنيًا لتجنب الاصطدام بالسقف. بدأ يستدير، منحنيًا ليتناسب مع إطار الباب—أغمضتُ عينيّ مجددًا بسرعة.

خطوات **الزائر** خرجت من الحمام وتابعت سيرها في الردهة، تقترب أكثر فأكثر. كانت الأرض تهتز مع كل وقعة تقترب. تحول ضوء القمر خلف جفوني إلى درجة أكثر قتامة. ثم، أصبح كل شيء ساكنًا، وكأن الزمن نفسه قد توقف.

حبستُ أنفاسي.

أصدرت الأرض صريرًا، وتسلل زفير صامت عبر الفتحات، لامس برودةً وجهي. *إنه يستطيع سماع أفكارك*. حاولتُ التفكير في أشياء هادئة، ذكريات لطيفة، لكنني بالكاد كنت أستطيع التفكير في أي شيء. أبقيتُ عينيّ مغلقتين، وأنفاسي محبوسة...

تسلل زفير بارد آخر عبر الفتحات ولامس بشرتي، حاملاً هذه المرة رائحة الدم المعدنية—دم وكلور. رائحة قوية لدرجة أنني تذوقتها، تكسو لساني كالغبار. واصلتُ محاولة التفكير في أشياء لطيفة، ذكريات سعيدة، و... تحول عقلي إلى أرض قاحلة، ونبضات قلب

مسطحة. مرت الثواني كأنها دقائق. أصدرت الأرض صريرًا مجددًا، وتحولت الظلال خلف جفوني مرة أخرى.

صمت.

ابتعد **الزائر**. ثامب... ثامب... ثامب...

فتحتُ عينًا واحدة، في الوقت المناسب تمامًا لألمح الشكل المظلم ينزلق إلى غرفة النوم الرئيسية. الصورة—أقصر من جزء من الألف من الثانية ومحجوبة بالظلام—انغرست في أفكاري كقراد متورم. كانت أطراف **الزائر** طويلة بشكل مستحيل، وجلده مبلل تحت ضوء القمر الشاحب: لمعان براق، يشبه الجانب السفلي لقشرة جرح مقشرة حديثًا.

من داخل غرفة النوم الرئيسية، سُمع صوت باب يفتح بصرير. أصوات كشط: علاقات ملابس تنزلق فوق قضبان معدنية. اتجهت عيناي للأمام. الدرج في نهاية الردهة يتحداني للتراجع نحو البهو، والتقاط ذاك السكين القابل للطي، وإيجاد مخبأ أفضل. انفتح باب آخر بنقرة. حمام الغرفة؟ كان **الزائر** يتفقد كل باب واحدًا تلو الآخر—ستكون هذه الخزانة هي التالية. تسللت قشعريرة متعرقة صعودًا عبر ساقي، وجذعي، ووجهي، مثل الزئبق الذي يملأ مقياس الحرارة ويفيض من الأعلى. انهارت رئتاي على نفسيهما. التقطت أنفاسي. ركزي يا **مايسي**، ركزي.

فتحتُ باب الخزانة قليلًا وتسللتُ خارجًا. تحركتُ للأمام وظهري ملاصق للحائط، باذلة قصارى جهدي لتجنب الدوس على الزجاج المهشم. زدتُ من سرعتي، وتسللتُ أسفل الدرج، وأفلتُ إلى البهو. قبضت يدي على السكين القابل للطي من الطاولة الجانبية. كان مقبضه المطلي بالكروم مطمئنًا بشكل غريب، أملس وبارد على راحة يدي.

من الأعلى، دوت الخطوات. انفتح باب آخر بصرير. تنقلتُ عبر غرفة المعيشة، خطوة بخطوة، باسطة ساقيّ لأمشي على أطراف أصابعي فوق جزر خالية من الزجاج المهشم.

أين أختبئ بعد ذلك؟

تحرك شيء فوق خزانة صينية قريبة، ضباب متسلل. نظرت للأعلى. نقطتان صغيرتان تطفوان في السواد—عيون: واحدة زرقاء باردة، والأخرى بنية داكنة.

براوني.

القطة، جاثمة فوق الخزانة، أمالت رأسها، نظرت إليّ، وألقت بطرفة عين بطيئة. غير مبالية تمامًا بمحنتي. في الأعلى، انفتح باب آخر بصرير، متبوعًا بصوت تفتيش منهجي. رمشت **براوني** مجددًا، مرة، مرتين، ثم... انحنت، وقفزت من الخزانة كأنها انسكاب سائل. ارتطمت كفوفها الأمامية بالخشب الصلب أولًا، متبوعة بساقيها الخلفيتين:

دو-دوم.

توقف العبث في الطابق الثاني.

بدأت خطوات **الزائر** تشق طريقها نحو الدرج. تباً للجحيم. انطلقت **براوني** إلى الظلال، غير مدركة تمامًا لحجم الورطة التي أوقعتني فيها. اندفعتُ إلى الردهة الخلفية، جربتُ الباب الأول: مغلق.

التالي: مغلق.

واصلتُ طريقي، أجرب كل مقبض بينما أمضي، لكنها جميعًا كانت مغلقة، حتى المكتب، وحتى خزانة التخزين.

نظرتُ إلى يميني، و...

كان باب القبو نصف مفتوح، عمود من التوهج الدافئ ينبعث منه، ساطعًا عبر الحائط، صعودًا إلى السقف. ثامب، ثامب، ثامب، خطوات **الزائر** كانت تتعثر عبر المطبخ.

مع عدم وجود مكان آخر للاختباء، نزلتُ إلى القبو، يدٌ تنزلق فوق الحائط الجاف للتوازن، والأخرى تقبض على السكين.

وطأت قدماي الخرسانة الملساء. كان ضوء واحد فقط يعمل، في نهاية الردهة الضيقة: مصباح متوهج مباشرة فوق عربة التلفاز القديمة.

خطوتُ بضع خطوات للأمام، كانت وقعات قدمي صامتة—لا زجاج مهشم هنا. مجددًا بحثتُ عن مكان للاختباء. على يميني كانت غرفة مرافق ضيقة وخزانة فوضوية. وعلى يساري، غرفة نوم

إضافية. وإلى الأمام مباشرة، في نهاية تلك الردهة الطويلة، خلف عربة التلفاز، باب أبيض اللون.

في الأعلى، كانت تلك الخطوات الثقيلة تدوي أقرب فأقرب، حتى تباطأت عند قمة الدرج.

ت-ت-ت-ت-تينك.

انطفأ الضوء فوق التلفاز فجأة، وانغمس كل شيء في ظلام دامس.

طعنة من الأدرينالين اخترقت جذع دماغي: اختبئي.

انطلقت أطرافي في حركة مفاجئة. ذراعي ممدودتان، السكين يشير للأمام، تحركتُ متثاقلة، أحاول تذكر أين كانت أقرب غرفة. واصلتُ الحركة، وعدم اليقين يغشى كل خطوة، كأن الأرض تحتي قد تتلاشى فجأة، و...

ت-ت-ت-تيك-مممممم..

دبَّت الحياة في التلفاز—مربع أزرق يحوم في السواد، في نهاية تلك الردهة الضيقة. شاشته، المشوهة بخطوط مسح بيضاء، ألقت ضوءاً شاحبًا فوق الجدران الصفراء، والأرضية الخرسانية. تجمدتُ كغزال أمام أضواء السيارات...

اختفت خطوط المسح المضطربة وبدأ فيديو في العرض: من قاع الإطار الأزرق الصلب، ارتفع شكل داكن ببطء، دائري وأسود..

صورة ظلية لرأس، مرفوع بواسطة عنق ذابل. توقف الشكل في منتصف الإطار تمامًا، وضربتني حقيقة مروعة أخيرًا: هذا الشكل لم يكن على الشاشة، كان يقف أمامها.

حاولتُ التراجع، لكنني لم أستطع حتى تحريك عينيّ. لم أستطع الرمش. لم أستطع التنفس.

ثم، انبعثت شهقة مجهدة ومزعجة، متبوعة بخرخشة غليظة، مثل علبة طلاء فارغة تُهز. كان الرأس مغطى بكيس بلاستيكي، لامع وأسود. وبينما كان الشكل يزفر، انتفخ الكيس كرئة مكشوفة، كاد يطمس الشاشة بأكملها خلفه. شهيق متقطع—انكمش الكيس، ليلتف بإحكام حول شكل جمجمة هزيلة وصلعاء.

زفير—انتفخ الكيس. شهيق—انكمش الكيس.

الرعب، سائل وخالص، نبض في عروقي كالماء البارد، تشرب في أطرافي وبدأ يجمدها. ثم، بالتزامن التام: صُفِق باب قمة درج القبو بقوة، انطفأ التلفاز فجأة، وعاد كل شيء إلى ظلام دامس.

2
أفكار إيجابية

اختبئي. ابقي على قيد الحياة حتى بزوغ الفجر.

دفعتُ نفسي عبر الظلام الدامس. كانت أنفاسي تخرج في دفعات متقطعة. أما دقات قلبي فلم تستقر على وتيرة: لحظة تخفق بجنون لدرجة أنها قد تهشم أضلعي، ولحظة أخرى تبدو وكأنها توقفت تمامًا. تسلل الذعر تحت جلدي كأنه سرب من حشرات عمياء، فانتصب شعر بدني.

اختبئي.

واصلتُ التحرك عبر الظلام، رافعة السكين، وأذرعي تتأرجح ذهابًا وإيابًا.

قدم يسار للأمام، قدم يمين للأمام، يسار، يمين..

كشط النصل المرتجف جدار الغرفة.

ضغطتُ بكتفي على الحائط وانزلقتُ للأمام. وفي تلك الأثناء، كانت تلك الأنفاس المتهدجة، التي ترافقت الآن مع خطى سحب أقدام، تقترب مني.

واصلتُ التحرك. تابعتُ التخبط في الظلام، منزلقة بمحاذاة الحائط. التقت أصابعي المفرودة بحافة إطار باب، وقبضتُ على مقبض

نحاسي بارد. أدرتُ معصمي. تسللتُ إلى غرفة النوم الإضافية، وجذبتُ الباب اغلقه، وأوصدته. ضغطتُ بظهري على الباب وحاولتُ السيطرة على تنفسي: شهيق من الأنف، زفير من الفم.

في الزاوية البعيدة من الغرفة كانت هناك نافذة مرتفعة، صغيرة وضيقة، لا تصلح للهرب. شهيق من الأنف، زفير من الفم. تسلل خيط واهٍ من ضوء القمر إلى الظلام، مانحًا الظلال تعريفًا كئيبًا. وتحت النافذة بدت الخطوط العريضة غير الواضحة لسرير فردي. شهيق من الأنف، زفير من الفم.

كانت تلك الخطى الساحبة، التي كتم صوتَها البابُ المغلق، تواصل اقترابها.

اندفعتُ للأمام، انبطحتُ على معدتي، وسحبتُ نفسي تحت السرير. كشطت مراتب النوابض الصدئة ظهري، وداعبت الخرسانة الباردة وجهي..

بدأ مقبض الباب بالاهتزاز.

إنه يستطيع سماع أفكارك.

أطبقتُ جفنيّ بقوة، وحاولتُ التفكير في أشياء هادئة مجددًا، ذكريات لطيفة. تذكرتُ وقتًا أخذنا فيه **أبي** إلى ملجأ للقطط العجوز. كنتُ أجلس على كرسي بلاستيكي حين تسللت قطة رمادية ذات ذيل أعوج إلى حجري وخرخرت بصوت عالٍ لدرجة أن **أبي** و**جيما** سمعاها من الجانب الآخر للغرفة.

هدأت الاهتزازات عند الباب.

ثم، تحولت خرخرة القطة إلى صوت محرك هادر. بدأت الغرفة من ذكرياتي تتقلص، وتتشوه لتتحول إلى شاحنة صغيرة، والجدران أصبحت أبواب السيارة، والأرضية أصبحت زجاجًا أماميًا. كل شيء يهوي نحو نهر **ويلاميت**. انهار الزجاج الأمامي بوقع تحطم مدوٍ، واندفعت سيل من المياه لتضربني..

تحولت الاهتزازات عند الباب إلى طرقات عنيفة. تصدع الإطار، وتناثر الخشب، و—انفتح الباب على مصراعيه، ليغرس مقبضه النحاسي فجوة في الجدار. صمت. أنفاس متهدجة، بطيئة ومنتظمة، تسربت إلى الغرفة.

لا تنظري.

مجددًا، أطبقتُ عينيّ بقوة. المزيد من الأنفاس المتهدجة—شهيق... زفير... شهيق... زفير... ثم، خطوات، عارية وكاشطة، تقدمت بتعثر. انفتح باب خزانة بصرير خافت.

تفتيش أخرق بين الملابس المعلقة. فتحتُ عينًا واحدة. كان باب غرفة النوم لا يزال مواربًا. شددتُ ذراعيّ، استعددتُ للفرار، حين..

تسللت أرجل ذابلة مباشرة إلى مجال رؤيتي. كانت قريبة لدرجة أنني استطعت رؤية اليرقات تتلوى تحت الجلد الشاحب، بالآلاف، متكدسة فوق بعضها—مثل لحم مفروم يتلوى تحت غلاف

بلاستيكي مفرغ من الهواء. أصدرت المراتب أعلاه صريرًا، وبدأ الكائن يخفض نفسه، بوصة ببوصة.

لا تنظري أبدًا.

أغمضتُ عينيّ، حبستُ أنفاسي، صررتُ على أسنانِي، و... لوحتُ بالسكين.

تباطأ الزمن. لامست يدي المطبقة الخرسانة، ثم توقفت فجأة، تبعها صوت ارتطام رطب ولحمي. فتحتُ عينيّ. كان النصل مغروزًا، حتى مقبضه الكرومي، مباشرة في كاحل الكائن. وتر أخيل.

تشنجتُ. وسحبت السكين جانبياً بكل قوتي. وكان الوتر النحيل، المتوتر والمتشنج، هو الذي يبقي الشفرة في مكانها. أمسكت السكين بكلتا يديّ، وشددت عليها حتى، بفرقعة مثيرة للغثيان—انقطع الوتر، ليرتد صعودًا كأنه ثعبان مقطوع الرأس. تحولت عضلة الساق إلى هلام يرتجف، وتحولت الأنفاس المتهدجة إلى أزيز حاد. في حركة واحدة سريعة، سحبتُ نفسي من تحت السرير، قفزتُ واقفة، وعبرتُ الغرفة مسرعة.

جذبتُ الباب واغلقته خلفي، ثم أطحت برف خشبي لأوصد الباب.

انطلقت تلك الأنفاس الممزوجة بالأزيز من الجانب الآخر.

كنت بحاجة ماسة إلى أن أخرج من هنا بحق الجحيم.

ما زلتُ أحمل السكين، تخبطتُ عبر الظلام الدامس، ألوح بأذرعي حتى وجدتُ الجدار. انزلقت للأمام، تعثرتُ عند الدرج، وتسلقتُ

للأعلى، شبه زاحفة. كان خط رفيع من ضوء القمر الرمادي يخترق الظلام بالأعلى. الباب. نهضتُ واقفة، أدرتُ المقبض، دفعتُ، سحبتُ، لكنه لم يتزحزح. كان أحدهم يمسكه من الجانب الآخر. ومن خلف الباب، تسرب أنين خافت—أو ربما كانت ضحكات؟ كم عدد **الزوار** الذين تمكنوا من الدخول؟ خلفي، ارتطام أجوف، متبوعًا بأنفاس متهدجة، وأصوات كشط—تلك العاهرة المليئة باليرقات كانت تسحب نفسها فوق الخرسانة. جربتُ الباب مرة أخيرة، دفعتُ وسحبتُ وارتطمتُ به بكتفي. عبثًا.

اختبئي.

اندفعتُ أسفل الدرج، ووصلت إلى منتصف الغرفة، حين قبضت يد باردة على كاحلي وأوقفتني بشكل وحشي. سقوط حر بلا وزن انتهى عندما التقى ذقني بالخرسانة. انطبق فكي بقوة—تدفق الدم على لساني—طار السكين من قبضتي. استدرتُ على ظهري، أركل وألتوي، لكن اليد الباردة ضغطت بقوة أكبر—تخترق كاحلي كأنها مشنقة، تسحبني أقرب، أقرب.

تسربت قوة خبيثة من القبضة التي تزداد ضيقًا، غزت جسدي كالإبر عبر الجلد. لسعة متصاعدة انزلقت صعودًا عبر ساقي، وتسربت عبر عمودي الفقري، وملأت رأسي برعب دخيل يتجاوز العقل. الحبال الرقيقة التي تمسك عقلي في مكانه انقطعت، انقطعت،

انقطعت، وانزلقتُ في شلل خانق بدا أكثر واقعية من حياتي بأكملها. كأنني كنتُ أحلم حتى الآن واستيقظتُ أخيرًا.

انشطر رأسي وتسلخ جلدي كألف سحاب يسرع للأسفل، للأسفل، للأسفل—الواقع يتشكل في حفرة تضيق باستمرار، قمع لا نهائي يسحبني، يسحقني أعمق وأعمق. لم أستطع تحريك أذرعي، لم أستطع تدوير رأسي. وكل انتفاخ لرئتي كان يُقطع، مضغوطة بصخور صلبة من كل جانب. ومع ذلك واصلت السقوط، بلا أنفاس، بلا جلد، أصرخ، أعتصر—جحظت عيناي، تكسرت عظامي وتهشمت، وجودي كله ينسحق حتى أصبح بعرض أنبوب صدئ، ثم قشة معدنية، و..

عثرت أصابعي على مقبض السكين الكرومي ورفعتني من حفرة الجحيم الهلوسية. انحنيت للأمام وبدأت أطعن—أطعن وأغرز في الظلام الدامس. تناثر دم بارد مع كل أرجحة، وتناثر على وجهي، وأذرعي. طعنتُ وقطعتُ، حتى صارت قبضة الكائن رخوة، حتى هدأ أزيزه، حتى توقف تمامًا عن الحركة...

ومع ذلك واصلت الطعن. طعنتُ الجثة حتى انزلق السكين، اللزج بالدم، من قبضتي. بحثتُ من حولي، وعثرت أصابعي على المقبض المطلي بالكروم. حاولتُ سحبه، لكن النصل كان عالقًا بين أضلع بارزة.

أخيرًا، زحفتُ مبتعدة، زاحفة بقدر ما سمحت لي أطرافي المنهكة. سقطتُ على ظهري. قلبي يخفق، أنفاسي تنهش. استلقيتُ هناك، عيناي مغلقتان، أحدق في فراغ أسود.

انتشر دم بارد فوق الخرسانة، مبللاً ساقيّ، وجذعي، لكنني بالكاد لاحظتُ ذلك. كل ما استطعت فعله هو التنفس: شهيق من الأنف، زفير من الفم، شهيق من الأنف، زفير من الفم.

ضرب خيط رفيع من الضوء جانب وجهي. فتحتُ عينيّ، أدرتُ رأسي. كانت شمس الصباح تشع عبر تلك النافذة الصغيرة. أشعة من الضوء المتمايل تقطع بين أشجار الصنوبر الشاهقة في الخارج. الشمس التي تشرق فوق **بروكسفيو هايتس** لم تكن بظلال حمراء مرعبة—بل كانت ذهبية بيضاء مألوفة.

أغمضتُ عينيّ مجددًا، وتركتها تدفئ جلدي الملطخ بالدم.

3
ملعب الشيطان

من المهم أن يحافظ المرء على ترتيب المنزل بصفة عامة؛ فكلما زادت الفوضى في أرجائه، زادت احتمالية مواجهتك للمتاعب.

***

لا أتذكر كيف غادرتُ القبو، وبالكاد أذكر أنني استحممتُ لأغسل عني الدماء. كان الواقع بعيدًا، كأنني أراقب نفسي على شاشة، عالقة في حالة من الصدمة الناتجة عن حرمان طويل من النوم. أما أهوال الليلة الماضية فقد حُبست في المجلد ذاته الذي أضع فيه الكوابيس شبه المنسية: تمزيق، طعن، دماء باردة تتدفق.

لقد انتصرتُ. هذا كل ما يهم. لقد منعتُ الإنكسار المدمر، وأوقفتُ شروق شمس حمراء. لقد أنقذتُ البشرية، وحميتُ **جيما**. **مايسي مولينز**، منقذة العالم. لو لم أكن بهذا القدر من الإرهاق، وبهذه الدرجة من الصدمة، لربما شعرتُ بالفخر.

بعد الاستحمام، خرجتُ من الحمام مرتدية سروالًا رياضيًا فضفاضًا وقميصًا واسعًا. وبينما كنتُ أمشي، كان الزجاج المكسور يصدر صوتًا تحت زوج من النعال ذات الأرضية الصلبة التي

وجدتها في غرفة نوم غريس. وبشعر لا يزال مبللاً، نزلتُ إلى البهو وتباطأتُ عند حافة غرفة المعيشة.

اهتز هاتفي—اتصال من **جيما**. ضغطتُ على «موافقة». قالت **جيما** بصوت متعب ونعسان:

«مرحبًا، كيف تسير الأمور؟».

أمعنتُ النظر في الفوضى التي عمت المنزل: زجاج مهشم، إطارات صور ساقطة، آثار أقدام ملطخة بالوحل، ونقاط دم متناثرة. قلتُ:

«إنها تسير... كيف حالكِ أنتِ؟».

«استيقظتُ للتو. أستعد لمقابلتي».

«مقابلة؟».

«في **تارغت**. ألم أخبرك؟».

«صحيح...».

صمتٌ ثقيل. توقفت **جيما** قليلاً ثم قالت:

«هل أنتِ... هل أنتِ متأكدة أن كل شيء على ما يرام هناك؟».

قضمتُ ظفر إصبعي وقلتُ:

«أجل. فقط... أنقذ العالم».

«هاه. متى ستعودين للمنزل غدًا؟».

كدتُ أجيب بضحكة خالية من المرح. قلتُ:

«لستُ متأكدة بعد». في وقت مبكر من ذلك الصباح، اتصلتُ بـ **غريس** بضع مرات أخرى، لكنني لم أحصل إلا على بريدها الصوتي مع كل محاولة. كانت احتمالية عودتها تقترب من الصفر. بدا أن **جيما** كانت محقة منذ البداية: لقد ورثتُ «لعنة» **غريس**. من المرجح أنني سأظل عالقة في مراقبة هذا المنزل حتى يوم مماتي. حقيقة لم أكن مستعدة إطلاقًا لاستيعابها، ناهيك عن البوح بها لأختي. قلتُ:

«على أي حال، يجب أن أذهب، حظًا موفقًا في **وولمارت**».

«**تارغت**».

«صحيح. حظًا موفقًا في ذلك».

«شكرًا..».

مجددًا، أنهيتُ المكالمة قبل أن تتمكن **جيما** من طرح المزيد من الأسئلة. وضعتُ هاتفي جانبًا، ومشيتُ ببطء، وأصوات خفّاي تطحن الزجاج المهشم. حان وقت العمل.

***

بدأتُ بإطارات الصور الساقطة. لم تكن لدي أدنى فكرة عن مكان كل منها، لكنني بذلتُ قصارى جهدي. كان دليلي الوحيد هو قالب غامض من المربعات والمستطيلات المتغيرة اللون على الجدران الخشبية—أحجية صور مقطوعة عمودية. وبينما كنتُ أعمل،

كانت **براوني** تراقبني، جاثمة في مكان مرتفع فوق خزانة الصيني مثل تمثال صغير.

علقتُ الصور، وأنا أركب عقليًا سردًا تقريبيًا لماضي عائلة **كارنسويل**. أي شيء لأشتت انتباهي. أي شيء لأحافظ على ما تبقى من فتات عقلي. بدا أن ثروة **ديفيد** جاءت من إمبراطورية أخشاب موروثة. في إحدى الصور، وقف عاقدًا ذراعيه أمام شاحنة نصف مقطورة، محاطًا برجال يرتدون بدلات أنيقة وخوذات بيضاء. تعرفتُ بوهن على الشعار—جبل أخضر داكن ذو قمتين مكتوب عليه: *«أخشاب كارنسويل»*. أظهرت صورة أخرى له وهو يتجول في منشرة أخشاب، بينما ينظر إليه الموظفون بوقار ولمحة من الخوف.

علقتُ صورة تلو الأخرى، رابطة المزيد من عناصر شخصية **ديفيد**. كان يعزف على الكمان. يحب القطط والكلاب. اعتاد أن يهتم بالتزلج على المنحدرات، وكان لاعبًا متميزًا في كرة "اللاكروس" في الكلية. بدا أنه كان متزوجًا مرة واحدة على الأقل قبل **غريس**، ولديه ابن. لم أرَ صورة واحدة لابنه وهو أكبر من عشرين عامًا—وكان يبدو حزينًا في معظم صوره، حتى عندما كان يبتسم.

مرة أخرى، بدأت ذكريات الليلة الماضية تطفو على السطح: تمزيق، طعن، دماء باردة تتدفق—دفعتها للأسفل مجددًا، وواصلت

العمل. واصلت تعليق الصور، وتجميع قصة عائلة **كارنسويل** لأشتت انتباهي.

بدت **غريس** وكأنها كانت تنتمي إلى "الهيبيز" في ذلك الوقت. في إحدى الصور كانت تجلس متربعة على بطانية ذات نقوش زهرية في مهرجان موسيقي خارجي. كانت في منتصف العشرينيات من عمرها هنا، ترتدي شالًا أخضر وتعزف على غيتار صوتي. رجل ذو شعر طويل وتاج من الزهور كان يلف ذراعه حول كتفيها. أظهرت صورة عائلية قديمة **غريس** مع ذلك الرجل نفسه، وكلاهما في الثلاثينيات. كان لديهما ثلاثة أطفال. كانت صورتين فقط، لكنها بدت أكثر سعادة معه مقارنة بـ **ديفيد**. تساءلتُ إن كان هو الآخر قد فارق الحياة.

بعد أن انتهيتُ من إطارات الصور، أخذتُ المكنسة الكهربائية من خزانة التخزين. وبينما خطوتُ عائدة إلى الردهة، لفت باب القبو انتباهي—مفتوح، بمقدار شق صغير فقط. اندفعت موجة أخرى من الذاكرة الحية إلى أفكاري: برقات تتلوى، أنفاس متهدجة، أوتار تتقطع. نفضتُ كل ذلك عني بقشعريرة مضطربة. ذهبتُ إلى باب القبو ودفعته ليغلق. لم أكن أعلم إن كانت الجثة لا تزال هناك، أم أنها تلاشت مثل بقية **الزوار**. ولم أكن متأكدة أيهما كان أسوأ. ربما سأضطر لسحب تلك الجثة الذابلة إلى الغابة، ودفنها في الفسحة الخالية. كانت تلك مشكلة أخرى سأتركها لـ **مايسي** الغد.

بدأتُ في تنظيف الطابقين الرئيسي والثاني بالمكنسة الكهربائية. تطلب الأمر ثلاث جولات في المنزل حتى يتوقف صوت طقطقة الزجاج المهشم. بعد ذلك، استبدلتُ كل مصباح مكسور. ثم مسحتُ الأرضيات وفركتُ السجاد. لم أستطع إزالة بقع الدم تمامًا، لكن كما استنتجتُ مسبقًا: **غريس** على الأرجح لن تعود على أي حال.

همس ذلك الصوت العليم في أعماق رأسي: *«ستظلين عالقة هنا للأبد يا مايسي. تطفئين الأنوار، وتطاردين الأرانب، وتتبعين آثار الأقدام إلى الغابات المظلمة»*.

بطريقة ما، لم أمانع كثيرًا.

نعم، كنتُ لا أزال أشعر بالبؤس، لكن للمرة الأولى في حياتي، شعرتُ أن لدي وجهة، وكأنني أساهم فعليًا في شيء ما. حماية البشرية، حماية أختي الصغيرة. واصلتُ المساومة مع وضعي، ومحاولة «النظر إلى الجوانب الإيجابية». كان لدي سقف يظلني. سقف بلا تهديد دائم بالطرد. وربما، عندما أتمكن من السيطرة على هذه الطقوس، ربما يمكنني إقناع **جيما** بالعيش هنا أيضًا؟

تخيلتُ أختي وهي تسخر، مكررة عبارتها السابقة: *«لن أقبل مليون دولار لأضع قدمي في نطاق خمسة عشر ميلاً من ذلك المنزل»*.

ومع ذلك، واصلتُ محاولة النظر إلى الكأس نصف الممتلئة. واصلتُ إخبار نفسي أن الأمور لم تكن بالسوء الذي تبدو عليه، رغم أن كل شيء كان محطمًا تمامًا. من المرجح أنني سأعود

للشعور بالرعب واليأس عندما تتلاشى الصدمة، لكن في الوقت الحالي...

أنهيتُ التنظيف عند حوالي الساعة الخامسة والنصف. كانت معدتي تقرقر. لم آكل شيئًا طوال اليوم. وبالتفكير في الأمر، بالكاد أكلتُ شيئًا في اليوم السابق أيضًا. في أوقات الأزمات، غالبًا ما يضيع الاهتمام بالذات الأساسية. في الأشهر التي تلت رحيل **أبي**، كنت أضطر باستمرار لتذكير نفسي بالاستحمام، والنوم، والأكل. فتحتُ الثلاجة—كانت لا تزال فارغة. فتحتُ المجمد في الأعلى—بضع صواني ثلج، وتوت بري مجمد، وعلبة "وافل" محشورة في الزاوية الخلفية.

لم يكن لدى **غريس** أي شراب مُحلى. كانت "الوافل" متجمدة لدرجة الاحتراق وذات طعم يشبه الورق المقوى، لكن ذلك كان مقبولًا تمامًا.

في الوقت الذي أنهيتُ فيه تناول الـ "وافل"، بدأ الهاتف ذو القرص الدوار بالرنين. نهضتُ من مقعدي، عبرتُ غرفة المعيشة، ودخلتُ البهو. رفعتُ الهاتف إلى أذني. قلتُ: «مرحبًا؟»، ممسكة بقلم فوق مفكرة وجدتها أثناء التنظيف.

«إنها **مايسي**، أليس كذلك؟». هذه المرة كان صوت امرأة عجوز. صوت هادئ بنبرة جنوبية ذكرتني قليلاً بجدتي الراحلة.

في الخلفية، تردد صوت أطفال يلعبون، وضحكات، ونباح كلب.
سألت العجوز:
«كيف حالكِ؟».
«كنتُ في حال أفضل...».
قالت بصدق يبدو حقيقيًا:
«يؤسفني سماع ذلك. لكنكِ تقومين بعمل مهم يا **مايسي**».
سألتُ: «من أنتِ؟ ولماذا تتصلين هنا؟».
زفرت العجوز تنهيدة طويلة: «لأنه الشيء الوحيد الذي..».
اندفعت مجموعة من خطى الأطفال الصغيرة المتسارعة، بينما استمر الكلب في النباح. استدارت العجوز بعيدًا عن الهاتف، تصرخ بشيء عن عدم السماح للكلب بدخول المطبخ. ضحكت بخفوت لنفسها واستدارت مجددًا:
«عذرًا، الأحفاد هنا».
«ماذا عليّ أن أفعل الآن؟».
«اليوم؟ تحتاجين فقط لإصلاح جزازة العشب وجزّ العشب، هذا كل شيء. لا داعي للعجلة، فقط أنجزي الأمر بحلول الغد..».
اندفعت مجموعة أخرى من خطى الأقدام المتسارعة، والمزيد من النباح. أطلقت العجوز أنة من الضيق:
«عليّ الذهاب، لكن شكرًا على كل ما تفعلينه».
نقرة.

أبقيتُ الهاتف على أذني لبضع ثوانٍ، ثم أعدته إلى قاعدته. بدأتُ بالسير نحو باب الفناء، واحدقت عبر العشب غير المعتنى به. أطلقتُ تنهيدة متعبة، ولم أشعر بأكثر من العدم.

«حسنًا».

4
الاعتناء بالحدائق

كان إصلاح جزازة العشب أمرًا يسيرًا بما يكفي، سير ناقل حركة مكسور وشمعة احتراق متسخة. كان لديهم قطع غيار لكليهما، مخبأة داخل خزانة فولاذية. وبينما كنت أعمل، أثارت رائحة بقايا العشب القديم وزيت المحركات ذكرياتٍ غابرة—ذكريات كنتُ سأحاول تجاهلها عادة، لكنني تركتها تراودني، وسرعان ما وجدتُ أنني لا أمانع صحبتها كثيرًا.

بعد أن أصبحت الجزازة جاهزة، قلبتها ورفعتها عن طاولة العمل. أمسكتُ بوعاء وقود أصفر من سقيفة الفناء الخلفي، شممته لأتأكد أنه بالفعل ديزل، ثم ملأت الخزان. دفعتُ الجزازة إلى العشب غير المهذب. ضغطتُ على مضخة الوقود خمس مرات وسحبتُ الحبل. دوت آلة الـ **DeWalt** بالحياة، وارتجاجاتها تهمس في راحتيّ. شرعتُ في جز العشب.

كانت الشفرات ثلمة، وكان العشب كثيفًا جدًا لدرجة أن الأمر تطلب أربع جولات بارتفاعات مختلفة للعجلات لإنجاز المهمة كاملة. وبينما كنت أعمل، طفت ذكريات قديمة أخرى على السطح، ولكن

مرة أخرى، لم أمانع ذلك كثيرًا. ورغم كل شيء، كنتُ أشعر بهدوء غريب.

*لا تقلقي يا **مايسي**، الصدمة ستزول قريبًا، انتظري فقط.*

أنهيتُ جز العشب قبل غروب الشمس بقليل. أعدتُ الجزازة إلى المرآب وتجولت في الداخل. استلقيتُ على الأريكة البيج، مستخدمة مسند الذراع كوسادة، أحدق في الفراغ. لا أعرف كم من الوقت بقيتُ مستلقية هناك قبل أن أخرج هاتفي وأبدأ في تصفح الصور القديمة. صور لـ **جيما**، ولي، و**أبي**. الصور نفسها التي كدتُ أحذفها منذ سنوات.

قلبتُ ألبومًا تلو الآخر، صورًا من «الغابة المسحورة»، صورًا من تدريبات كرة القدم، رحلات التخييم، صورًا لـ **أبي** وهو يعلمنا كيف نصنع نار المخيم، **أبي** وهو يجز الأعشاب ويقلم سياج الشجيرات، **أبي** وهو يبني لنا أرجوحة في الفناء الخلفي. **أبي** وهو يلصق شعار «مولينز لجز العشب» على جانب شاحنته...

وضعتُ هاتفي جانبًا وواصلت التحديق ببلادة في الفراغ. نظرتُ إلى الحائط، إلى إطارات الصور المعوجة. نظرتُ إلى بساط أخضر في الأسفل، حيث كانت بقع الدم لا تزال مرئية بوهن حتى بعد كل ذلك الفرك. انقلبتُ على ظهري وحدقت في السقف. تشكلت غصة في حلقي—فدفعتها للأسفل. أغمضتُ عينيّ، و... رأيتُ **أبي** و**جيما** وهي أصغر سنًا على كتفيه. رأيتُ **أبي** وهو يمسك عنكبوتًا

بكوب ويطلقه في الخارج. رأيتُ **أبي** يضحك ويبتسم. تلاشت الصور في الظلام. في العدم. تشكلت الغصة في حلقي مجددًا، وهذه المرة سمحتُ لنفسي أخيرًا بالبكاء. لم تكن دموع غضب، ولا دموع كراهية ذاتية مريرة، بل مجرد حزن. كان مؤلمًا، لكنه مطهر— كمطهر لجرح ظل مفتوحًا طوال السنوات الثلاث الماضية.

***

كان الظلام قد خيّم في الخارج بحلول الوقت الذي فرغتُ فيه من البكاء. فتحتُ عينيّ، مُحدقة في السقف؛ ضوء قمر رمادي مائل للزرقة وظلال أغصان الأشجار. تحرك شيء ما في طرف مجال رؤيتي. أدرتُ رأسي. عبر غرفة المعيشة، جالسًا فوق البساط الأخضر، كان هناك أرنب أبيض ذو عينين زرقاوين شاحبتين. زفرتُ عبر أنفي. كنتُ أتوقع ذلك تقريبًا. المشي تحت المطر. ببطء، اعتدلتُ في جلستي، وأنزلتُ قدميَّ عن الأريكة، واستعددتُ لمطاردة أخرى، لكن...

وثب الأرنب وثبةً تلو الأخرى نحوي. دسَّ رأسه بين قدميّ، ونظر للأعلى، ورمش بعينيه، وكأنه يطلب مني أن أنحني لأحكَّ خلف أذنيه. أخذتُ نفسًا عميقًا. وزفرتُ. انحنيتُ للأمام، وحملتُ الأرنب بكلتا يديّ، وضممته إلى صدري. كان وديعًا في قبضتي الحانية، ناعمًا ودافئًا على ذراعيّ. نهضتُ من الأريكة، وأنا أحكُّ خلف أذني

الأرنب برفق، هامسة بكلمات عذبة لا معنى لها، بينما كنتُ أمشي عبر غرفة المعيشة، وعبر المطبخ، متوجهة نحو المدفأة.

5
الرفقة

إذا أخفقتم في حرق الأرنب الأول: فلن يعود بإمكانكم الإمساك بالأرانب وإطلاق سراحها في الخارج، بل يتحتم عليكم حرق كل واحد منها دون استثناء خلال خمس دقائق من لحظة رؤيته.

***

ركعتُ أمام المدفأة، أعمل بثبات ولكن بسرعة. كان هاتفي مستلقيًا بوجهه للأعلى على الخشب الصلب، ومؤقتٌ يعد تنازليًا على شاشته:

أربع دقائق وسبع ثوانٍ متبقية.

بدأتُ بإشعال الحطب، مكورة أوراق الجرائد تحت هرمٍ معوج من الأغصان الجافة. كان الأرنب الأبيض يراقبني من قفص سلكي أخرجتُه من خزانة التخزين. كانت عيناه الزرقاوين الشاحبتين مليئتين بفضول خفيف: *ما الذي يخطط له هذا الإنسان؟*

إنه ليس حقيقيًا، قلت لنفسي. *ليس حقيقيًا*.

تناولتُ ولاعة العصا ذات اللون الأخضر الليموني من الصينية الخشبية. حررتُ مفتاح الأمان وضغطتُ على الزناد، نقرة—

تطايرت شرارات خافتة من الفوهة، لكن اللهب لم يشتعل. نقرة— لا شيء. *تنفسي يا* ***ميسي****. تنفسي*. نقرة—لا شيء. نقرة—لا شيء. *ابقي هادئة. ركزي*. نقرة، نقرة، نقرة—لا شيء، لا شيء، لا شيء. «تبًا لكِ». رميتُها عبر الغرفة. *تنفسي، ركزي، فكري*. طرتُ إلى البهو، وغصتُ في جيب السترة الخاصة بـ **أبي**، وأخرجتُ ولاعة سائق الأوبر التي كُتب عليها «عش حرًا أو مت محاولًا». عدتُ مسرعة إلى غرفة المعيشة، وركعتُ أمام النار. دقيقتان وثلاث وثلاثون ثانية متبقية.

أشعلتُ الورق ونفختُ على اللهب، محاولة إغراء النار بالحياة.

أمال الأرنب الأبيض رأسه، ورمش. بدا وكأنه يشعر بأن شيئًا ما ليس على ما يرام، لكنه لم يستطع تحديد ماهيته. نظرتُ بعيدًا، وشعرتُ بتحديق الأرنب، يخترق مؤخرة جمجمتي. طقطقت أغصان الحطب بينما كانت النار المتصاعدة تلعق الفولاذ الأسود في الأعلى. وضعتُ جذوع الأشجار في الداخل، واحدًا على كل جانب من الهرم. انتشر اللهب ببطء، وتصاعدت أصوات فحيح التشققات.

تركتُ الباب مفتوحًا قليلاً، ليسمح للهواء بالدخول وتغذية الحريق. وسرعان ما كانت النار تتأجج بقوة.

دقيقة واثنتا عشرة ثانية متبقية.

نظرتُ مجددًا إلى الأرنب. الآن، كانت عيناه متسعتين بخوف تعبيري مرعب.

إنه ليس حقيقيًا يا ***مايسي****. ليس حقيقيًا.*

فتحتُ القفص وأمسكتُ بالأرنب. كان يرتجف تحت قبضتي. مسحتُ على أذنيه، هامسًا بكلمات عذبة أخرى.

«لا بأس، نحن بخير». هدأ الأرنب، وتحول ارتعاشه إلى تنفس بطيء.

أربعون ثانية متبقية.

استخدمتُ مرفقي لأفتح الباب بالكامل. اندفعت موجة من الحرارة، تداعب ذراعيّ وساقيّ. وبينما كنتُ أقرب الأرنب من ألسنة اللهب المتصاعدة، بدأ يركل ويتلوى. مزقت مخالبه الطويلة بشرتي، تاركة وراءها جروحًا حارقة—شددتُ قبضتي، رافعة الأرنب نحو النار، أقرب، عندما ..

طنين...

اهتز هاتفي بغضب على الخشب الصلب:

اتصال من ***جيما***

تحرر الأرنب من قبضتي، قفز من بين ذراعيّ، وانطلق كطيف عبر غرفة المعيشة، واندفع عبر المطبخ، واختفى في الردهة الخلفية. دون تفكير، التقطتُ هاتفي واندفعتُ خلف الأرنب. حملتني ساقاي بسرعة مصممة. في نهاية الردهة، انزلقتُ حول الزاوية..

كان باب القبو مواربًا، ومخالب الأرنب تطقطق على الدرج المصنوع من الفينيل. تقدمتُ للأمام، فتحتُ الباب بالكامل، وتجمدتُ في مكاني. تدفقت موجة أخرى من ذكريات الليلة الماضية عبري: المزيد من الطعن، والتمزيق، وتناثر الدماء...

اهتز هاتفي مجددًا.

انتهاء المؤقت

سقطت يدي عن مقبض الباب وتدلت بجانبي. اتخذتُ خطوة بطيئة للخلف، وهذا الشعور المقيت بالفشل يغمرني مرة أخرى، كأنني فعلتُ شيئًا شنيعًا أخلاقيًا، شيئًا حقيرًا وملوثًا. لكن هذه المرة، أُزيح هذا الشعور سريعًا بإدراك أسوأ: *إذا كانت ليلة أمس نتيجة فشلي في الإمساك بأرنب بني، فما الذي يخبئه لي القدر الآن..*

بدأ هاتفي بالاهتزاز مجددًا.

اتصال من ***جيما***

استدرتُ مبتعدًا عن القبو، وسرتُ في الردهة، وبالكاد أستطيع التفكير، ضغطتُ على «موافقة».

قالت **جيما**: «مرحبًا».

«مرحبًا... كيف تجري الأمور؟» سألتُ. *حافظي على المظاهر يا* ***مايسي****، تأكدي من ألا تأتي أختكِ إلى هنا.*

قالت **جيما**: «لقد حصلتُ على الوظيفة!».

«حـ-حقًا؟». كان صوتي مرتجفًا، وإحساس الهلاك الوشيك يزداد ثقلاً—رؤى مرعبة تتردد في رأسي كجرذ ميت في زجاجة بلاستيكية. ولم أكن أعرف حتى عما تتحدث أختي—حصلت على الوظيفة؟ أي وظيفة؟

تابعت **جيما**:

«المقابلة سارت بشكل جيد على نحو مفاجئ»، تلاشت كلماتها في مزيج مضطرب. كانت تقول شيئًا عن أن الوردية الأولى هي غدًا. لا بد أنني أجبتُ، لأن **جيما** قالت: «ماذا؟ ماذا يعني ذلك حتى؟ هل أنتِ بخير؟».

تعثرتُ داخل المطبخ، متمسكة بالطاولة للتوازن. سقطت معدتي، كأن بابًا سريًا قد فُتح تحتها. *انكسار مدمر. انكسار مدمر. انكسار...*

قلتُ :

«أنا بخير، أنا بـ-بخير. أنا فقط متعبة، أنا فقط..».

تردد صوتي المتلعثم مجددًا عبر مكبر الصوت، ثرثرة غير مفهومة. انقلبت معدتي، والوافل نصف المهضوم يهدد بالاندفاع عبر حلقي. بالكاد استطعت إبقاؤه في الداخل.

قالت **جيما**: «**مايسي**، هل سمعتِ حتى ما..» تلاشت كلماتها في مزيج مضطرب آخر.

أبطأتُ تنفسي. شهيق من الأنف، زفير من الفم.

قلتُ:

«أنا فقط، أشعر بألم في المعدة، وافل سيء».

«وافل سيء؟». توقفت **جيما**. «هل... هل أحتاج للقدوم إلى هناك، أو، مثلًا، الاتصال بشخص ما؟». بدا صوت **جيما** خائفًا الآن. كانت تعرف أنني أكذب.

«**مايسي؟**».

«لا، لا، الأمر بخير». إن احتمال انجرار أختي إلى هذه الفوضى العارمة أخرجني من دوامة الهلاك. وقفتُ مستقيمة، ونظفتُ حلقي. «كل شيء جيد، لا تقلقي بشأن..».

خلفي، عبر غرفة المعيشة، وحول زاوية البهو، ترددت ثلاث طرقات جوفاء على الباب الأمامي. أنزلتُ الهاتف ونظرتُ من فوق كتفي. صمت. صمت طويل لدرجة جعلتني أتساءل عما إذا كنتُ قد سمعتُ أي شيء من الأساس. أعدتُ الهاتف إلى أذني..

قالت **جيما**: «**مايسي؟** هل تسمعينني؟».

«أجل، أنا فـ-فقط..».

ترددت ثلاث طرقات أخرى، أعلى وأكثر إلحاحًا، تلاها هذه المرة صوت مكتوم.

«مرحبًا؟».

/ختبئي.

بينما الهاتف لا يزال في يدي، بدأتُ بالسير نحو الردهة الخلفية. تحدث الصوت مجددًا، أعلى وأوضح. كان يبدو كرجل في منتصف العمر.

«هل يوجد أحد في المنزل؟». المزيد من الطرق.

«مرحبًا؟».

تجمدتُ.

سرب من الرعب القاتم تسلق ظهري. لم يكن هو. لا يمكن أن يكون هو.

«**مايسي**». تردد صوت **جيما** عبر المكبر. أعدتُ الهاتف إلى أذني. سألت: «من هناك؟».

همستُ: «أنا... أنا لا أعرف...».

تردد المزيد من الطرقات الجوفاء. مفاصل أصابع ضد الزجاج. ابتلعتُ غصة في حلقي واتخذت خطوة واحدة غير واعية نحو البهو.

قالت **جيما** من بين أسنانها:

«**مايسي**، إذا كان هناك شخص ما، يجب عليكِ الاختباء..».

«بدا الأمر وكأنه..».

«أعرف، لكنه ليس هو، حتى لو كان هو، فهو ليس كذلك. يجب عليكِ الاختباء».

المزيد من الطرق على الباب الأمامي.

«مرحبًا؟ تعطلت شاحنتي، أحتاج لاستعارة هاتف».

كل مقطع صوتي جعل العقدة بين رئتيّ تنتفخ، جعلت ذلك الالتواء يشتد أكثر، أكثر، أكثر، و—قبل أن أدرك ذلك، كانت ساقاي تحملاني عبر غرفة المعيشة، نحو البهو. خطوة بطيئة لكنها حتمية.

همست **جيما**:

«**مايسي**، اختبئي. لا تدعيه يراكِ..».

عالقة في غيبوبة مرعبة، أنهيت المكالمة وخبأت هاتفي. استمرت ساقاي في التحرك دون إذن عقلي، مستمرتين في تقريبي أكثر فأكثر من البهو. ***مايسي***، فكرتُ، *ما الذي تفعلينه؟ أنتِ تسيرين في الاتجاه الخاطئ. لا تكوني غبية، اختبئي. اختبئي. اختبئي..*

في اللحظة الأخيرة، قبل أن أوشك على الالتفاف حول الزاوية، استعدتُ رشدي وتوقفتُ فجأة. ضغطتُ بظهري على الحائط، وأطبقتُ عينيّ بشدة، وزفرتُ نفسًا مؤلمًا ومتقطعًا. ما الذي كنتُ أفعله؟ كل جزء من كياني أراد إلقاء نظرة حول تلك الزاوية، ولم أكن أعرف حتى السبب. *فقط اتبعي الطقوس. اختبئي. انتظري حتى يرحل*. أخذتُ نفسًا آخر، زفرتُ، وبإصرار متجدد، بدأتُ بدفع نفسي عن الحائط، لكن..

صورة مدخل **ويندفول**. من هذا الموقع، منعكسًا على زجاجه، استطعتُ رؤية **الزائر** عند الباب، متداخلًا مع السحب العاصفة: صورة ظلية ضبابية، تكاد تكون بالأبيض والأسود.

طويل وعريض. ركزتُ بصري، فقط لأؤكد ما كنتُ أخشاه بالفعل، ما كنتُ أعرفه بالفعل:

كان **الزائر** عند الباب صورة طبق الأصل عن **أبي**، وصولاً إلى أدق التفاصيل. كان يبدو تمامًا كما كان في الليلة التي نهض فيها وسط مشاهدة فيلم (*العودة إلى المستقل*)، سار إلى الباب الأمامي، وقال: «سأعود خلال ساعة، ربما ساعتين». كان يرتدي حتى نفس الملابس: أحذية عمل ملطخة بالعشب، وجينز بالٍ، وقميص فرقة *Fleetwood Mac*.

لم يكن صورة طبق الأصل فحسب، بل كان يتحرك، ويتنفس، ويوجد بطريقة ما تمامًا مثلما كان **أبي**. وبينما كان يحدق عبر لوح الزجاج الممتد من الأرض إلى السقف، ابتسم بصبر من خلال لحيته الكثيفة. كانت تعابيره مليئة بنفس بريق اللطف الوديع الذي كان يحمله دائمًا. بريق كان يشعرني بالأمان الشديد، لكن الآن، ورؤيته هنا، ملأني برعب لا يمكن تصوره. كأن كيسًا متورمًا قد انفجر داخل معدتي، مطلقًا كتلة من اليرقات المتلوية، تأكلني من الداخل إلى الخارج.

حاول **الزائر** الذي بدا تمامًا مثل **أبي** الطرق مجددًا، محدقًا عبر الزجاج، ثم...

نظر مباشرة إليّ.

الجزء الخامس

التسريح من العمل

الحزن

اعتدتُ أن أظنَّ أن الجميع يشعرون بالبؤس ذاته الذي يعتريني.. وأنَّ من الطبيعي أن تستيقظ كل صباح وتفكر: «تبًا، مرة أخرى؟». كنتُ في الرابعة عشرة من عمري حين راودتني للمرة الأولى فكرة أنني ربما، ربما فقط، «مكتئبة».

مكتئبة.

كانت الكلمة تجعلني أشعر بأنني مثيرة للشفقة، كبالونٍ في حفلة لا يتوقف عن تسريب الهواء، *هسسسسس*. سرعان ما سأصير مجرد قصاصة من المطاط المتهالك، متجعدة ومفرغة من الهواء على الأرض. اكنسوني وارموني في سلة المهملات.

كنتُ «مكتئبة» قبل رحيل **أبي** بزمن طويل. أحيانًا أنسى ذلك. أحيانًا أقول لنفسي إن كل شيء كان مثاليًا وسعيدًا حين كان **أبي** على قيد الحياة. أقول لنفسي إن كل شيء سيكون مثاليًا مجددًا لو عاد فحسب. لكن هذا ليس صحيحًا.

نعم، ستكون الأمور أفضل، ولكن بوجود **أبي** أو عدمه، تعيش السلبية في عظامي. تجلس جاثمة على كتفيَّ مثل ملاكين فاشلين، كئيبين وسكارى في وضح النهار، يهمسان في أذنيَّ: *«ابقي في الفراش فحسب يا **مايسي**. ابقي في الفراش، فما الجدوى من فعل*

أي شيء بعد الآن؟ ابقي في الفراش حتى تغرقي في النوم مجددًا وتغيب الشمس من جديد».

لم يزد موت **أبي** تلك الأصوات إلا ذخيرَة. جعل تلك الأصوات غاضبة ومريرة. جعلها تخبرني بأن العالم ربما يكون مكانًا أفضل بدوني.

«تماسكي»، كنت أقول لنفسي، *«توقفي عن الحزن. توقفي عن كونكِ ضعيفة. يمكنكِ محاربة هذا».*

جربتُ أشياء كثيرة. الركض. الكتابة في مذكراتي. التفكير الإيجابي. لم ينجح أي شيء منها. لم أكن أملك تكاليف الاستشارات أو الأدوية، لذا كنتُ أبحث في المنتديات عبر الإنترنت طلبًا للنصيحة، فأصادف شعارات باهتة مثل:

«كل شيء يحدث لسبب».

«الله لا يحمّل نفسًا إلا وسعها».

«الانتحار هو حل دائم لمشكلة مؤقتة».

لطالما لمستُ تلميحًا من التعالي خلف هذه العبارات المبتذلة، كأن الشخص الذي يكتبها يمتلك كل الإجابات.

«حاولي فقط النظر إلى الجانب الجيد في الحياة. ففي نهاية المطاف، يمكن للأمور أن تكون أسوأ دائمًا».

رائع، شكرًا لك، لقد رفعت معنوياتي حقًّا.

لم ألجأ إلى **أبي** قط طلبًا للمساعدة بشأن اكتئابي، ولا أستطيع حتى قول السبب. كان مستمعًا جيدًا على الدوام. ربما كنتُ قلقة بشأن زيادة ضغوطه. كان يحمل الكثير من الهموم على عاتقه بالفعل؛ عملاء مفقودون، فواتير تتزايد باستمرار، وكل تلك الضروريات المبتذلة للحياة.

فكرتُ كثيرًا في الأشياء التي كنتُ سأقولها لو كنتُ أعلم أنني لن أراه مجددًا.

«أتمنى فقط لو كان بإمكاني قول شيء واحد إضافي».

سمعتُ تلك العبارة مرات لا تحصى في الكتب والأفلام. ولطالما افترضتُ أنها واحدة من تلك الكليشيهات التي توجد لسبب وجيه. لكن حتى فقدتُ **أبي**، لم يتردد صداها حقًا في داخلي. بالطبع، فهمتُ المشاعر؛ فبالتأكيد أريد قضاء لحظة أخيرة مع شخص ما قبل أن يرحل للأبد. لكن فهم شيء ما يختلف تمامًا عن الشعور بتلك الفجوة الفارغة في أحشائك، ذلك الجدار الصارخ من العدم، العدم، العدم. ذلك الجرح الغائر الذي لا يلتئم جراء الفقد الأبدي، كأن جزءًا حيويًا منك—عضوًا أساسيًا—قد انتُزع وأُحرق ليصير رمادًا وأُلقي في البحر. إبادة كاملة وتامة لشخص قريب جدًا لدرجة أنك تعرف صوت خطواته بدقة، وتعرف نوع النكات السخيفة التي تضحكه، وتعرف ما الذي يجعله يبتسم، وما الذي يشعره بالفخر.

«أتمنى فقط لو كان بإمكاني قول شيء واحد إضافي. الجلوس والتحدث معه مرة أخيرة».

لقد استعدتُ ذلك السيناريو في رأسي مرارًا وتكرارًا. تظاهرتُ بأن **أبي** لم يغرق في نهر، وتظاهرتُ بأنه مرض بدلًا من ذلك. تخيلتُ نفسي أجلس بجانبه على فراش موته، ممسكةً بيده وقربها من وجهي، أستمع إلى أنفاسه. لكن الأمر المضحك هو أنني في كل مرة التقيت فيها بـ **أبي** في أفكاري أو أحلامي—في كل مرة أتيحت لي فيها الفرصة لأقول له شيئًا أخيرًا قبل أن يتلاشى في العدم...

لا أعرف أبدًا ما الذي يجب أن أقوله.

1
اللون العسلي

لا تفتحوا مغلف «في حالة الطوارئ» إلا عندما تشعرون أنه لم يعد أمامكم خيارٌ آخر. أنصتوا إلى حدسكم. فإذا حانت تلك اللحظة .. ستعرفون ذلك.

***

«مـ**ـمايسي**»، تمتم **الزائر** الذي بدا تمامًا مثل **أبي**. «مـ-ما الذي تفعلينه هنا؟». كان يبدو مشوشًا أكثر مما كنتُ عليه. اتجهت يداه إلى مقبض الباب—حركة غريبة وتشنجية، مفاجئة لدرجة أنها بدت لا إرادية تقريبًا. دفع، سحب، لكن الباب ظل صامدًا. نظر إليّ مجددًا في انعكاس إطار الصورة. «**مايسي**»، انكسر صوته، على وشك البكاء، «يجب أن تهربي».

أطبقتُ يديّ على فمي، أكتم شهقة متلعثمة. كان **الزائر**، وهو يهز الباب، يواصل التوسل: «**مايسي**، هذا ليس أنا.. يجب أن تختبئي». لكن رغم توسلاته، كان يواصل محاولة اقتحام المنزل—كلماته تتوسل إليّ لأرحل، لكن يديه تحاولان شق طريقهما عبر الباب.

انتزعتُ نفسي بعيدًا عن البهو وتعثرتُ داخل غرفة المعيشة. ضاق مجال رؤيتي، وبدا المنزل بأكمله وكأنه ينكمش. ساندتُ نفسي على جدار. *تنفسي يا* ***مايسي،*** *تنفسي*. أردتُ الصراخ، أن أتقيأ أحشائي، أن أتوقف عن الوجود تمامًا، عندما—في الخارج، ترددت خطوات ثقيلة ومكتومة.

كان **الزائر** يبحث عن طريق آخر للدخول. اتجهت عيناي إلى باب الفناء: غير مقفل.

كان هو، ذاك الشيء، في طريقه إلى هناك بالفعل، مصممًا وسريعًا. سار بموازاة النوافذ، لكن رأسه كان ملتفًا بزاوية حادة، وعيناه اللتان لا ترمشان مسمرتان على عينيّ بينما كان يتقدم للأمام. هرعتُ إلى هناك، وفقط حين أمسك **الزائر** بالمقبض—قفزتُ، مددتُ ذراعي، وأدرتُ القفل لأغلقه.

التقت نظراتنا، وأدركتُ أخيرًا لون عينيه. لم تكونا عسليتين كعيني **أبي**، مثل عيني **جيما**—بل كانتا بذلك اللون الأزرق البارد، شاحبتين لدرجة أنهما كانتا تكادان تكونان بيضاويين. بينما حدق كل منا في الآخر، توقف تنفسي—لحظة غريبة وصامتة ملأت الغرفة. «**مايسي،** أنا...». تجعد الخوف في ثنايا وجهه. بدأت عيناه تدمعان. «**مايسي،** أنا لا... لا أعرف كيف وصلت إلى هنا...».

ماذا لو كان هذا هو ***أبي*** *حقًا؟ ماذا لو أُحيي من الموت، وجيء به إلى هنا رغماً عنه؟*

استمرت عيناه في ذرف الدموع، لكن قبضته على مقبض الباب اشتدت. تشنج وتر في رقبته.

إنه ليس هو.

خرجتُ من ذهولي وأخذتُ خطوة للوراء.

*إنه ليس **أبي**. اختبئي.*

اتبعي الطقوس.

بدون تفكير واعٍ، استدرتُ، خطفتُ المغلف الثالث والأخير من الصينية الخشبية، ومزقته. كان يحتوي على كلمة واحدة فقط:

القبو

ارتطام.

ارتطم **الزائر** بكتفه على باب الفناء، والدموع تنهمر على وجهه.

ارتطام.

تأرجح الزجاج في إطاره، محدثًا صوتًا هشًا ومزعجًا. تراجع **الزائر** للخلف وألقى بكل ثقله للأمام—تطايرت شقوق رفيعة حول الحواف. «**مايسي**»، بكى، «اهربي».

حشوتُ الرسالة في جيبي، وهرعتُ إلى الردهة الخلفية—تجاوزتُ المكتب، وتجاوزتُ غرفة التخزين. انزلقتُ حول الزاوية الأخيرة، دفعتُ نفسي بعيدًا عن الحائط، وانطلقتُ مباشرة نحو القبو. أغلقتُ الباب خلفي بقوة، مسندة ظهري عليه.

كان قلبي يتسابق. شهقتُ، وزفرتُ. شهيق من الأنف، زفير من الفم. لم أستطع التوقف عن الارتجاف—رعشة عصبية لا يمكن السيطرة عليها. وطوال الوقت، كان **الزائر**، بعيدًا ومكتومًا، يرتطم بباب الفناء، مرارًا وتكرارًا.

ارتطام. ارتطام. ارتطام.

جربتُ أقرب مفتاح إضاءة—لا شيء.

تخبطتُ باحثة عن هاتفي، لكنه انزلق من يدي المرتجفتين، وسقط باتجاه الظلام في الأسفل. *يا لي من غبية حمقاء*. نزلتُ، بسرعة كبيرة، التقت قدماي بالفراغ حيث كان يجب أن تكون هناك درجة. تعثرتُ للأمام، ودور العالم حولي حتى ارتطمت بالخرسانة الباردة، كومة متداعية. تألمت عظامي. دفعتُ نفسي لأقف على يديّ وركبتيّ.

بعيدًا في السواد: خط أحمر رفيع كان يحوم. ضيقتُ عينيّ—كان شق باب مغلق، ضوء أحمر يسطع من تحته.

في الطابق العلوي، ارتطام مدوٍّ—خطى ثقيلة تردد صداها. كان **الزائر** بالداخل، يفتح الأبواب، يقلب الأثاث—يبحث. يصطاد.

بدأ ذلك الخط الأحمر الرفيع يسطع أكثر، منعكسًا على الخرسانة كالقمر فوق بحيرة متجمدة. توهج منتشر كشف عن الجسد الهزيل، الذي لا يزال ملقى حيث تركته الليلة الماضية—صورة ظلية مشوهة محاطة بدائرة سوداء من الدم الجاف واليرقات الميتة.

نهضتُ واقفة، عالقة في غيبوبة. حملتُ نفسي للأمام، خطوة بخطوة، نحو الخط الأحمر الرفيع. كان هناك جاذبية مروعة تستحوذ على كل حركاتي، كأن قوة غير مرئية كانت تسحبني أقرب. كفراشة تنجذب إلى اللهب. واصل **الزائر** الصيد في الطابق العلوي، يطأ بقوة، يفتش، لكن كل ذلك بدا بعيدًا جدًا الآن، بلا معنى. وصلتُ إلى باب أبيض اللون، لففتُ يدي حول مقبض نحاسي بارد، و..

بينما كانت قواي العقلية تتأرجح على حافة منحدر، أدرتُ المقبض، دفعتُ الباب لأفتحه، ودخلتُ غرفة بلا نوافذ. غمر الضوء الأحمر كل سطح هنا، طالًا الأرضية الخرسانية، والجدران الخرسانية، والعازل المكشوف في السقف. في وسط الغرفة تمامًا، جاثمة فوق عربة معدنية—جهاز تسجيل وتشغيل أشرطة الفيديو والتلفاز القديم. كانت شاشته حمراء تمامًا، تغمر المكان بتوهجها الجحيمي. أغلقتُ الباب خلفي وأوصدته. التفتُّ لأواجه التلفاز، وبيدٍ مرتجفة أخرجتُ الرسالة من جيبي—الآن كانت مغطاة، من الأمام إلى الخلف، بنفس الكلمة، مرارًا وتكرارًا:

شاهدي شاهدي شاهدي شاهدي شاهدي

دبَّت الحياة في الجهاز بنقرة مكتومة—وبدأت نغمة مشؤومة بالارتفاع. كان الشريط قد بدأ في العمل من تلقاء نفسه. وقفتُ جامدة، مبهورة.

لم يكن أمامي خيار سوى المشاهدة.

2
في حالة الطوارئ

استمرت النغمة المشؤومة في التصاعد.

تحولت الشاشة الحمراء إلى اللون الأزرق الصافي. ثم عادت إلى الأحمر. ثم الأزرق. أحمر. أزرق. أحمر. أزرق. وبوتيرة أسرع فأسرع، تداخلت الألوان لتصبح مسحة وردية أرجوانية—بينما كانت النغمة ترتفع وتشتد دون أي انحسار.

ظلام. صمت. ثم، انقطعت الشاشة السوداء لتظهر..

منحدرات صخرية، أشجار شوكران معوجة، سماء رمادية: **ويندفول إنليت**. كانت الأمواج الهادرة تتحطم ضد الصخور المسننة، والريح تعوي، وطيور النورس تنعق. بقيت الصورة ثابتة لحوالي خمس ثوانٍ، وفجأة، بينما كانت شمس ذهبية بيضاء تبدأ في الصعود فوق أفق بعيد، انطفأت الشاشة إلى سواد.

ساد الصمت.

ثم، لقطة من كاميرا فيديو لبهو المنزل. كانت الكاميرا موضوعة على الطاولة الجانبية، بزاوية مائلة. كان **ديفيد كارنسويل** يقف منحنيًا فوق الطاولة، وعيناه متسعتان من الرعب. كان يرتدي معطف مطر أخضر زيتوني، ملطخًا بالطين، وكان الهاتف الأبيض

اللامع محشورًا بين أذنه وعظمة ترقوته. كان يستمع إلى شخص ما على الطرف الآخر، ويخربش بجنون في دفتر ملاحظات مجلد بالجلد.

انتقلت اللقطة إلى تصوير قريب ومضطرب لـ **ديفيد** وهو يختبئ في غرفة مظلمة. كان يمسك الكاميرا وهو يرتجف. «إذا كنتم تشاهدون هذا»، قال بنبرات خافتة، وصوته يرتجف وعلى وشك البكاء، «فهذا يـعني أن **زائرًا** قد اتخذ شكل شخص فـفقدتموه». نظر إلى الأسفل، يقرأ شيئًا خارج إطار الكاميرا. «هذا نتيجة فشلكم في حرق الأرنب الأبيض حيًا...». أغمض عينيه بقوة، وسالت دمعة على وجهه وانزلقت إلى زاوية فمه. فتح عينيه، وتابع القراءة: «يمكنكم محاولة الاختباء، لكن إذا وجدكم **الزائر**، فعليكم أن...». تنفس بعمق، وزفر شهقة متلعثمة. «عليك أن تقتلوه».

تابع القراءة: «إذا نجوتم حتى الصباح، سيضيء الضوء، ضوء البهو سيضيء—أطفئوه في غضون ثلاث دقائق لمنع شروق شمس حـحمراء—».

أنزل **ديفيد** الكاميرا—مشهد مقلوب لرفوف معدنية، ومواد تنظيف، ومصابيح احتياطية. غرفة التخزين. عادت الكاميرا لتسلط الضوء على وجه **ديفيد** مجددًا. همس: «سـسيفعل **الزائر** كل ما في وسعه ليجعلكم تترددون، لا تدعوه يخدع..».

«أبي؟»، نادى صوت مكتوم لشاب صغير. «أين أنت؟».

تسلل الرعب إلى كل ركن في وجه **ديفيد**. أغمض عينيه وبدأ يهمس بصلاة غريبة ويائسة:

«لأنك تحمي من لا يستطيعون حماية أنفسهم. وكنت هناك حين دفنوا الشمس، أغرقت الصحاري، وقدتنا إلى..».

صمت، واضعًا يده على فمه. ثم، وبما يتجاوز كل تفسير وكل منطق، انتقلت اللقطات إلى..

لقطة لي في صغري، ولأختي، ولـ **أبي**. مرآب طفولتنا. كان الظلام مخيمًا، ومصدر الضوء الوحيد هو مصباح طاولة العمل. توهج علوي، ناعم ودافئ. كانت ظهورنا موجهة للكاميرا، مجرد صور ظلية. كان **أبي** منحنيًا فوق طاولة العمل، يعبث بمحرك جزازة عشب مفكك. وإلى يساره كانت تقف **جيما**، التي بدت في السابعة أو الثامنة من عمرها، وإلى يمينه كنتُ أقف أنا، في حوالي الثانية عشرة من عمري.

كان المشهد سينمائيًا بشكل غريب، متقن التكوين. وكان الإطار يندفع للأمام باستمرار، ببطء شديد لدرجة أن الحركة كانت تكاد لا تُلحظ. لم يكن الأمر يبدو كلقطات كاميرا، بل كأنني أنظر من خلال عيني كائن ما. أنظر إلى شيء صيغ من ذكريات غابرة وأحلام شبه منسية.

أشارت **جيما** إلى محرك جزازة العشب.

سألت: «ما هذا الجزء؟»

قال **أبي** : «كاتم الصوت»

«ماذا يفعل؟».

أجاب : «يساعد في تقليل الصوت»

تأملت **جيما** هذا، ثم قالت: «إنه يكتم الصوت».

«أجل».

«لكن». أمالت رأسها. «لا يزال عاليًا جدًا».

أومأ **أبي**. «تخيلي فقط كم سيكون عاليًا بدونه». نظر إلى يمينه، نحوي وأنا في الثانية عشرة من عمري.

قال:

«**مايسي**، هل يمكنكِ أن تأتي لي بـ...»، نظر مجددًا إلى المحرك، «بمقبس ربع بوصة».

مايسي الصغيرة، بإيماءة مطيعة، استدارت وبدأت تبحث في صندوق الأدوات. أحضرت القطعة ذات الربع بوصة. أخذها **أبي**، وعاد لإصلاح المحرك. اقتربنا أنا وأختي الصغيرة، نراقبه وهو يعمل، مبهورتين. ومع اقتراب الإطار أكثر فأكثر، أسندت **جيما** رأسها على ذراع **أبي**، وبدأت نغمة أخرى حادة الارتفاع بالصعود.

انتقلت اللقطات إلى..

مساحة تحت الماء، عكرة ورمادية. تيار عنيف يجلد الأوساخ والحطام من اليسار إلى اليمين. وطوال الوقت، ومثل أظافر على سبورة، استمرت تلك النغمة المتنافرة في الصعود، تزداد علوًا،

وأعلى. استمر الإطار في الاندفاع ببطء للأمام. وفي المسافة، بدأ يتشكل شكل ضبابي ومألوف.

شاحنة صغيرة... *فورد رينجر* بيضاء. أو على الأقل، كانت بيضاء—الآن، تآكل معظم الطلاء بسبب الصدأ. ورغم سنوات التآكل، كان شعار *مولينز للمجز* لا يزال مرئيًا. وجه **أبي** الكرتوني—يتقشر ويتشقق مثل طين جاف في صحراء—لا يزال يبتسم تلك الابتسامة المائلة، لا يزال يرفع ذلك الإبهام المميز. ثم، عادت الشاشة إلى اللون الأحمر الصافي.

3
لم الشمل

حدقتُ ببلادة في الشاشة الحمراء، مشلولة بما شاهدته للتو. استمرت النغمة في التصاعد، عالية لدرجة أنني بالكاد أستطيع التفكير..

ملأ الغرفة ارتطامٌ ثقيل. استدرتُ مذعورًا.

ارتطام.

تزعزع الباب الأبيض في إطاره، وكان **الزائر** يرتطم به من الجانب الآخر، مرارًا وتكرارًا. لم يكن ليصمد طويلًا.

انجُ بحياتك.

اتبع الطقوس.

مسحتُ الغرفة ببصري، باحثة عن أي شيء أدافع به عن نفسي، لكن بخلاف التلفاز وجهاز تشغيل الفيديو..

جهاز الفيديو.

اندفعتُ نحوه، وانتزعته من فوق العربة. انقطع سلك الطاقة مع وميض من الشرر، لكن شاشة التلفاز ظلت حمراء تمامًا، واستمرت النغمة في الازدياد، أعلى فأعلى، مغرقةً كل صوت آخر. تراجعتُ إلى زاوية بجوار الباب ورفعتُ جهاز الفيديو، مستعدة للضرب.

*إنه ليس **أبي**، إنه ليس **أبي**، إنه ليس **أبي**—*

واصل **الزائر** الارتطام بالباب، كل صدمة كانت أثقل من سابقتها، حتى—حدث كل شيء في آن واحد: انفتح الباب فجأة—ترنح شخص غامض للداخل—قفزتُ، لوحتُ—تردد صدى ارتطام هش في الغرفة—تعثر الشخص للأمام، استعاد توازنه على العربة، استدار لينظر إليّ، لكنه لم يكن **أبي**...

واجهتني **جيما**. انخفض فكها، وحاولت قول شيء ما، لكن لم يخرج سوى شهقة قصيرة. رفعت ذراعًا وضغطت براحة يدها المرتجفة على صدغها. سال خيط رفيع من اللون الأحمر القاني من تحت راحة يدها، متساقطًا على الأرض.

نظرتُ إلى يديّ، إلى جهاز الفيديو، وإطاره المعدني المشوه والملطخ باللون الأحمر. نظرتُ إلى عينيها، متوقعة رؤية ذلك الأزرق الشاحب ذاته، لكن توهج التلفاز انعكس على نظارتها..

دوائر حمراء صلبة تحجب عينيها عن الرؤية. *سيفعل **الزائر** كل ما في وسعه ليجعلك تتردد*. صررتُ على أسنانِي، وتقدمتُ خطوة للأمام، مستعدة للضرب مجددًا، لكن...

ترنح **الزائر** للخلف، وفي ثانية واحدة، سقط. سقوطًا متصلبًا ومترنحًا. ارتطم قاع جمجمته بالخرسانة بفرقعة مقززة.

ساد الصمت.

حتى النغمة المتصاعدة قد توقفت.

اقتربتُ، محدقة للأسفل. **جيما**، لا، ليست **جيما**، كان **الزائر** ملقى على ظهره، وعنقه ملتوٍ بزاوية غريبة، وأصابعه ملتفة وترتجف. كان صدره يعلو ويهبط مع أنفاس متهدجة. تحت رأسه، تشكلت بركة من الدماء، تتسع بسرعة، وتستولي على الخرسانة في كل اتجاه. ما زلت لا أستطيع رؤية لون عينيها.

إنها ليست هي.

علا صدر **الزائر** مرة أخرى، هبط، علا، ثم توقف تمامًا عن الحركة. ساكنًا تمامًا. انتظرتُ أن يستمر التنفس، لكن **الزائر** ظل ملقى هناك، أثبت من دمية من الخزف، محاطًا بدائرة الدم المتنامية. دماء تجمعت حول مقدمة حذائي الرياضي.

*إنها ليست هي، ليست **جيما**، ليست..*

تولت غريزتي الوقائية زمام الأمور—رميتُ جهاز الفيديو، وهرعتُ إلى جانبها، سقطتُ على ركبتيّ، ونزعتُ النظارة...

تصببت خرزات دقيقة من العرق على جبيني، باردة ولاذعة. كان الدم ينبض في صدغيّ، دقات صاخبة: طنين، طنين، طنين. تزداد علوًا، فأعلى.

لم تكن عينا **الزائر** زرقاوين شاحبتين. كانتا عسليتين.

تمامًا كعيني **أبي**. تمامًا كـ..

*إنها ليست **جيما**.*

أمسكتُها من كتفيها وهززتها.

«**جيم؟**».

لا شيء. تحققتُ من تنفسها. لا شيء.

«**جيم**».

نبضها. لا شيء. لا شيء. لا شيء. هززتها.

«**جيما**، هذه ليست... **جيم**... هذه ليست...».

إنها ليست ***جيما****. إنها ليست* ***جيما****. إنها ليست* ***جيما****..*

كانت عيناها العسليتان تحدقان ببلادة في السقف، بلا رمش وبلا حياة.

انكسار مدمر...

تلك الغصة الموجودة دائمًا بين رئتيّ تصاعدت بشراسة، تلتف وتنتفخ كبالون حفلات. انتفخ قفصي الصدري، مهددًا بالانكسار، والتحطم إلى آلاف القطع. *إنها مجرد خدعة أخرى، التواء آخر حقير للسكين. إنه فقط..*

انكسار مدمر. انكسار مدمر. انكسار ...

انفصلتُ عن الواقع. تخليتُ عن جسدي، وانجرفتُ بعيدًا عن المشهد كأن ما يحدث يقع لشخص آخر. يقع لنسخة كربونية من **مايسي**.

راقبتُ نفسي وأنا أحاول إجراء الإنعاش القلبي الرئوي. ضغطات الصدر. راقبتُ نفسي وأنا أحاول مجددًا ومرة تلو الأخرى.

حتى عندما وصلت دماء أختي إلى الجدران وبرد جلدها، واصلتُ محاولة إنقاذها، مجددًا ومجددًا ومجددًا ومجددًا و...

إنها ليست ***جيما***.

دفعتُ نفسي عن ركبتيّ لأقف، مكررًا التعويذة مرارًا وتكرارًا.

إنها ليست ***جيما*** *... إنها ليست* ***جيما*** *... إنها ليست* ***جيما*** *....*

خرجتُ إلى ردهة القبو، وأغلقتُ الباب خلفي—كأن ذلك الحاجز الرقيق الهش قد يفصلني عن الأهوال في الداخل. ثم، مع التوهج البعيد للضوء في الطابق العلوي كدليل، شققتُ طريقي للأمام. قدمًا تلو الأخرى.

إنها ليست ***جيما*** *... إنها ليست* ***جيما*** *... إنها ليست* ***جيما*** *...*

لكن عندما وصلتُ إلى أسفل الدرج، اصطدمت قدمي بشيء ما. الصوت الهش أعادني إلى جسدي.

نظرتُ للأسفل. مستطيل من الضوء. هاتفي. انحنيتُ للأمام ببطء، والتقطته. سبع عشرة مكالمة فائتة. تسع رسائل بريد صوتي. كلها من **جيما**. بيدي المرتجفة، رفعتُ الهاتف إلى أذني، واستمعت.

«**مايسي؟**» بدأت الرسالة الأولى. «هل أنتِ بخير؟ حركة المرور فظيعة، لكنني في طريقي». الرسالة التالية، «**مايسي!** أيًا كان ما سمعتِه عند الباب، فقد سمعتُه أنا أيضًا. يجب أن تخرجي من هناك، الآن!».

إنها ليست ***جيما***.

نظرتُ من فوق كتفي. ذلك الخط الأحمر الرفيع كان لا يزال يسطع في الظلام البعيد. نقرت أصابعي على الشاشة، واتصلت برقم **جيما**. في أذني، رنة واحدة ثم...

في نهاية الردهة الضيقة، خلف الباب الأبيض، رن نغمة هاتف **جيما**. رنَّت حتى... صدر صوتها المسجل مسبقًا في أذني: «مرحبًا، هذه **جيم**، لا يمكنني الرد على الهاتف الآن، مشغولة جدًا بفعل شيء رائع. لا تتركوا رسالة، فقط أرسلوا لي رسالة نصية كشخص طبيعي».

إنها ليست ***جيما***.

كان هذا المنزل كله، كان يكسر قواعده الخاصة، يعذبني، يدفعني إلى بؤس لا يمكن تصوره. وضعتُ هاتفي جانبًا، وتجولتُ نحو الطابق العلوي.

لم تكن ***جيما*** *... لم تكن* ***جيما*** *... لم تكن* ***جيما*** *...*

4
طقس جميل

إذا نجوتم حتى الصباح، سيضيء ضوء البهو—أطفئوه في غضون ثلاث دقائق لمنع شروق شمس حمراء.

***

كان الظلام لا يزال مخيمًا في الخارج حين خطوتُ نحو المطبخ. لكن سماء الصباح الباكر، القاتمة بلونها الأزرق المائل للسواد، كانت تهمس بأولى بشائر الشروق. همسٌ خافتٌ جدًا لدرجة أنني لم أستطع تحديد اللون الذي ستكون عليه تلك الشمس. وقفتُ هناك، يدٌ أستند بها على طاولة المطبخ، والأخرى أضغط بها على جبيني المتألم.

كان سيل أفكاري يتساقط ببطء، بطيئًا ومبهمًا. أدرتُ رأسي، ونظرتُ إلى البهو. كانت جميع الأضواء مطفأة...

نظرتُ إلى باب الفناء. كان لا يزال مغلقًا بإحكام. كان الزجاج متصدعًا، ومتهشمًا عند الحواف، لكن الباب صمد، مؤكدًا ما كنتُ أعرفه مسبقًا. لم ينجح **الزائر** في الدخول. تحول الألم في جبيني إلى

خدر، وزحف وهج بطيء من العدم ليغمر أطرافي، وينزف عبر الأرضية، ويتسرب إلى باطن الأرض.

انتقل بصري إلى الثلاجة. كان الأرنب الأبيض يجلس عند قاعدتها، وأنفه الوردي يتحرك. قفز نحو باب الفناء، ثم نظر إليّ، أمال رأسه، ورمش. بدا وكأنه قد غفر لي خيانتي السابقة. انجرفتُ نحوه، وتباطأت عند الباب. في الخارج، على الفناء، كانت آثار أقدام **أبي**—لا، بل آثار أقدام **الزائر**—تقود بعيدًا. آثار أقدام ملطخة بالعشب تتباعد نزولًا عبر الدرج الخشبي، وعبر العشب المقصوص حديثًا، وتتلاشى في الأشجار المظلمة. لم ينجح **الزائر** في الدخول.

هبت نسمة باردة داعبت جانب وجهي. التفتُ لأرى نافذة مفتوحة، والستائر البيضاء تتراقص في نسيم عليل. رائحة حلوة ومرة للأشجار المتعفنة ومحيط المحيط الهادئ. كانت آثار كفي أختي لا تزال مرئية على الزجاج، وآثار حذائها المبلل تقود من النافذة، بعيدًا نحو الردهة الخلفية، نحو القبو.

تـتـتـتـتـتيك-بزززززز.

خلفي، ومض ضوء—نظرت من فوق كتفي—إنه ضوء البهو.

تشنجت عيني اليسرى. زفرتُ تنهيدة متعبة عبر أنفي. بقيت ثابته في مكاني، لفترة أطول بكثير مما كان ينبغي. دون أي شعور، حملتُ نفسي أخيرًا عبر غرفة المعيشة، وتباطأت عند عتبة البهو.

اتبعي الطقوس...

وجدت عيناي مفتاح الضوء—مباشرة بجانب صورة مدخل **ويندفول**. تحركتُ بتثاقل، مددت يدي، و...

بينما كانت أطراف أصابعي تلامس المفتاح البلاستيكي، تجمدتُ...

كان ذلك الصوت في أعماق رأسي يتوسل—*أطفئي الضوء فحسب يا* ***مايسي.***

اتبعي الطقوس فحسب... اتبعي الطقوس... اتبعي الطقوس...

مع كل كلمة، كانت العقدة في صدري تزداد شدة، وألمًا، وضيقًا.

أصبح تنفسي ضحلًا و..

لا.

لقد انتهيت.

انتهيت من كل هذا.

تراجعتُ عن المفتاح. أنزلتُ ذراعي. ووقفتُ هناك. نظرتُ إلى المصباح المتوهج، التوهج والطنين. أغمضتُ عينيّ. رحلت **جيما**، وأنا قد انتهيت. انتهيت من المنزل، انتهيت من **بروكسفيو**، انتهيت من **الزوار**، والطقوس، والعالم بأسره. انتهيت من كل شيء.

تنفستُ بعمق، شهيق من الأنف. زفرتُ، زفير من الفم.

سحبتُ السترة الخاصة بـ **أبي** عن معلاق المعاطف، وعدتُ متثاقلة عبر غرفة المعيشة، نحو باب الفناء. وللمرة الأخيرة، تردد صدى

تعليق **جيما** عن ليلة الفيلم في رأسي، لكن الآن، بدلًا من أن تبدو غاضبة، كانت تبدو حائرة فقط: *لماذا لا تطفئين الضوء فحسب؟*

ارتديتُ سترة **أبي**، وخرجتُ عبر باب الفناء، ومشيتُ نزولًا على الدرج الخشبي. انطلق الأرنب الأبيض مسرعًا بجانبي، قافزًا بمحاذاة آثار أقدام **الزائر** الملطخة بالعشب. ولأنه لم يكن لدي شيء أفضل لأفعله، فقد تبعته. قادت الآثار عبر العشب، متجاوزة السقيفة، وتلاشت في الغابة المظلمة.

واصلتُ التحرك، نزولًا على الطريق المتعرج—قدم يسار للأمام، قدم يمين للأمام، يسار، يمين—حتى وصلت إلى ذلك الحبل الشاحب الرفيع. تلاشت آثار أقدام **الزائر** عند حدوده، كأنه قد تبخر من الوجود. ولم يقطع الأرنب أكثر من ثلاث قفزات قبل أن ينهار على جانبه.

توقفتُ هناك، والحبل الشاحب مشدود أمام ساقيّ. ظلت عينا الأرنب الزرقاوين الباردتين مفتوحتين، بلا رمش. تشنجت أذناه، وارتجفت ساقه الخلفية، ثم توقف عن الحركة.

توقف عن التنفس.

تخطيتُ الحبل. واصلتُ المشي، واصلتُ وضع قدم أمام الأخرى. سرعان ما بدأ هدير المحيط العميق يطن في التراب، يطن في عظامي المتألمة. لم تكن نقطة المشاهدة بعيدة. *واصلي التحرك*.

أفسحت الأشجار المجال أمام سماء الصباح الباكر، ذات اللون الأزرق المسود والملبد بالغيوم. لم أكن أستطيع بعد معرفة اللون الذي ستكون عليه الشمس الشارقة، لكنني لم أكن بحاجة لذلك..
كنت أعرف تمامًا ما سيحدث. كانت البشرية محكومًا عليها بالفناء، ولم أكن أهتم حتى.
لفظني الطريق نحو صخور مسننة. تلك الفسحة شبه الدائرية حيث لا ينمو سوى الأشنة والطحالب. المنحدر. منحدر **ويندفول**. غامرتُ نحو حافته، وتوقفت، وقدماي على بعد بوصات من الهاوية.
مجددًا، تنفستُ بعمق، شهيق من الأنف. زفرتُ، زفير من الفم. شهيق من الأنف. زفير من الفم. هبت نسمة مالحة للأعلى، ورذاذ بارد يرتطم بذقني. حدقتُ في الأمواج المتلاطمة والصخور المسننة في الأسفل. ثم، وللمرة الأولى منذ سنوات، تلاشت تلك الغصة الموجودة دائمًا بين رئتيّ، ذابت لتتحول إلى شعور دافئ ولطيف بالعدم. وقبل لحظة من إغماض عينيّ، والتوقف أخيرًا عن الترنح—بزغت شمس الصباح فوق الأفق البعيد، وتدفقت أشعتها الخام عبر فجوة في الغيوم الداكنة، لكن...
لم تكن حمراء...
عقدتُ حاجبيّ، وعيناي تضيّقان في الوهج الذهبي الأبيض. بدأ هاتفي يهتز.

استمرت الشمس في الصعود، وتلك الأشعة الذهبية البيضاء تخترق أشجار الشوكران الممزقة على الشاطئ البعيد.

لماذا لم تكن حمراء؟

استمر هاتفي في الاهتزاز، بإلحاح دائم.

مددتُ يدي للأسفل، ورفعتها إلى أذني. في الطرف الآخر... أختي.

قالت : «**مايسي؟**»

تفتح في أحشائي شعور بالتخفيف الحذر. «**جيم؟**».

قالت :

«يا إلهي، ظننتكِ... هل أنتِ بخير؟». في الخلفية، استطعتُ سماع طنين محرك سيارة، أو ربما الحافلة...

كانت **جيما** حية.

لم تصل قط إلى المنزل، و...

«**مايسي؟**» حثتني.

لكنني لم أستطع حتى التفكير الآن، ناهيك عن الكلام.

كررت **جيما** :

«هل أنتِ بخير؟ هل لا يزال **الزائر** هناك؟». حاولتُ الرد، لكن لم يخرج سوى صوت متهدج ومشروخ.

قالت **جيما** :

«أنا قادمة لأعلى آخر تلة، اتصلتُ أيضًا بالطوارئ (9-1-1)، المساعدة الحقيقية في الطريق. فقط، فقط اصمدي، لوقت أطول قليلًا، ابقي على الخط، حسنًا..؟».

ظلت **جيما** تتحدث، وظلت تحاول مواساتي، وظلت تخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام، لكنني لم أكن أسمعها تقريبًا بعد الآن. ليس بسبب أي شيء قالته أختي. ليس لأن تلك الغصة البائسة بين رئتيّ قد عادت. لا، لقد توقفت عن الاستماع لأن الشمس البيضاء التي تشرق فوق مرتفعات **بروكسفيو** قد تحولت فجأة إلى لون أحمر مروع.

****